الدكتور عبد العظيم رمضان

حقيقة جمال الدين الأفغاني

الوفاء للطباعة والنشر

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ ـــ ١٩٨٨م

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ت ٣٤٧٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٣٣
فرع المنصورة : أمام كلية الطب ت ٢١٧٤٢٣ ... ص ب ٣٣٠ تلكس DWFA UN 24007
فرع القاهرة : ١١ ش شريف ت ٧٥٤٦٠٦ / ٧٦١٩٩٧

حقيقة
جمال الدين الأفغاني

الجزء الثاني

مجموعة وثائق ومذكرات خاصة

ترجمة ودراسة وتعليق

الدكتور عبد النعيم حسنين

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نشرنا فى العام الماضى بتوفيق من الله كتابا عن جمال الدين تحت عنوان «حقيقة جمال الدين الأفغانى» أحد رواد الإصلاح فى العالم الإسلامى فى العصر الحديث فقد قضى حياته كلها داعياً إلى توحيد العالم الإسلامى ، وتحرير شعوبه من الاستعمار والاستغلال والغفلة والضياع ، ووفق إلى حد كبير فى دعوته للإصلاح وزار من أجلها كثيرا من الدول الإسلامية والشرقية والأوربية ، واتصل بساستها وقادة الفكر فيها ، مما جعل اسمه معروفا ، وصيته ذائعا ذيوعا عجيبا ، فصار يعد من كبار المصلحين فى العالم ، من الرجال الذين حاولوا توجيه سير التاريخ ، وتغيير مجرى الحياة فى البلاد التى عاشوا فيها ، وكان هدفه الأسمى رقى الشعوب الإسلامية وارتفاع قدرها ، وعلو شأنها ، حتى يستعيد المسلمون أمجادهم القديمة ، ويقودوا ركب البشرية ، وتكون لهم حضارة زاهرة فاضلة ، روحية ومادية ، تسعد بها الإنسانية ، فى حياتيها الدنيوية والأخروية .

فليس عجيبا أن نرى الشعوب الإسلامية تقدر جمال الدين وتعتز به ، وتعده من مفاخرها ، وملكا لها جميعا ، فتعنى بدراسته ، وكشف جوانب شخصيته ، وتسعى إلى تسجيل أفكاره وآرائه ، وتعمل على تمجيد ذكراه ، وترى فى هذا كله دليلا على يقظتها ، وبرهانا على حيويتها ، واستعدادها للسير فى طريق الرقى والازدهار .

وقد حرصنا فى كتاب «حقيقة جمال الدين الأفغانى» الذى نشر فى العام الماضى ، على كشف هذه الحقيقة ، بعد ترجمة كتاب لطف الله —ابن أخت جمال الدين — من الفارسية إلى العربية ، ودراسته والتعليق عليه ، وبعد أن قمت بنفسى بزيارة قرية أسد آباد بالقرب من همدان ، والتأكد من وجود أسرة جمال الدين بهذه القرية ، فثبت لنا أنه إيرانى الأصل ، شيعى المذهب .

وكان ما ثبت لنا يغاير ما اشتهر من أمر جمال الدين ، فهو معروف بانتسابه إلى

بلاد الأفغان ، وبأنه سنى المذهب ، وكان جمال الدين نفسه يحرص على تلقيـ نفسه بالأفغانى ، كما كان يفضل الظهور فى صورة عالم من علماء أهل السنة البلاد الإسلامية المختلفة التى زارها ، غير وطنه الأصلى إيران ، وكان حرصه هـ لازما لإنجاح دعوته الإصلاحية ، ونشر أفكاره فى الدول الإسلامية الخاض لسلطان الدولة العثمانية ، مقر الخلافة الإسلامية السنية .

وقد رأينا كشف هذا الجانب من جوانب شخصية جمال الدين ، وإثباته بالأد الواضحة ، التى لا تقبل شكا ولا جدلا ، لأن إثبات الحقيقة العلمية هو غاية يهدف إليه الدارسون ، خدمة للعلم ، وتصحيحا لخطأ شائع رائج معروف بي الناس ، بلغ من الرواج درجة جعلته يطغى على الحقيقة .

وقلنا إن كشف حقيقة جمال الدين ، لايحط من قدره ذرة ، ولا يؤثر فى مكانـ شيئا ، بل لعل ذكر حقيقته ، يرفع من مكانته ، ويزيد من قدره ، ويبين مدى النجاح الذى حققه فى دعوته الإصلاحية ، لتحقيق الوحدة الإسلامية ، برغـ كونه شيعيا يدعو فى بلاد أكثرها بلاد سنية مما يصنع فى طريقه كثيرا من العوائ والعقبات ، ويجعله معرضا ، لأن تحاك ضده المؤامرات .

وبينا كذلك أن شخصية جمال الدين ملك للأمم الإسلامية جميعها ، فسو كان أفغانيا سنيا أم إيرانيا شيعيا ، فإنه مصلح إسلامى ، وبطل من أبطال تحرـ المسلمين ، يزهو به كل مسلم أيا كان موطنه ، ولايضير هذا قطرا مسلما مجاها عزيزا كأفغانستان التى كانت هى وإيران تشكلان دولة واحدة فى أكثر عصو التاريخ الإسلامى ، وهما تشتركان فى الدين وفى اللغة ، وفى كثير من ألوان التراـ الإسلامى التى تعد من مفاخر المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم وقد عاش فى هذه الدولة الإسلامية كثير من علماء المسلمين فى مختلف العلو والفنون ، وكانوا علماء أفذاذا تفخر بهم الحضارة الإسلامية بخاصة ، وحضار البشرية كلها بعامة .

فلن يضير أى قطر إسلامى إثبات حقيقة أن جمال الدين إيرانى الأصل ، شيعى المذهب ، وأنه استفاد من لقب الأفغانى ـــ الذى منح له أثناء إقامته فى أفغانستان ـ فى زيارة الدول الإسلامية ، وفى مقدمتها الدولة العثمانية مقر الخلافة السنية ونشـ

دعوته الإصلاحية ، الرامية إلى توحيد العالم الإسلامى ، فلا يؤثر إثبات حقيقته فى تقديره ، مادامت الأقطار الإسلامية – جميعها – تعده ملكا لها ، وجزءا من مفاخرها ، كما أن الدارسين – أينما وجدوا – يرحبون بإثبات هذه الحقيقة وكشفها حتى تكون نتائج دراساتهم صحيحة مفيدة ، ذات قيمة علمية .

وقد ذكرنا العديد من الأدلة التى تثبت أن جمال الدين – المعروف بالأفغانى – فى الحقيقة إيرانى الأصل شيعى المذهب ، وأنه من المصلحين الذين يعدون ملكا للمسلمين فى جميع أقطارهم ، لأنه كان يدعو إلى توحيد الدول الإسلامية ، وجمع شمل المسلمين فى وحدة شاملة ترفع قدرهم ، وتعلى شأنهم .

وقلنا — بعد ذكر هذه الأدلة — إن هناك مجموعة من الوثائق والمذكرات الخاصة بجمال الدين نشرت أخيرا نرجو أن تكون فصل الخطاب فى موضوع جمال الدين الذى مازال يحظى باهتمام الناس إلى يومنا هذا .

ونحن نقدم فى هذا الكتاب ، الذى يعد الجزء الثانى من حقيقة جمال الدين الأفغانى ترجمة ودراسة وتعليقا على هذه الوثائق والمذكرات ، حتى تزداد حقيقة جمال الدين وضوحا وثبوتا .

والله نسأل أن يأخذ بيد الأمة الإسلامية إلى طريق الهدى والرشاد ، وأن يهديها الصراط المستقيم حتى تظفر بالعزة والكرامة والسعادة فى الدنيا والآخرة .

ولا شك فى أن أروع إحياء لذكرى جمال الدين – باعتباره مصلحا إسلاميا – هو أن تخرج أفكاره إلى حيز التنفيذ ، وتحاول الدول الإسلامية توحيد صفوفها ، وتقوية جبهتها ، واستعادة مكانتها ، حتى يؤتى غرس جمال الدين أكله كل حين بإذن ربه ، فتسعد روحه الهائمة ، حين تصبح مبادئه حية قائمة .

والله هو الموفق والهادى إلى سواء السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وهو المستعان وعليه التكلان .

القاهرة فى ٩ شوال ١٤٠٧هـ
الموافق ٥ يونية ١٩٨٧م

تمهيد :

قبل أن أعرض ترجمة ودراسة وتعليقا على مجموعة الوثائق والمذكرات الخ
بجمال الدين المعروف بالأفغانى ، أرى من الواجب -أولا- أن أعرف بهذه الو
والمذكرات ، أو بعبارة أخرى أن أقوم بدراسة حولها ، لأعرف مصادر ، وط
جمعها وتبويبها ، ثم نشرها ، ليطلع عليها المهتمون بدراسة جمال الدين ، .
يستطيعوا أن يكشفوا حقيقته ، ويدرسوا مراحل حياته المختلفة ، ويتفهموا أفكا
الإصلاحية ، وأسلوبه العملى فى الإصلاح ، وهكذا تتضح جوانب شخصية ج
الدين ، وتظهر ملامح صورته على حقيقتها ، ويتيسر تقويم مابذله جمال الدين
جهود فى سبيل نشر مبادىء دعوته الإصلاحية ، وتحقيق هدفه الأسمى ألا و
توحيد العالم الإسلامى ، وبهذا يحتل جمال الدين المكان اللائق به بين ر
الإصلاح فى العالم الإسلامى فى العصر الحديث .

ومجموعة الوثائق والمذكرات الخاصة بجمال الدين التى سأعرضها فى ،
الكتاب -مترجمة ومدروسة ومعلقا عليها- قد نشرت بواسطة جامعة طهران
عام ١٣٤٢ هجرية شمسية أى منذ ربع قرن ، وهى الكتاب رقم ٨٤١
مطبوعات الجامعة المذكورة .

وعنوان الكتاب الذى يضم هذه الوثائق والمذكرات بالفارسية هو :
«مجموعهٔ أسناد ومدارك چاپ نشده دربارهٔ سيد جمال الدين مشهور بأفغانى
وترجمة هذا العنوان بالعربية هى :

«مجموعة أسانيد ووثائق غير مطبوعة تتعلق بالسيد جمال الدين المشهو
بالأفغانى»

وقد قام بجمع هذه الأسانيد والوثائق وتنظيمها ـــ كما ذكر على غلاف الكتاب ـــ ك
من أصغر مهدوى وإيرج أفشار ، ويبدو من الفهرس الذى أعده الأستاذان اللذا
جمعا هذه الوثائق ونظماها ، أن الوثائق التى نشراها لأول مرة ، بعد مرو
سبعين عاما على وفاة جمال الدين ، على جانب كبير من الأهمية ، لأن الكثير من
مكتوب بخط جمال الدين نفسه ، أو بخط أصدقائه المقربين إليه ، فهى وثائ

صحيحة لايرق إليها شك ، كما أن الكتاب ضم صور هذه الوثائق حتى يزيدها أهمية وقوة .

وقد كتب الأستاذان المذكوران مقدمة للكتاب الذى يضم هذه الوثائق الجديدة قالا فيها :

«إن ماينشر فى صفحات هذا الكتاب مجموعة من الوثائق والأسانيد التى لم تطبع من قبل ، وهى متعلقة بحياة السيد جمال الدين وأفكاره ، وهو الرجل السياسى الشرق المشهور فى القرن الماضى ، وهذه الوثائق والأسانيد بدون شك ستساعد مساعدة كبيرة ومهمة على تكميل وتصحيح معلوماتنا عن ظروف حياة هذا الرجل ، المليئة بالأحداث الجسام ، وعن مبادئه وأفكاره الثورية المؤثرة»[1].

وتلقى هذه الوثائق الضوء على مراحل حياة جمال الدين بعامة ، وأحداث السنوات الثلاثين الأولى من عمره بخاصة ، وهى مرحلة من عمره ، لم تكن لدى الباحثين معلومات كافية عنها .

كما تدل هذه الوثائق على أن جمال الدين لم يكن فكره مرتبطا بدولة من الدول الإسلامية ، وإنما كان يفكر فى تحرير دول العالم الإسلامى جميعها ، وتوحيد صفوف المسلمين حتى ينتصروا ، وتعود إليهم عزتهم وكرامتهم .

وكانت أسفار جمال الدين وزياراته لدول العالم الإسلامى المختلفة من أجل تحقيق هدفه المنشود الذى ضحى فى سبيل بلوغه بكل مرتخص وغال ، وواجه كثيرا من المؤامرات فكان يُستقبل ــ أولا ــ بالحفاوة والتكريم ثم لا يلبث أن يُخرج مطرودا مشيعا باللعنات ، نتيجة لما دبر له من دسائس ومؤامرات .

وكان أنصار جمال الدين فى كل دولة يزورها يتعرضون بعد طرده منها لكثير من ألوان الاضطهاد والتعذيب .

وستساعد الوثائق والأسانيد الجديدة على توضيح أشياء كانت لاتزال غير واضحة تماما قبل نشر هذه الوثائق كالمعلومات الخاصة بمراحل دراسة جمال الدين المختلفة ، والكتب والمقالات التى كتبها فى سائر الدول التى زارها ، لأن جمال الدين

---

(١) مجموعة اسناد ومدارك چاپ نشده دربارهٔ سيد جمال الدين مشهور بأفغانى : مقدمة ، ص هـ .

كان له نشاط سياسى فى هذه الدول ، فظهر نشاطه السياسى فى أفغانستان والهند ومصر وتركية وإيران ، فكان يكتب المقالات ويلقى الخطب المثيرة ، ويدعو فيها المسلمين فى الدولة التى يزورها إلى تنظيم صفوفهم ، والمطالبة بحقوقهم ، والثورة فى وجه الاستعمار وأعوانه ، وكان مصيره الطرد والإخراج من كل دولة زارها من الدول التى ذكرناها ، ولكنه ظل صامدا يدعو إلى إنشاء اتحاد إسلامى ينظم صفوف المسلمين ، ويوحّد جهودهم ، ويساعدهم على تحقيق النصر على أعدائهم حتى آخر لحظة من حياته .

وقد بلغت شهرته السياسية أوجها فى أثناء إقامته فى كل من باريس ولندن ، لأنه استطاع فى أثناء هذه الإقامة أن ينشر الدعوة إلى ضرورة إنشاء «اتحاد إسلامى» يوحد صفوف الشعوب الإسلامية ، ويؤلف بين دولها من أجل خيرها جميعا ، وقد رفع صوته بهذه الدعوة عن طريق الخطب والمقالات وإصدار جريدة تعبر عن رأيه وتشرح فكرته ، والاتصال بالمفكرين والساسة فى الدول الأوربية العظمى فى عصره ، ووفق فى جذب أنظار هؤلاء المفكرين والساسة إليه ، واهتمامهم بأفكاره ومقولاته .

ومما يسعد الدارسين لشخصية جمال الدين ودعوته الإصلاحية أن الوثائق والأسانيد التى تيسر الدراسة موجودة محفوظة ، لم تصبها آفة التشتت والزوال ، ويمكن لكل راغب فى دراسة هذا المصلح الكبير أن يطلع على الوثائق والأسانيد التى تعينه فى دراسته ، وتيسر له مهمته .

وكثير من هذه الوثائق والأسانيد بخط يد جمال الدين نفسه فى صورة مذكرات دونها ، أو خطابات شخصية كتبها لأصدقائه وأقاربه ، أو مقالات دبّجها ، وعرض فيها أفكاره ومبادىء دعوته الإصلاحية ، وتتضمن جميعها معلومات قيمة ، لاغنى عنها للراغبين فى دراسة جمال الدين .

والوثائق والأسانيد – التى أشرنا إليها – ثلاث مجموعات : المجموعة الأولى منها أكثر المجموعات أهمية ، لأنها تضم الخطابات والأوراق والمذكرات والكتب والمقالات والصور التى كانت لجمال الدين ، وهى كلها محفوظة فى منزل الحاج محمد حسن أمين الضرب ، وقد أودعها جمال الدين نفسه لدى صديقه المذكور فى أثناء رحلتيه اللتين قام بهما فى عام ١٣٠٤هـ و ١٣٠٧هـ و (١٨٨٧ و ١٨٩٠م) ، لأنه فى كل رحلة منهما كان ينزل ضيفا فى منزل الحاج محمد حسن أمين الضرب ، الذى كان

متعلقا بجمال الدين تعلقا عجيبا ، وكان يعد نفسه مُريداً له ، ويعامله معاملة المريد لشيخه ، فيجله إجلالا عظيما ، ويثنى على ورعه وسموه الروحى ثناء كثيرا .

وهذه الوثائق لها أهمية كبيرة فى التعريف بجمال الدين والوقوف على مراحل حياته المختلفة ، وما صادفه فى أثناء رحلة حياته من عقبات وصعوبات ومشكلات ، كما تبين الحقائق التى تلزم معرفتها عن أصله ووطنه وأسرته ومذهبه الدينى وأسلوب تفكيره ومنهجه فى الحياه ، وتشرح مبادىء دعوته الإصلاحية ، وتسجل ما صادفه فى أثناء رحلاته التى قام بها شرقا وغربا ، وتحكى ذكريات سنوات دراسته -أثناء طلبه للعلم- كما تروى أخباره حين كان يقوم بالتدريس لطلابه ومريديه فى البلاد الإسلامية المختلفة التى تيسرت له زيارتها .

وتسجل الوثائق كذلك علاقاته واتصالاته بكبار الشخصيات المهمة الذين التقى بهم فى كل من أفغانستان وانجلترا ومصر وتركيا وتتضمن معلومات جديدة بالغة الأهمية ، لم تكن معروفة قبل نشر هذه الوثائق .

والشىء الذى لاشك فيه أن كل مهتم بدراسة شخصية جمال الدين وأفكاره ومنهجه فى إصلاح أحوال الدول الإسلامية يسعده ويسر دراسته نشر مثل هذه الوثائق التى ستجعل هذه الدراسة تحقق نتائج علمية دقيقة ، وتضيف إلى العلم جديداً ، لأنها ستدرس شخصية جمال الدين وأفكاره ومراحل حياته المختلفة دارسة صحيحة متكاملة ، مدعمة بالوثائق والأدلة الثابتة التى لايجد الشك إليها سبيلا .

ولهذا سنحرص على نقل هذا الجزء من الوثائق إلى لغتنا العربية ونشرها فى هذا الجزء الثانى من كتابنا هذا «حقيقة جمال الدين الأفغانى» حتى لا يبقى هناك شك فى كل مايتعلق بهذه الشخصية الفذة .

أما المجموعة الثانية من الوثائق فهى أسانيد خاصة بأسرة أمين الضرب وهى تضم خطابات كتبها جمال الدين للحاج محمد حسن أمين الضرب والحاج محمد حسين أغا أمين الضرب الثانى وتتضمن هذه الخطابات معلومات مفيدة عن نشاط جمال الدين فى خارج وطنه ، وفيها إشارات إلى حسابات جمال الدين ومعاملاته فى الخارج .

وأما المجموعة الثالثة من الوثائق فهى عبارة عن شرح لبعض الأسانيد المختلفة التى

استطاع آيرج أفشار ـــ أحد الأستاذين اللذين قاما بجمع الوثائق وترتيبها وتنسيقها ـــ أن يحصل عليها من مكتبات مشهد وباريس واسلامبول .

وقد ظلت الوثائق والأسانيد والأوراق والكتب ـ الخاصة بجمال الدين ـ مدة طويلة فى منزل أمين الضرب وكان الحاج محمد حسين أغا ـ أمين الضرب الثانى ـ يتولى حراستها والمحافظة عليها ، إلى أن قام ابنه الدكتور أصغر مهدوى الأستاذ المساعد بجامعة طهران بفصل هذه الوثائق والأسانيد المهمة عن مكتبة أبيه وتعاون ـــ صديقه الحميم آيرج أفشار فى تنظيمها وترتيبها وتبويبها ووضعها فى متناول أيدى الدارسين والمحققين والراغبين فى دراسة جمال الدين .

وإنها لسعادة كبرى لنا أن نوفق إلى الحصول عل نسخة من هذه الوثائق والأسانيد القيمة حتى نستكمل دراستنا لشخصية جمال الدين وأفكاره ومبادىء دعوته الإصلاحية ، ونكشف حقيقته خدمة للعلم ، وإنصافا للرجل ، وإظهارا لمدى توفيقه فى دعوته الإصلاحية ، وخدمة للراغبين فى الدراسة ، حتى يسيروا فى دراستهم ـ فى الطريق الصحيح ـ على هدى وبصيرة والله ولى التوفيق .

القسم الأول

المذكرات الشخصية لجمال الدين

يهمنا هنا أن نترجم الأوراق التى كتبها جمال الدين بخط يده سواء أكانت مقالات أم مذكرات أم خطابات مرسلة منه إلى بعض المسئولين فى الدول التى زارها أو إلى عدد من أصدقائه ، كما سننشر - فى هذا الكتاب - صور هذه الأوراق ، حتى يزول كل لبس وتتضح الحقيقة بعد أن ندرس ماتضمنته الأوراق من معلومات ونعلق عليها ، ونستخلص منها ماتؤدى إليه من نتائج ، تظهر حقيقة جمال الدين ، وتثبت أنه إيرانى الأصل شيعي المذهب ، استفاد من تلقيبه بالأفغانى — فى أثناء إقامته فى أفغانستان — فى إنجاح دعوته لتوحيد العالم الإسلامى وتحريره من الاستعمار والاستغلال ، فتمكن من زيارة دول سنية غير أفغانستان — مثل تركية مقر الدولة العثمانية والخلافة السنية ، ومصر بلد الأزهر — أحد القلاع السنية ، فى عصر جمال الدين ، الذى استطاع بمظهره السنى وانتسابه إلى بلاد الأفغان أن يشق طريقه إلى قلب العالم السنى ، وأن يجهر بالدعوة إلى توحيد المسلمين فى أرجاء هذا العالم الفسيح ، وأن يتخذ من بلدان العالم السنى مقاما لسنوات عديدة ، وأن يكون له فيها مريدون وتلاميذ محبون مخلصون ، يرددون دعوته ، وينشرون مبادئه ، ويقودون حركات الإصلاح فى بلادهم .

ولعل من المفيد أن نقسم الأوراق التى كتبها جمال الدين إلى مجموعات على النحو التالى :

أولا : الخطابات التى كتبها جمال الدين لأقاربه وتلاميذه وأصدقائه :

كتب جمال الدين العديد من الخطابات الشخصية لأقاربه وأصدقائه وتلاميذه ، فى إيران ومصر وتركية وغيرها من الدول التى تيسرت له زيارتها زيارة طويلة أو قصيرة ، وكانت هذه الخطابات تتضمن أفكاره الإسلامية وآراءه السياسية ، ومبادىء دعوته الإصلاحية ، كما كان فيها معلومات مفيدة عن أصله

ونسبه وأساتذته ومذهبه الدينى ومسلكه فى الحياة ، وهى معلومات تصلح مادة علمية كافية لدراسته دراسة صحيحة منصفة ، والحكم عليه حكما عادلا غير متحيز له ، وغير متحامل عليه بقدر المستطاع .

١ ــ الخطابات الشخصية :

ا ــ خطاب من جمال الدين[١] إلى واحد من رجال العثمانيين يتحدث فيه عن الأحوال السياسية فى كل من أفغانستان والهند وفيما يلى نصه :

«...إلى السيد الركن الركين للملك والشعب ، والحصن الحصين للدولة العلية ــ على الدوام ــ وفخر العثمانيين ، وروح جسد جميع المسلمين ، الصديق الرفيع القدر العظيم الشأن ، أعرض التالى : ...إذا كان بعض أهل الشر قد غدروا بى ، ومارسوا الظلم ضدى ولكن أفراد الشعب لم يصدر منهم غدر بى أو ظلم لى ، ومن الإسلام تجنب الظلم ، ونسأل الله بقلوبنا وأرواحنا أن يهيىء السلامة للأمة الإسلامية وأسباب العزة والاستقرار ، وحيث إننى أعد قطعة من نسيج هذه الأمة ، كما أعد جزءا منها ، فمما لاشك فيه أننى أتألم إذا نظر إليها عدو بعين السوء ، أو أصابت عينها شوكة ، لأننى أعد سلامتها فوق كل اعتبار ، وأعمل من أجل سعادتها ، بكل طاقة ممكنة .

ونظرا لأن الدولة العثمانية العلية هى التى تتولى رعاية أمور المسلمين ، وتسهر على صيانة حقوقهم وحفظ كرامتهم ، بعد أن بلغت الدولة العلية هذا القدر من الرفعة والاعتبار ، فإننى آمل أن تبادر -بتوفيق من الله- إلى الدفاع عن بيضة الإسلام ورد كيد الأعداء عنه ، وصيانة ديار المسلمين من كل غدر وعدوان حتى تكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، لأن مايحدث فى بلاد المسلمين من اضطرابات وفساد ، وتطاول على حقوق العباد ، وغزو من الأعداء ، وتجاوز من الغرباء ، يؤرق حياتى ، ويكدِّر أوقاتى ، ويفقدنى المنام ، ويصرفنى عن الطعام ، ويصيبنى بمرض عضال ، ويجعلنى فى قلق دائم ، وتفكير متصل ، وتساؤل لاينقطع ، عن سبب ماأصاب الأمة الإسلامية من ضعف

(١) الخطاب منشور فى الكتاب الذى يضم مجموعة الوثائق والأسانيد الخاصة بجمال الدين وصورته رقم ٢٦ و ٢٧ بين الصور المنشورة .

واضطراب ، بعد أن كانت خير أمة أخرجت للناس ، وأنا الآن أقرأ تاريخ الأمم السابقة ، لأعرف أسباب رقيها وقوتها وعزتها ورفعتها ، وأقف على عوامل ضعفها وإغلالها وزوالها ، حتى نتخذ من ذلك عبرة تفيدنا ، وحتى نعرف مواطن ضعفنا ، ونعمل على علاج مرضنا ، ودفع مسيرتنا إلى الأمام ، لنستعيد مجدنا ونرفع قدرنا .

وبرغم أننى أعرف قدرى جيدا ، وأعلم علم اليقين أننى شخص حقير وأن الشخص الذى أكتب إليه هذا أمير كبير ، رفيع الشأن ، عظيم القدر ، غير أننى فى الوقت نفسه أشعر بمسئولية العالم ، وأعلم أن واجب العلماء أن ينصحوا ، لأن الدين النصيحة ، ولهذا أرى -واجبا علىّ- باعتبارى واحدا من علماء المسلمين ، أن أنصحكم وأن أبصركم بأحوال المسلمين فى البلاد الإسلامية المختلفة ، حتى تهبوا لمعالجة المرض ، وإصلاح الأحوال متى استطعتم إلى ذلك سبيلا ، والله من وراء القصد .

وأبدأ -أولا- ببيان أحوال المسلمين فى بلاد الهند ، لأن عدد المسلمين فى هذه البلاد كبير ، وأمرهم يحتاج إلى عناية وتدبير ، فقد كان المسلمون فى هذه البلاد قوة يحسب حسابها ، وكان لهم مجد وفخار ، وعزة واعتبار ، وحضارة زاهرة راقية ، ومكانة رفيعة سامية ، وكيف صار المسلمون فى هذه البلاد ، فى وضع من الاضطراب والفساد ، يفتت الأكباد ويبعث على السهاد ، وكيف تبدلت قوتهم ضعفا ، فذهب استقرارهم واضطربت أحوالهم ، وكان لهم أعداؤهم ، بعد أن تخلى عنهم أصدقاؤهم .

أقول هذا عن الهند ، وأنا أقلب صفحات التاريخ ، فأجد شواهد كثيرة ، وعبرا عديدة ، فها هو أبو مسلم الخراسانى يستطيع وهو شاب فتى أن يزلزل أركان الدولة الأموية القوية وأن يهدم بنيانها ، ثم يدفعه عدم الاحتياط إلى الهلاك ، ثم أجد فى صحفات التاريخ — كذلك — الصليبيين يغيرون على بلاد المسلمين ، ويستغلون فترة انقسامهم وضعفهم فيحتلون بيت المقدس وجزءا من ديارهم ، ثم يستيقظ المسلمون من غفلتهم ، ويوحدون صفوفهم ، وينادون بأعلى صوتهم «حى على الجهاد» فترتفع رايتهم من جديد ويتحقق النصر لهم ، من عند الله ربهم ،

وتعود لهم عزتهم وكرامتهم ، وهكذا دواليك ، فالنصر له أسباب ، وتلك سنة الله فى خلقه ، فالله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

لهذا أرى واجبا علىّ أن أنبه ، وأن أنصح ، وأنا أنادى بأعلى صوتى قائلا : حى على الجهاد ، هبوا أنقذوا بلادكم من الضياع والفساد ، راعوا الله فى البلاد ، استمعوا إلىّ وأنا أنصحكم وأنبهكم ، برغم أننى أعرف قدرى ، وأننى شخص حقير ، أخاطب أميرا كبيرا ورجلا عظيما ولكن واجب العلماء أن ينصحوا الناس جميعا ، وأن ينبهوا الأمراء والعظماء إلى مايشاهدونه من خلل فى أحوال المسلمين ، واضطراب فى بلادهم ، حتى يبادروا بإصلاح الأحوال ، قبل أن يتسع الخرق على الراقع ، وإذا كنت قد بدأت ببلاد الهند فما ذلك إلا لأن المسلمين فى هذه البلاد كثيرو العدد ، وقد كانوا ذوى قوة وبأس شديدين وحضارة راقية رفيعة الشأن ، ثم تبدلت أحوالهم ، ووهن عزمهم ، وذهبت ريحهم ، لأنهم اختلفوا وتفرقوا ، وابتعدوا عن طريق الحق ، فتمكن منهم أعداؤهم ، وهم الآن فى حاجة إلى من يأخذ بيدهم ، ويرشدهم إلى الطريق الصحيح .

وقد تمكنت - بعون الله - من دراسة أحوال بلاد الهند والوقوف على أسباب ضعفها ، كما تيسرت لى مقابلة كثير من المسئولين فى هذه البلاد ، والتعرف على عظمائها وكبرائها ، وتدارست معهم أحوال بلادهم ، ووسائل النهوض بها ، ودفعها إلى السير قدما فى طريق الرقى والازدهار ، وقد وفقنى الله إلى الاتصال بطبقات الشعب المختلفة فى المدن والأقاليم ، وألقيت فيهم العديد من الخطب والمواعظ ، التى كنت أستشهد فيها بما ورد فى كتاب الله الكريم من هدى حكيم ، كما أستشهد بأحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين ، التى تدعو إلى توحيد الصفوف والتعاون على البر والتقوى ، وأضرب المثل بصحابة رسول الله ﷺ وماأبلوه من بلاء حسن فى نصرة دين الله الحق ، وكانت خطبى وأحاديثى تثير حماسهم وتلهب عواطفهم ، وتهيئهم للسير فى طريق الاتحاد ، وتنظيم الصفوف ، وتوحيد الجهود من أجل تحرير بلادهم من النفوذ الأجنبى ، وتحقيق استقلالهم ، حتى يعود إليهم مجدهم ، وترجع إليهم عزتهم .

ولا شك فى أن الدولة العثمانية العلية حريصة على توحيد صفوف المسلمين ، ورفعة شأنهم ، لأن الدولة العلية هى دولة الخلافة ، فهى الدولة التى تتجه إليها قلوب

المسلمين ، وتستطيع ـــ بما لها من سلطان روحى على المسلمين ـــ أن تقودهم إلى طريق الخير والفلاح حتى يتكلل جهادهم بالنجاح .

ولهذا قررت الكتابة إلى المسئولين فى الدولة العثمانية العلية ليبادروا بأداء واجبهم ، ونصرة دينهم ، والأخذ بأيدى إخوانهم فى الهند ، وتحريرهم من قيد المستعمرين أعداء دينهم ووطنهم .

وأرجو أن ترسل الدولة العلية مبلغا من المال ، ليعين المجاهدين من المسلمين فى الهند على تدبير أمورهم وتجهيز أنفسهم بما يحقق لهم النصر والنجاح .

ولست فى حاجة إلى أن أكرر أن الدولة العلية هى دولة الخلافة ، وهى مسئولة عن المسلمين فى جميع أقطارهم ، كما يمكنها أن تتصل بالقيادات الإسلامية فى الهند وتجعل هذه القيادات على صلة دائمة بالمسئولين فى منظمة الاتحاد الإسلامى القائمة حاليا فى الأراضى التركية ، حتى يشرف الاتحاد على أوجه نشاط المسلمين فى الهند ، فى إطار الأخوة الإسلامية التى حددها الرسول الكريم ﷺ فى قوله «المسلم أخو المسلم» كما وضحها رب العالمين جل شأنه فى قوله ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ .

وقد بدأت بالدعوة إلى تدبير أمور المسلمين فى الهند ، ثم أنتقل إلى جبهة ثانية هى بلاد الأفغان العزيزة ، وهى بلاد معروفة بصمودها فى وجه أعداء الإسلام والمسلمين الرابضين على حدودها فى روسيا ، ولكن الأفغانيين رجال أشداء ، ومجاهدون أقوياء ، لاتهمهم إراقة الدماء ، وهم على استعداد للتضحية بالأرواح والأنفس فى سبيل نصرة بلادهم ودينهم ، فهم أبطال مجاهدون ، لاينقصهم الحماس ، ولا يعوزهم الإخلاص ، وهم يحتاجون إلى التوجيه والإرشاد ، ليوحدوا صفوفهم ويتعاونوا مع زملائهم وإخوانهم المجاهدين فى الأقطار الإسلامية الأخرى ، تحت رعاية الدولة العثمانية العلية ، قلب الخلافة السنية .

وأحب أن أبين بوضوح أن روسيا تكيد للإسلام والمسلمين فى الدول الإسلامية السنية التى تتعلق قلوب شعوبها بدولة الخلافة العلية ، وروسيا لاتتورع عن الكيد لدولة الخلافة نفسها ، ولو قدر لهذه الدولة الباغية أن تنجح فى الكيد لدولة الخلافة ، فإن أخطارا جسيمة ستتعرض لها الشعوب الإسلامية ، ستفزع لها مكة المكرمة حيث يوجد بيت الله الحرام ، أول بيت وضع للناس ، وستهتز لها المدينة المنورة

حيث يوجد قبر سيد الأنام ﷺ فينبغى درء هذه الأخطار .

إن روسيا الكارهة للإسلام لاتريد أن يرفع آذان فى بلد من بلدان الإسلام ، كما تريد أن يتوقف ترتيل القرآن بين المسلمين ، فيجب إحباط مؤامراتها التى تدبرها ضد الإسلام والمسلمين ، حتى تصير كلمة الله هى العليا .

وأريد بعد ذلك أن أتجه إلى بلوشستان لأشحذ همم أهلها ، وأدعوهم إلى الاشتراك فى الجهاد لإنقاذ بلاد الإسلام من كيد الروس ، وقد كان أهل هذا الإقليم من المحاربين الأشداء ، ومن المجاهدين الأقوياء ، غير أنهم تخاذلوا فى السنوات الأخيرة ، واشتغلوا بالإغارة والنهب ، وهى أعمال لاتليق بالمسلمين ، المؤمنين بدينهم العاملين بمبادىء هذا الدين القويم .

كما أتجه إلى التركمان وأدعوهم إلى المشاركة فى الدفاع عن الإسلام ، وقد كان التركمان من المجاهدين المخلصين ، المتمسكين بمبادىء الإسلام ، غير أن المؤامرات الروسية -ضد بلاد التركمان- قد أضعفت قوتهم ، وفرقتهم ، وجعلتهم شيعا ، فنسوا عدوهم الحقيقى ، وتركوا بلادهم تقع فى يد هذا العدو

وينبغى على علماء المسلمين فى كل مكان أن ينبهوا إلى الخطر الذى يحيق ببلاد التركمان ، وبغيرها من بلاد المسلمين -من جانب الروس- وأن يدعوا الشعوب الإسلامية إلى الاتحاد والتكاتف والوقوف صفا واحدا كالبنيان المرصوص فى وجه أعداء الإسلام والمسلمين ، وأن يجاهدوهم بكل ماأوتوا من قوة حتى يحرروا بلاد المسلمين من تسلط هؤلاء الأعداء الغادرين .

إن المسلمين فى الهند وأفغانستان وبلاد التركمان وبلوشستان وماجاورها ينبغى أن يتنبهوا إلى الخطر المحدق بهم من جهة الروس -أعداء الإسلام والمسلمين- وأن يطرحوا الغفلة ، ويهبوا للدفاع عن أوطانهم ومعتقداتهم قبل أن يفوت الأوان ، ويحيق بهم الخسران ، ولا ينفع الندم .

إن طوائف المسلمين فى هذه المناطق مشغولة بقتال بعضها البعض من أجل مغانم تافهة ، وهذا التناحر فيما بينها قد صرفها عن التنبه إلى الأخطار التى تتعرض لها من جهة عدوها الحقيقى فى البلاد الروسية القريبة منها ، لهذا أرفع صوتى منبها ومحذرا وداعيا إلى توحيد الصفوف ، ونبذ الخلافات ، للوقوف فى وجه هذا العدو

اللعين ، عدو الإسلام والمسلمين .

وأنا أكتب إليكم أيها الأمير العظيم باعتباركم أحد المسئولين فى الدولة العلية ، لتبادر دولة الخلافة بالنظر إلى هذه الشعوب الإسلامية -فى الهند وأفغانستان وبلوشستان وبلاد التركمان- بعين الرعاية ، وأن تعمل على توحيد صفوفهم ، ليكونوا على قلب رجل واحد وهم يواجهون عدوهم الحقيقى .

إنى أكتب إليكم أيها الأمير العظيم لتتداركوا الموقف وتعملوا على درء الخطر عن الإسلام والمسلمين ، فإذا اقتنعتم بصدق وصحة ماذكرت ، فأرجو أن ترسلوا لى مبلغا من المال لإنفاقه فى توحيد صفوف المسلمين والاتصال بهم ودعوتهم إلى التعاون من أجل الدفاع عن بيضة الإسلام والمسلمين ، كما أرجو أن ترسلوا لى تفويضا كتابيا رسميا بالقيام بهذه المهمة الجليلة ، حتى أستطيع الاتصال بزعماء المسلمين وأمرائهم فى أفغانستان وبلوشستان وبلاد التركمان والهند ، ويكون اتصالى بهم بأمر من دولة الخلافة العلية ، كما أستطيع أن أوصل إليهم معونة مالية تساعدهم فى مهمتهم ، فإذا وجدتنى الدولة العلية أهلا لأن أقوم بمثل هذه المهمة الجليلة ، فأرجو أن تزودنى بالمال وبتفويض رسمى أستطيع أن أتحرك به بصورة مشروعة ومقبولة من زعماء المسلمين فى هذه البلاد .

وأنا دائما فى خدمة الإسلام والمسلمين ، ويشرفنى أن أتعاون مع الدولة العلية من أجل تحقيق مقاصدها السنية ، وأهدافها السامية ، ونصرة الإسلام والمسلمين بتوفيق من رب العالمين ، ﴿ إنه نعم المولى ونعم النصير .. ﴾

نقد وتعليق :

واضح من هذا الخطاب -الذى أرسله جمال الدين إلى أحد كبار المسئولين فى الدولة العثمانية- أن جمال الدين يتحدث بروح إسلامية حريصة على إنقاذ دول العالم الإسلامى المختلفة مما يتهددها من أخطار خارجية ، تعصف باستقلالها ، وتنال من حريتها ووحدتها .

ويبدو من الخطاب المذكور -كذلك- أن جمال الدين يعتقد أن روسيا هى مصدر الأخطار التى تهدد الهند وبلوشستان وأفغانستان وتركستان بل تهدد تركيا نفسها ، وهى مقر الدولة العثمانية ، دولة الخلافة الإسلامية السنية .

ومعروف أن روسيا –فى ذلك الوقت– كانت تحت حكم القياصرة ، أى قبل قيام النظام الشيوعي الملحد فيها ، بينما كان السلطان العثمانى –منذ عهد سليم الأول– هو خليفة المسلمين وأمير المؤمنين .

فجمال الدين كان يعتقد أن روسيا القيصرية التى تدين بالنصرانية امتداد للصليبية ، وأنها تسعى للسيطرة على دول العالم الإسلامى القريبة منها ، وأكثر المسلمين فى هذه الدول من أتباع المذهب السنى الذى تعد الدولة العثمانية راعية له ، لأنها دولة الخلافة الإسلامية السنية ، فهى مسئولة عن الشعوب الإسلامية فى الهند وبلوشستان وأفغانستان وينبغى عليها أن ترعى هذه الشعوب ، وتحميها من الأخطار التى تتعرض لها من جانب روسيا .

ومعروف –كذلك– أن العلاقات بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية فى تركيا لم تكن ودية ، فكانت الحروب تشتعل نيرانها بين الدولتين بين حين وآخر ، وكانتا تتبادلان النصر والهزيمة ، غير أن كفة روسيا القيصرية كانت هى الأرجح فى أكثر الأوقات ، مما جعل روسيا القيصرية خطرا يهدد الدولة العثمانية نفسها ، وكذلك دعا جمال الدين فى خطابه إلى المسئول التركى الكبير إلى التَنَبُّه للخطر الروسى ، والعمل على إنقاذ الشعوب الإسلامية القريبة من روسيا من هذا الخطر ، كما دعا جمال الدين قادة الشعوب الإسلامية المهددة بالخطر إلى اليقظة ونبذ الخلاف والفرقة ، وتوحيد صفوف المسلمين ، ليقفوا كتلة واحدة فى وجه عدوهم الحقيقى روسيا القيصرية .

والملاحظ أن جمال الدين لم يشر من قريب أو بعيد –فى خطابه المذكور– إلى عدو آخر ، أو خطر آخر يهدد المسلمين فى آسيا غير العدو الروسى وخطره فى حين أن الخطر الإنجليزى كان أكثر تهديدا ـــ فى آسيا ـــ من الخطر الروسى ، لأن إنجلترا كانت تحتل شبه القارة الهندية منذ أكثر من قرن –فى ذلك الوقت– وكان الحاكم الإنجليزى فى الهند يتآمر مع الهندوس ضد المسلمين فى هذه البلاد ، تطبيقا للسياسة الإنجليزية الاستعمارية المعروفة «فرق تسد» ، وكان المسلمون فى شبه القارة الهندية يعانون ويلات كثيرة من جراء هذه السياسة الإنجليزية .

كما كان للإنجليز –فى ذلك الوقت– نفوذ كبير فى كل من أفغانستان وإيران ، وكان تأثيرهم على الدولة العثمانية أقوى من تأثير روسيا القيصرية على هذه الدولة ،

وكان الإنجليز أرسخ قدما فى ميدان الاستعمار من الروس .

فلماذا لم يشر جمال الدين من قريب أو بعيد إلى خطر الاستعمار الإنجليزى على الشعوب الإسلامية فى القارة الأسيوية ؟..

إن الإجابة عن هذا السؤال -فى رأيى- مهمة فى دراسة جمال الدين نفسه ، وكشف بعض تصرفاته ، وبيان حقيقته ، وتفسير سلوكه .

وأقول — وبالله التوفيق — إجابة عن السؤال المذكور إن جمال الدين لم يذكر خطر الاستعمار الإنجليزى على الشعوب الإسلامية فى القارة الآسيوية، ولم ينبه زعماء المسلمين فى آسيا أو المسئولين فى الدولة العثمانية إلى هذا الخطر، لأنه يستعين بإنجلترا فى تسهيل زياراته للدول الإسلامية المختلفة التى زارها، وقضى فيها مدة كأفغانستان والهند وإيران ومصر وتركيا، فكان ممثلوا إنجلترا فى هذه الدول يرعونه ويسرون مهمته وتحركاته وأسفاره، فلم يكن منطقيا أن يهاجم جمال الدين دولة ترعاه، وتيسر زياراته وتحركاته فى دول لإنجلترا فيها نفوذ يمكنها من رعاية جمال الدين، وتيسير زياراته، وتحقيق رغباته فى الاتصال بالمسئولين فى هذه الدول، وإلقاء المحاضرات فى الأوساط المختلفة، وكتابة المقالات فى الصحف والمجلات واتخاذ التلاميذ والمريدين فى سائر البلاد الإسلامية التى تيسرت له زيارتها والإقامة فيها حينا من الدهر.

وعلى كل حال فإن عدم الإشارة إلى الخطر الإنجليزى فى خطاب جمال الدين إلى المسئول التركى الكبير وعدم التنبيه إلى هذا الخطر يعد أمرا لافتاً للنظر مالم يكن سببه ماذكرنا.

ومما يلفت النظر — أيضا — أن جمال الدين يبدو — فى الخطاب المذكور — فى صورة زعيم إسلامى على مستوى العالم الإسلامى كله ، ويعد نفسه راعيا للشعوب الإسلامية فى القارة الآسيوية ، ومسئولا عن رعيته ، فهو ينبه الدولة العثمانية إلى ما ينبغى أن تفعله تجاه هذه الشعوب ، ويطلب تزويده بالمال ، وتفويضه رسميا للاتصال بقادة المسلمين فى الهند وبلوشستان وأفغانستان وتركستان ويبدو فى الخطاب — كذلك — أنه واثق من نفسه ، وأنه مطمئن إلى إجابة المسئولين فى الدولة العثمانية لطلبه .

ونقرأ الآن خطابا آخر أرسله جمال الدين إلى السلطان العثمانى خليفة المسلمين وأمير المؤمنين فى عصره، حتى تزداد الصورة وضوحا، وتزداد حقيقة جمال الدين ظهورا.

ب – خطاب جمال الدين إلى ملك إيران ناصر الدين شاه :

صورة هذا الخطاب وجدت فى الحقيبة اليدوية التى كان جمال الدين يحملها فى أثناء أسفاره ، وكان هذا الخطاب ضمن مجموعة من الأوراق الخاصة التى عثر عليها فى حقيبة جمال الدين ، وقد نشر نص هذا الخطاب فى بعض الكتب التى تناولت مراحل حياة جمال الدين المختلفة وتعرضت لرحلاته وأسفاره ، وزياراته للدول الإسلامية والأوربية المختلفة ، وتحدثت عن صلاته وعلاقاته بالمسئولين ومشاهير الرجال فى هذه الدول .

وقد نشرت صورة الخطاب المذكور فى كتاب «مجموعة وثائق ومذكرات خاصة» .

وفيما يلى ترجمة الخطاب ، وسننشر فى هذا الكتاب صورة الخطاب ، مع نقد الخطاب والتعليق عليه .

«أعرض على السدة السنية العالية والعتبة الرفيعة السامية حضرة صاحب الجلالة الامبراطور حامى حمى الإسلام .. أيده الله بالعدل ، ونصره بالحق ، وسيَّرت دولته بالحكمة ، وصانها بقدرته عن كيد المختلسين ، وحفظها بإرادته من مكر الخائنين والمنافقين ، وأعز بعزائمه دياره وسائر ديار المسلمين .. أننى حين كنت ضيفا فى رحابكم الكريمة ، أحظى بالتكريم والتشريف ، وأفخر بملازمة ركابكم الميمون الخطوات ، صدر لى أمركم السامى الواجب الطاعة بأن أرحل إلى بطرسبرج[1] للقيام بمهمة جليلة هى معالجة بعض الأمور ، فامتثلت الأمر الكريم ، وسافرت إلى بطرسبرج لإنجاز هذه المهمة ، على أن أعود بعدها إلى إيران لأعرض نتيجة ماقمت به على جلالتكم ، وأسأل الله أن يقيم بكم دعائم العدل ، وقد استحسنتم ـ جلالتكم ـ أن يقوم مثلى بهذه المهمة ، وقد تحدث الوزير معى خمس ساعات بشأنها فى ليلة سفرى ، وهى تتلخص فيما يلى :

أولا : أن الحكومة الروسية وأصحاب الصحف والصحفيين فى روسيا ليس لهم الحق فى أن يغضبوا إذا حافظت إيران على حقوقها ، ولا يحق لهم ـ كذلك ـ أن ينتقلوا من مرحلة الغضب إلى النقد الشديد والهجوم على إيران فى تصريحاتهم وفى صحفهم ، بصورة تتنافى مع التقاليد المرعية بين الدول التى تربطها صلة الجوار ، وتقرب بينها

(١) مدينة بطرسبرج هى مدينة لينجراد الحالية .

الحدود المشتركة ، فلا داعى ولا مبرر للثورة العارمة التى تجتاح أصحاب الصحف ورؤساء تحريرها ، وتخرجهم عن حدود اللياقة ، وتجعلهم يكدرون صفو العلاقة بين بلادنا وبلادهم .

ثانيا : أن مسألة نهر كارون وإنشاء مصرف وشراء المعادن الموجودة لدينا أمور ينبغى التفاوض بشأنها بما يحقق تقوية العلاقات بين إيران وروسيا ، ولايتعارض مع سيادة إيران ، ويجب أن يتم التفاوض — بصراحة — مع المسئولين فى الحكومة الروسية ، ومع رجال وزارة الخارجية الروسية فور وصولى إلى مدينة بطرسبرج وسأعمل على تهدئة خواطر المسئولين الروس ، وإفهام هؤلاء المسئولين أن دولتنا — إيران — حريصة على تحسين العلاقات بينها وبين جارتها العظمى روسيا بكل وسيلة ممكنة ، وأن أية مسألة تهم الدولتين من الممكن تسويتها ، عن طريق مفاوضات يسودها الود ، وحسن التفاهم ، وسأبذل غاية جهدى لإقناعهم بهذا ، فى أثناء مباحثاتى معهم فى بطرسبرج .

وأرى أن الخلاف حول نهر كارون وإنشاء مصرف وشراء المعادن الموجودة لدينا من السهل تسويته إذا خلصت النوايا وصح العزم من المفاوضين الروس وقد بدا من تصريحات مستشارى وزارة الخارجية الروسية أن الحكومة الروسية راغبة فى حل الخلاف بينها وبيننا بالتفاهم ، والمنطق الحسن الحكيم ، وأنه من الممكن الوصول إلى نتيجة مرضية للطرفين فى خلال أيام قليلة ، وهذا استعداد طيب ، يدعو إلى التفاؤل ، ويزيدنا ثقة فى نجاح مهمتى فى بطرسبرج .

وقد عزمت على الرحيل إلى بطرسبرج — وأنا العبد العاجز — وكلى أمل فى أن أحقق مايصبو إليه الوزير ومايرضى به جلالة الامبراطور العظيم حامى حمى الإسلام .

وسأحاول الاستعانة بأصدقائى فى هذه البلاد من المسئولين ، الذين يساهمون فى توجيه دفة السياسة فى الشرق والغرب ، مثل الجنرال ابروتشيف فى وزارة الحربية ، والجنرال ريختر فى وزارة البلاط ، والجنرال أخناتييف الذى كان — سابقا — سفير روسيا فى استانبول ، ومدام نويكوف وهى من الشخصيات البارزة التى لها كلمة نافذة فى الدولة وهى تشترك — غالبا — فى تسوية المسائل السياسية بين روسيا وانجلترا ، وأنا على صلة طيبة بها ، وهى تحاول أن تتفق معى

فى الرأى فى المسائل السياسية المشار إليها ، وقد قابلت ـــ قبل سفرى هذا إلى بطرسبرج ـــ مستشارى وزارة الخارجية الروسية ، عشرين مرة فى خلال الشهرين السابقين على سفرى .

لهذا أنا أقدم على هذا السفر وأنا واثق من أننى سأحقق ـــ بعون الله ـــ مايصبو إليه الوزير ، وما يرضى به جلالة الامبراطور المعظم ، لأننى أعلم أن المسئولين الروس عندهم رغبة صادقة فى تصفية الأمور ـــ موضع الخلاف بينها وبين إيران ـــ بالروح الودية ، حتى تتعاون الدولتان فى كل مايعود عليهما بالخير ، والأمل كبير فى تصفية جميع المسائل بما فيها مسألة تركستان والخطر الذى يتهددها من جانب روسيا ، والله يسدد خطى جلالة الامبراطور المعظم حامى حمى الإسلام ويرعاه .

وحين أرى أن مطلبنا الأصلى مستحب ومقبول وأنه قد حدث تحول فى رأيهم ، وأطفئت نار غضبهم ، سأعرض عليهم ماقاله الوزير المعظم لى ـــ فى ميونخ ـــ من أن إيران مستعدة أن تتفاهم مع الروس ، بالوسائل السلمية ـــ دون لجوء إلى خصام أو قتال ـــ فى المسائل المختلف عليها المتعلقة بنهر كارون وإنشاء مصرف وشراء المعادن ، وفى هذه الحالة تقر إيران إيجاد توازن بين إنجلترا وروسيا فى بلادنا ، بحيث تكون صلاتنا بهاتين الدولتين فى مستوى واحد ، فلا تصطدم مصالح إحداهما بمصالح الأخرى فى إيران ، وأستطيع أن أقول هذا للمسئولين الروس على لسان الوزير المعظم ، وأصحح نظرتهم إلى الوزير ، وقد صرحت بهذا كتابة فى بطرسبرج ، وسأبين لهم أن ماصرحت به هو آخر رأى استقرت عليه إيران بغية تحسين علاقاتها مع روسيا ، ورغبة منها فى حل الخلافات بين الدولتين الجارتين بالوسائل السلمية .

وقد رد وزير الخارجية ـــ اكيروس ـــ ومستشاروه على تصريحى بقولهم إنه إذا كان الوزير الإيرانى حسن النية إلى هذه الدرجة ، ولديه استعداد لحل الخلافات بين إيران وروسيا بالوسائل السلمية ، فينبغى أن نتشاور ـــ أولا ـــ مع وزير الحربية ووزير المالية فى الخطوة القادمة التى نخطوها للالتقاء ـــ مع إيران ـــ فى طريق حل جميع المسائل المعلقة التى هى موضع خلاف بين الدولتين ، وسنعرض الأمر كله ـــ بعد ذلك ـــ على جلالة القيصر ، لأخذ موافقته على هذه الخطوة ،

ثم نرسل ــ فور موافقته ــ مندوبين عن روسيا ، للتفاوض مع الوزير الإيرانى ، وإبلاغه وجهة نظرنا واستعداد روسيا لتحسين علاقاتها مع إيران ، وحل الخلافات الحالية الموجودة بين الدولتين بالوسائل السلمية .

وهكذا تسير الأمور إلى أحسن ، وتنقشع الغيوم التى خيمت على سماء العلاقات بيننا وبين روسيا ، وهذا ــ فى رأيى ــ أفضل بالنسبة لإيران .

وقد قمت بعد ذلك بالتشاور مع المسئولين الروس مرات عديدة وتبين لى ــ على ضوء محادثاتى ومشاوراتى ــ أنهم راغبون ــ فعلا ــ فى حل المسائل المختلف عليها بالوسائل السلمية ، لأنهم قالوا لى : «إذا كان الوزير الإيرانى راغبا ــ حقا ــ فى التفاوض معنا بروح جديدة ورغبة أكيدة فى حل المشاكل الحالية بالوسائل السلمية ، دون لجوء إلى الإمعان فى الخصام أو الاشتباك فى قتال ، فإننا على استعداد للالتقاء به ، والتفاوض معه بالصورة التى يفضلها» .

وكان كلامهم واضحا ، وبلهجة تنم عن صدق نواياهم ، ورغبتهم فى التفاهم والوفاق .

وقد صرت أنا ــ العبد الضعيف العاجز ــ مسرورا غاية السرور بعد الوصول إلى هذه النتيجة الطيبة ، وسعدت بأننى استطعت بمفردى ــ بتوفيق من الله ــ أن أؤدى هذه الخدمة لدولتى التى هى دولة الإسلام والمسلمين ، كما استطعت ــ بفضل من الله وتوفيقه ــ أن أقف على نوايا واتجاهات الروس ومنهجهم السياسى فى الشرق بعامة ، ولعل ماقمت به فى هذا الميدان كاف لإدخال السرور على قلب الوزير المعظم وإسعاده ، وكسب رضائه علىَّ .

وحينما وصلت إلى طهران ، توقفت فى خارج المدينة ، حيث التقيت بالوزير ، وأطلعته على ماقمت به ، والنتيجة التى استطعت الوصول إليها مع المسئولين الروس ، وقد خصص الوزير المعظم لى منزل الحاج محمد حسن أمين الضرب لأقيم فيه ، وقد مكثت فى هذا المنزل ثلاثة أشهر كاملة ، فلم أغادره إلا مرة واحدة حين دعيت للمثول فى حضرة جلالة الامبراطور المعظم ــ حامى حمى الإسلام ــ وكانت هذه الدعوة الكريمة تفضلا من جلالته ، وكان تشرفى بمقابلته ، من دواعى فخرى ومباهاتى بهذه المقابلة ، وسعادتى الدائمة بلقائه ، وقد

عرضت على جلالته مادار بينى وبين المسئولين الروس ، والنتيجة الطيبة التى وصلت إليها محادثاتى معهم .

وفى أثناء هذه المدة التى أقمتها فى منزل الحاج محمد حسن أمين الضرب ، لم يزرنى الوزير المعظم ، ولم يسأل عنى بوسيلة من الوسائل ، ولم يحاول الحديث معى فى المهمة التى قمت بها فى بطرسبرج ، وفى رأيه فى النتيجة التى توصلت إليها.

صحيح أن بعض أعوان الوزير المعظم كانوا يزورونني بين حين وآخر ، ولكنهم كانوا يظهرون لى أن زيارتهم بصفة شخصية ، للسؤال عنى والاطمئنان على أحوالى ، كما أن بعض المتصلين بالوزير كانوا يعقدون لقاءات معى بصفة شخصية ـ كذلك ـ لا بصفة رسمية ، أو بتكليف من الوزير المعظم .

ولما طالت مدة إقامتى ، سألت عن حقيقة الأمر ، بعد أن أهملنى الوزير إهمالا تاما ، ولم يحاول الاتصال بى ، أو الاستفسار عن أحوالى ، بعد كل ماقمت به من محادثات واتصالات فى بطرسبرج ، مما يدل على إهماله وعدم اكتراثه بالأمور ، وعلمت أن المسئولين الروس فسروا عدم اكتراث الوزير على أنه نوع من المخادعة ، وحيلة من الحيل التى يراد بها تخدير الخصم، وتبيُّن نواياه، والمسلك الذى ينوى سلوكه.

وقد ساء الروس هذا التصرف المعيب من جانب الوزير وهذا الاستهتار بالأمور ، فكتبوا إلى سفارتهم فى طهران قائلين : «إن الوزير أرسل السيد جمال الدين فى مهمة خاصة إلى بطرسبرج لإجراء مباحثات مع المسئولين الروس حول المسائل موضع الخلافات ـ حاليا ـ بين روسيا وإيران ، وخيل للمسئولين الروس أن السيد جمال الدين جاء بصفة رسمية ، فقابلوه وتباحثوا معه ، وعرضوا استعدادهم للتفاهم وحل الخلافات التى بين إيران وروسيا ـ حاليا ـ بالوسائل السلمية ، ثم تبين بعد ذلك السيد جمال الدين جاء إلى بطرسبرج بصفة شخصية ، وأنه لم يكلف بمهمة رسمية ، وبناء على ذلك أبلغوا الوزير أنه إذا أراد أن يتباحث مع المسئولين الروس ـ بصفة رسمية ـ فينبغى عليه أن يتصل بالسفارة الروسية فى طهران ، ويطلب الالتقاء بالمسئولين الروس ، أو أن يطلب هذا ـ بالوسائل الدبلوماسية ـ عن طريق سفارة إيران فى بلادنا ، أما مادار من مباحثات بيننا وبين السيد جمال الدين ، فيعد لاغيا ـ كأنه لم يكن ـ كما أن ماعرضه السيد جمال الدين علينا ليس مقبولا الآن بعد موقف الوزير منه» .

وهكذا ضاعت جهودى ، وذهبت أدراج الرياح «ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم» وأنا أشكو همى إلى الله ، ولا يسعنى إلا أن أعرض الأمر ـ برمته ـ على جلالة الامبراطور المعظم حامى حمى الإسلام ، ليتصرف فيه بما يراه ، والله يوفقه ويرعاه .

ولما اطلع الوزير على مضمون البرقية التى أرسلتها وزارة الخارجية الروسية إلى السفارة الروسية فى طهران ،ـــ وهو ماذكرناه قبل هذا ـــ لم يكترث كثيراً، ولم يبادر بإبلاغ الروس أنه راغب فى التفاوض معهم وحل المسائل ـــ موضع الخلاف بين روسيا وإيران ـ بالوسائل السلمية ، بل صرح بأنه لم يرسل السيد جمال الدين إلى بطرسبرج ، ولم يكلفه بأية مهمة رسمية ، وأنه غير مسئول وغير ملتزم بما يقوله السيد جمال الدين .

وهكذا ازداد الموقف تأزما «وإنا لله وإنا إليه راجعون» فلقد نسف الوزير بمسلكه هذا كل ما استطعت التوصل إليه من نجاح فى مباحثاتى فى بطرسبرج مع عدد من المسئولين الروس ، وعدنا كما بدأنا نواجه مشاكل عديدة ، وندور حول أنفسنا بعد أن سد الوزير الطريق الصحيح إلى حل المشاكل القائمة ، وتحقيق الطمأنينة والاستقرار فى البلاد .

والأعجب من هذا كله أن جلالة الامبراطور المعظم الذى كان يعلم بمهمتى فى بطرسبرج ، والذى عرضت عليه مادار من مباحثات بينى وبين عدد من المسئولين الروس وما توصلت إليه من نتائج .. أقول الأعجب من هذا كله أن جلالة الامبراطور المعظم أرسل إلى مع الحاج محمد حسن أمين الضرب رسالة مؤداها أننى غير مرغوب فى بقائى فى إيران ، فيجب أن أغادر البلاد ـــ فى أسرع وقت ممكن ـــ لأننى قمت بعمل فى بطرسبرج لم أكلف به رسميا ، وإنما فعلته من تلقاء نفسى وتجاوزت فيه حدى .

وواضح أن الوزير استطاع بمكره وحيله أن يؤثر فى جلالة الامبراطور المعظم ، وأن يغير رأيه فىّ ، إلى درجة أنه غضب علىّ ، وأمر بإخراجى من البلاد ، بعد كل ماقمت به من خدمات لبلادى ، من أجل إنقاذها وإنقاذ بلاد المسلمين من كيد الأعداء والطامعين .

«ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وسبحان الله وهو نعم المولى ونعم النصير ، وهو خير حافظ ، وأرحم الراحمين وهو العلى القدير» .

نقد وتعليق :

هذا الخطاب قاطع الدلالة على أن جمال الدين إيرانى شيعى ، فقد صرح فى الخطاب ــ أكثر من مرة ــ بما يثبت أنه إيرانى الأصل ، فيذكر إيران على أنها بلاده ، وعن المشاكل بقوله مشاكلنا .

كما أن سفره إلى بطرسبرج ، ومباحثاته مع عدد من المسئولين الروس فى المسائل ــ موضع الخلاف بين إيران وروسيا ــ دليل واضح على أنه إيرانى شيعى المذهب ، فلا يعقل أن يذهب شخص إلى دولة عظمى كروسيا ، وأن يقابل مسئولين فيها ، ويتباحث معهم فى مسائل موضع خلاف بين هذه الدولة وبين دولة أخرى جارة لها هى إيران ، دون أن يكون إيرانيا ، سواء أكان سفره بصورة رسمية ــ كما صرح بذلك فى خطابه ــ أم كان بصفة شخصية كما اتهمه بذلك الوزير ، واستطاع أن يقنع الامبراطور ناصر الدين شاه بأنه سافر إلى بطرسبرج من تلقاء نفسه دون أن يكلفه أحد بذلك .

إن تصرفا كهذا من المستبعد أن يقوم به غير إيرانى مهما كان الباعث إليه ، فكيف يقدم شخص غير إيرانى على التحدث باسم إيران فى مسائل حساسة موضع خلاف بين إيران ودولة أخرى ــ من الدول الكبرى فى العالم ــ كمسألة نهر كارون ، ومسألة إنشاء مصرف ، ومسألة شراء المعادن ، إن هذا أمر لايمكن أن يحدث إلا إذا كان الشخص من نفس الدولة التى يتحدث باسمها ، ويتفاوض باعتباره مندوبا عنها ، سواء قام بهذه المهمة من تلقاء نفسه أو كُلف بالقيام بها بواسطة الصدر الأعظم فى دولته .

وقيام جمال الدين بهذه المهمة يدل ــ كذلك ــ على مكانته ، وسمو قدره ، لأنه لايعقل أن يذهب شخص عادى إلى دولة كبرى ليتحدث باسم بلاده فى أمور حساسة بالغة الأهمية ، بل إن العقل السليم والمنطق المستقيم يقرران أن يكون الشخص الذى يقوم بمثل هذه المهمة شخصا عظيم القدر ، رفيع المنزلة ، له وزنه فى بلده الذى يمثله بصفة رسمية أو شخصية ، حتى يحظى بتقدير واهتمام فى الدولة التى يمثل بلده فيها .

كما أن الأعراف الدبلوماسية المعمول بها بين الدول تحدد ــ كذلك ــ نوع التمثيل بين الدول ، ودرجة هذا التمثيل ، فلا يمكن أن يذهب شخص كائنا من كان

إلى دولة عظمى أو صغرى ليمثل بلاده فيها .

والخطاب الذى ـــ ذكرنا نصه ـــ يدل دلالة واضحة على أن جمال الدين شخص له مكانة عظيمة ، وأنه كان موضع التقدير فى كل من إيران وروسيا القيصرية ، والدليل على هذا التقدير مقابلته لعدد من المسئولين الكبار فى روسيا والتباحث معهم ، ومقابلته لامبراطور إيران بعد عودته من بطرسبرج إلى طهران ، إلى جانب مقابلته للوزير ، ثم إن خوف الوزير والامبراطور من بقائه فى إيران والعمل على إخراجه من البلاد دليل على علو قدره ، ورفيع منزلته ، لأنه لو كان شخصا عاديا ماهتم المسئولون به هذا الاهتمام ، ولما خشوا بقاءه فى إيران .

ومن الأدلة التى تضمنها الخطاب المذكور لإثبات أن جمال الدين إيرانى الأصل شيعى المذهب ، مابدا فى ثنايا الخطاب من تملق جمال الدين لناصر الدين شاه امبراطور إيران فى ذلك الوقت ، فقد وصف جمال الدين ناصر الدين شاه بأنه حامى حمى الإسلام وبأن إيران بلاد الإسلام والمسلمين ، ألا يدل هذا على أن جمال الدين إيرانى الأصل شيعى المذهب ؟! .

إن جمال الدين الذى يصف ناصر الدين شاه بهذه الأوصاف هو أكبر المتهمين بتدبير المؤامرة التى انتهت باغتيال ناصر الدين شاه ، وهى المؤامرة التى دفعت مظفر الدين شاه ابن ناصر الدين شاه إلى تعقب جمال الدين وإرسال مذكرة إلى السلطان عبد الحميد العثمانى تثبت أن جمال الدين إيرانى الأصل شيعى المذهب ، يتخفى فى زى سنى ، ويتخذ من لقب الأفغانى ستارا يخفى به أصله ومذهبه الحقيقيين ، وكانت هذه المذكرة سببا فى تغيير رأى السلطان عبد الحميد فى جمال الدين ورغبته فى التخلص منه ، وانتهى الأمر بدس السم فى طعام قُدِّم لجمال الدين ، وإنهاء حياته بهذه الوسيلة .

ومهما يكن من شىء فإن الخطاب المذكور يدل ـــ بعد هذا كله ـــ على أن جمال الدين كان شخصية عظيمة القدر ، رفيعة الشأن فى إيران والهند وأفغانستان وتركيا وروسيا ومصر ، وجميع البلاد التى زارها وأنه كان يعامل على أنه رجل من رجالات عصره سواء ذهب إلى دولة بصورة رسمية ، أو بصفة شخصية ، فكان وجوده فى دولة ما كفيلا بالاهتمام به ، وإظهار التقدير له ، فكان يستطيع ـــ بهذه الصفة ـــ أن يقابل المسئولين وعلية القوم فى هذه الدولة ، بكل سهولة ويسر ، كما

كان المثقفون وأصحاب الجاه ، يسعون إليه ، ويحرصون على الالتقاء به ، والاستفادة من علمه ورجاحة عقله ، وقد لوحظت هذه الظواهر فى جميع الدول التى زارها جمال الدين فى الشرق والغرب على السواء ، مما يدل دلالة واضحة على أنه كان من مشاهير عصره ، لأن الناس لا تهرع إلى لقاء كل شخص يزور بلدا من البلاد ، ولا يحدث هذا إلا مع مشاهير الرجال .

وقد كان جمال الدين — فى أثناء كتابة الخطاب المذكور — قد قارب الخمسين من عمره ، وكانت شهرته قد ذاعت فى الشرق والغرب ، فكان فعلا من رجالات العصر ، الذين يصلحون للقيام بالمهمات العظيمة ، بصفة شخصية أو بصورة رسمية ، فقد لاحظنا من الخطاب — المشار إليه — أن جمال الدين يستعمل الكياسة واللباقة فى التباحث مع عدد من المسئولين الروس ، ويتحدث عن ضرورة حل المشاكل بالوسائل السلمية ، وتجنب اللجوء إلى الخصام والقتال ، ويبدى مرونة فى مناقشة المسائل الحساسة من أجل مصلحة بلده ، ولا يوجه نقدا إلى الروس ، بينما هو فى رسالته السابقة التى وجهها إلى أحد كبار رجال الدولة العثمانية ، انتقد الروس وهاجم خططهم الاستعمارية ضد تركستان وأفغانستان والمسلمين فى وسط آسيا ، وهذا يدل على أن جمال الدين يكيف حديثه حسب الظروف ، ويجعل لكل مقام مقالا

ونسجل — الآن — وثيقة أخرى ، وننشر صورتها بخط جمال الدين ، وهى تضم خمسة خطابات باللغة العربية ، كتبها جمال الدين — فى أثناء عبوره من قناة السويس — إلى أشخاص مهمين عظيمى القدر ، رفيعى الشأن ، ولكنه لم يذكر اسم أى واحد من هؤلاء الأشخاص .

وقد كان جمال الدين يعبر قناة السويس فى طريقه إلى أوربا قادما من الهند ، ويبدو أن هذا العبور كان فى عام ١٨٨٠ — كما ذكرنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب — وفيما يلى نص هذه الخطابات ، ونقدها ، والتعليق عليها ، كما سننشر صورها ، حتى يزول كل لبس ، وتتضح الحقيقة واضحة جلية ، والله الموفق والهادى إلى طريق الصواب والرشاد .

حـ ــ نص الخطابات العربية المكتوبة بخط جمال الدين :

الخطاب الأول :

«مولاى .. أنت الحق .. لاتحيد من الرشد ، ولاتميد عن السداد ، ولا تتهاون فى فريضة العدل ، ولا تقصر فى واجبات كمال النفس وطهارتها ، وتصدع بالصدق ، وتقول الحق ، لايأخذك فيه لومة لائم ، ولايلويك عنه ريبة ظالم ، ولا يصدك[1] خشية غاشم ، ولا تكتم شهادة خوفا من الجائرين ، واسترضاء للخائنين ، وأنت كنت تعلم حقيقة مجلسنا وأساسه ، وسبب وقوع الفساد فيه ، ماخفى عليك شيء ، وكنت عارفا بواقع أمرى ، مُطَّلعا على سريرتى وسرى ، فكيف صبرت مع كونك مجبولا على الحق ، مقصورا[2] على حمايته ، أن ينسب إلىّ عثمان باشا الضابط مانسب من الأكاذيب والافتعالات ، وقال افتراء وكذبا إنى كنت رئيسا على مجمع قد وضع أساسه على فساد الدين والدنيا ، حتى اذعن الخديوى بلا رؤية إلى قوله ، فأمر بنفيى بأشنع صورة .

أمثلك يهاب أن يقول الحق ، ويخشى أن يصدع بالصدق ؟!...

أمثلك يكتم الشهادة ؟!...

أمثلك يرى الظلم ويتهاون فى رفعه ويتقاصر فى دفعه ؟! ...

حاشاك ..حاشاك .. ماهكذا الظن بك ولك .. ثم يامولاى أرسلتُ (العارف) إلى صاحب الدولة رياض باشا لقبض أموالى وكتبى التى بقيت فى مصر ، فأرجو رجاء من يعتقد أنك أهل للكل أن تنظر إليه بنظر عنايتك كما هى سجيتك وعادتك ، وأنا الآن فى القنال ، أذهب إلى لندن ومنها إلى باريس مسلما عليكم سلام المشتاق إليكم»

الخطاب الثانى :

«مولاى .. إن نسبتك هى «لا هوادة فى الحق» وأنت تقدمت على غيرك فى هذا ، فهو أمر فطرت عليه ، فأنت تخوض الغمرات فى سبيل الوصول إلى الحق ، وهذا يقينى فيك ، ومابعته يوما بالشك ولو رأيت منك يوما انحرافا عن الرشد ،

---

(١) كانت فى الأصل «يسدك» والناطقون بالفارسية ينطقون الصاد سينا .

(٢) كانت فى الأصل «مقسورا» والناطقون بالفارسية ينطقون الصاد سينا .

وجورا عن القصد ، ماصدقت ، فأنا موقن أنك لازلت على السداد غير مفرط ولا مفرِّط ، ولو قلت غير ذلك فقد استبدلت علمى بالجهل ، ولو قلت إنك من الذين تأخذهم فى الحق لومة لائم ، وتصدهم[1] عن الصدق خشية ظالم ، وأنت تصدع به ، وتقول الحق غير وانٍ ولا ضجِر ، ولو ألّب الباطل عليك الكوارث المردية وأغرى بك الخطوب الموبقة ، لو قلت بهذا لكذبت نفسى وكذبنى من يسمع مقالتى ، لأن العالم والجاهل ، والفطن والغبى كلهم قد أجمعوا على طهارة سجيتك ، ونقاوة سريرتك ، واتفقوا على أن الفضائل حيث أنت ، والحق معك أينما كنت ، لاتفارق المكارم ولو اضطررت ، وأنت مجبول على الخير ، لايحوم الشر حولك أبدا ، ولا يصدر عنك نقيصة قصدا ، ولاتهن فى قضاء حق ، ولاتكف عن شهادة صدق مع بذل وفداء ، غير أنك مع علمك بواقع أمرى وعرفانك بسريرتى وسرى قد قصرت فى حقى وكتمت الشهادة ، وماذدت عن حق كان واجبا عليك حمايته ، ولاصنت عهدا كانت عليك رعايته ، وكتمت الشهادة وأنت تعلم أنى ماأضمرت للخديوى ولاللمصريين شرا ، ولا أسررت لأحد فى خفيات ضميرى ضرا ، وتركتنى بين أنياب الضابط اللئيم النذل عثمان باشا ، فنهشنى نهشا عنيفا ، وأكل لحمى وعظامى ، كما ينهش السبع الهرم العظام ، ضغينة منه على السيد إبراهيم ، وإغراء منه لأعدائى من حزب عبد الحليم باشا . ماهكذا الظن بك ... ولا المعروف من رشدك وسدادك؟! ... وما يطاوعنى لسانى ، وإن كان قلبى قد عفا عنك لعظم منزلتك فى الفضائل ، وشرف مقامك فى الكمالات ، ولهذا أقول : عفا الله عنك وعفا الله عما سلف ، فينبغى عليك ــ الآن ــ أن تصدع بالحق وأنت تنطق بالصدق ، وأن تظهر الشهادة إزاحة للشبهة ، وإدحاضا للباطل ، وإخزاء للشر .

ثم إنى ياموﻻى أذهب الآن إلى لندن ومنها إلى باريس وأرسلت العارف إلى صاحب الدولة رياض باشا لقبض أموالى وكتبى التى بقيت فى مصر ، أرسلت إليه مكتوبا أظهرت فيه تفصيل ماجرى على فى مصر ، وما ابتليت به فى البلاد الهندية .

وأرجو من عميم فضلك وواسع كرمك أن تنظر إلى العارف بنظر العناية ، وأن تساعده فى الأمر الذى أرسل لأجله ، والسلام عليكم وعلى أخى الفاضل أمين بك» .

---

(١) كانت فى الأصل «تسدهم» والناطقون بالفارسية ينطقون الصادسينا

الخطاب الثالث :

«مولاى .. المدح أمانة وخلة كريمة مكنونة ، والوصف إظهار خليقة سنية غير معلومة .. وأنت بكل فضيلة موصوف ، وبكل مكرمة معروف ، والمدح فى ثنائك مهما كثر لايفى بحق مدحك .. كيف وقد وقف دون مقامك منطق الفصحاء .. وإنما أقول إنك فى القطر المصرى لكل البرية أمان ، وللأمة ضمان ، لأنك ترسى دعائم العدل ، فأنت دعامة الحرية ، تحب كل خير بجبلتك ، وتسعى إليه ، ولايأتى منك الشر ، ولو أجبرت عليه ، وليس فى طبعك ظلم أو عدوان ، وليس من الظالمين أخدان ، وأنت الفرد الذى لاترضى بالظلم أينما حل ، وتأبى الجور وإن قل ولك حل ، ولكن مع ماأنت فيه يامولاى وعليه من حب الإنصاف ، وبغض الحيف والاعتساف ، أنت الذى بعدلك وترتنى ، وأنت الذى قتلتنى نصفتك وماثأرتنى ، إن عدلك نهر عثمان باشا حماية عنى ، ونهاه وزجره عن تهمتى ، ولكن أبت النفس الخبيثة إلا الشر ، فاختلق أقوالا ، وافتعل أكاذيب ، وبلغها سيدى الخديوى ، والخديوى — بلا روية وإجالة فكرة — أمر بطردى من الديار المصرية ظلما وجورا ، فإن أنت يامولاى بعدلك لاتأخذ ثأرى ، مع علمك[1] بأنى كنت بريئا من كل تلك التقولات التى نسبها إلى عثمان باشا ، خصوصا بعد ماأغاظ من زجرك إياه ، فماأديت فريضة عدلك ، ولاقضيت حق نصفتك ، وحاشاك أن تكون متهاونا فى الحق ، متقاصرا فى العدل .. ثم يامولاى هاأنا اليوم فى القنال أذهب إلى لندن ومنها إلى باريس وأرسلت خادمى (العارف) إلى جنابكم — جناب الرحمة والعدل — وإلى صاحب الدولة رياض لقبض أموالى وكتبى وشهريتى التى بقيت على الحكومة، والثقة بكم ، والاعتماد عليكم وعليه ، ولا تنس يامولاى أنى مقتول بسيف حمايتك ، ولاتذهل عن فضلك وعدلك والسلام .

ولا تنسى يامولاى أن دينى عليك ، لأن ذاك الخبيث ماقتلنى بسيف عدوانه إلا لأجل حمايتك عنى ، وزجرك إياه» .

الخطاب الرابع :

« مولاى .. ها أنذا اليوم فى القنال إلى لندن ومنها إلى باريس .. مسلما عليكم سلام من أثقلت حقوقكم ظهره ، وممجدا إياكم تمجيدا يكون أداء

(١) كتبت هذه الكلمة فى الأصل «عملك» والصواب ماذكرناه .

لجلالة مقامكم ، وكفاء لعلو شأنكم ، ويعادل عظيم درجتكم فى نزهة النفس ، وطهارة السريرة ونقاوة السيرة ، ويوازى جليل رتبتكم من عقائل الصفات وكرائم الخلائق التى تدثرتم بها ، ومؤديا إلى مدارج الكمال التى صعدتم فيها بالعقل المطبوع ، ونظر صائب يعطى الأمور حقها ، وبما فطرتم عليه من جبلة ، تأبى أن تقف على الظواهر دون أن تبطنها ، وتستنكف بمشاهدتها دون أن تخوضها وتكتنهها.

لاشك أن المصيبة العظمى التى دهمتنى ، والبلية الكبرى التى أصابتنى قد أحطتم علما بها ، وانكشف لكم باطنها عن ظاهرها ، وسرها عن علنها ، وظهرت لديكم خفيتها ، ورمقتم من خلال أستارها حقيقتها ، وعلمتم أنها كانت حيفا على برىء ، جلبتها التهمة على نقى ، ومابقيت حقيقتها ـ حتى الآن ـ تحت ظلال الخفاء محجوبة عن بصيرتكم الثاقبة ، ولا أكنتها خافية عن بصيرتك[1] النافذة فى أطباق الحجب ، تخترق الحجب المظلمة وتهتك أستار العمى ، لأن عقلا محضا ، ولبا صرفا مثلكم لاتغرنه الظواهر ، ولا يصغى إلى نعق ناعق ، ولا يعير سمعه إلى قول مجازف ، ولا تحركه عواصف التقولات ، ولا يزعزعه هبوب الافتعالات ، بل لايمشى فى الحوادث إلا بنوره وهداه ، ولا ينقاد فى الوقائع إلا إلى سلطان برهان أوضح له سبيل الحق وأراه ، لأنه يعلم أن من يأخذ بالظاهر يغتر ويغر ، والذى يتبع كل ناعق يضر نفسه ، وهو بغيره أضر ، وكم لبّس الخبيث المنافق الحق لباس الباطل ، وكم ظهر الباطل بدثار الحق ، وكم تَردَّى الجور برداء العدل ، وكم علّم العدل بعلامة الجور ، وحوشيت أن تكون من الذين عقولهم فى آذانهم ، وأفهامهم فى حاشيتهم وبطانتهم ، يعتقدون مايقولون ، ويقولون مايسمعون ، ثم يجلسون على منصة الحكم فيقضون بلا عقل يرشدهم ، ولا روية تسددهم ، ولا خشية سوء تقعدهم[2] ، ولا ارتياب فى أنكم بما جبلتم عليه من الفطرة النقية ، والطينة الطيبة الرفيعة قد استعظمتم الرزية التى غشيتنى ـ بعدما ظهر لكم من جلية الأمر ـ كما استعظمتم الداهية التى داهمتنى ، بلا جنحة اقترفتها ، فإن من لايستعظم مصيبة العدو ، ولا يستنكر بلية الحيف ، لايأبى أن يأتى بمثل هذه البلية ، ولا يخشى أن يأتى بها ، ولا يبالى أن يكون مصدرها ، وليس فى الحيف صغيرة ولا

---

(١) ذكرت هذه الكلمة فى الأصل «بصرك» والصواب ماذكرنا .

(٢) ذكرت هذه الكلمة فى الأصل «تقدعهم» والصواب ماذكرنا .

كبيرة فإن منشأه سخافة العقل ، وقسوة القلب . وإذا اجتمعت هاتان الخلتان فى رجل ، فقد استوت عنده صغيرته وكبيرته ، حسب كبير انطباعه وصغيره ، لأنه عدول عن الحق ، والحق كله كبير ، وأنت العدل حقا ، والنصفة صدقا ، وهذا هو الذى يمنحك العزة ، ويخلد اسمك ، وأنا موقن أنكم بغريزة عقلكم الثاقبة ، قد علمتم حقيقة تلك المصيبة ، وأسبابها ودواعيها وبواعثها ، ولو اكفهرت سحب التلبيس ، وقول الزور على سماء عقول كثير من الناس ، وبطهارة نفسكم الزكية قد استعظمتم هذا الجور ، واستوحشتم من هذا الضيم ، الذى جنته علينا يد الجهل والقسوة ، وحننتم على هذا المظلوم البرىء حنو القريب على القريب ، وإن قست قلوب الذين لا يعقلون ، لأن الحنانة على المظلومين ، واللهف عليهم إنما تكون بمقدار العدالة وحب النصفة والنفار من العدوان ، وكراهة الجور ، وأنت ـ تعالى مقامك ـ لك القدم الأعلى فى العدالة ، والقدح المعلى فى النصفة ، فأنت كل العدل وكل النصفة وظل الرحمة ، ومع نداء هذا وذاك أريد أن أخبركم بحقيقة هذه البلية المفجعة حتى يكون سمعها كعيانها ، وسرها كإعلانها ، فأقول إن الخديوى كان يحبنى ـ قبل أن ينال المُلك ـ محبة صادقة ، أما أنا فقد كنت وليا لمن والاه ، وعدوا لمن عاداه ، وسلما لمن سالمه ، وحربا لمن عانده ، ولا أزال أقدح من يعاديه ، وآلف من يناديه ، حتى إن الشيخ البكرى واسماعيل باشا ، حقدا علىّ ، وحاول كل منهما أن يثير فتنة بين الناس ضدى ، لتشويه صورتى والإساءة إلى سمعتى ، كما اشترك معهما شاهين باشا فى إثارة الفتنة ضدى ، بادعاء أن لى صلة بجماعة من الإفرنج المسونيين ، وتحرك شاهين باشا وذهب إلى الخديوى ناصحا ومهددا إياه وقال له : «إن المسونيين قد عزموا على قتلك غيلة لأنك تسعى فى إدامة حكومة هذا الظالم ، فاصفر لونه وغلب عليه الخوف ، وحلف أن لا يعين اسماعيل باشا فى شىء ، وأن لا يمتثل له أمرا» .

وأنا شخصيا كنت أتصل بالمسونيين بعلم من الخديوى وطلب منه ، فكان الخديوى كل يوم يرسل إلىّ كاتبه كامل بك قائلا : «إن أفندينا يسلم عليكم ويقول لكم ليس لنا فى هذا الأمر سواك لدفع شر جماعة من الإفرنج المسونيين وأذنابهم ، وهم من حثالة وبقايا الشعوب الماضية ، فهم من بقايا السريانيين الذين كانوا تحت رئاسة عبد الحليم باشا حينما كان رئيسا على مجلس المسون فى القاهرة» .

وأنا حبا فى الخديوى ظاهرتهم بالعداوة ، وقابلتهم بالخصومة ، ورفضت مجلسهم ، أنا ومن كان مثلى مغروزا بحب الخديوى ونبذت رئاسة محفلهم ، وتركت ودادهم ، ومججت ألفتهم ، وأنا الرئيس عليهم من سنين ، وكانوا يحبوننى وأحبهم ، وأوقرهم ويعظمونني ، وكل هذا مافعلته إلا ثقة بحب الخديوى ، حتى إن المسونيين من الإفرنج وأذنابهم حنقوا علىّ ، وجاهرونى بالعداء ولكن الحاسدين والكارهين لقربى من الخديوى دسوا لى عنده ، وزيفوا حقيقة موقفى من المسونيين ، وصوروا له أننى رأسهم المفكرة ، والقوة المحركة فيهم ، وكل هذا كان نكاية فى ، وتشفيا منى ، وكل هذا الكيد والغيظ ماكان له سبب سوى توهم باطل ، فأمر الخديوى بطردي من البلاد ، وأسند هذا الأمر إلى عثمان باشا فأرسلنى هذا النذل إلى السويس مع جماعة من الضباط[1] ، وبقيت فيها[2] يومين محبوسا فى سجن محاط بالعساكر لاقدموا لى الطعام ولاتركونى حتى أجلبه من السوق ، وفى آخرالوقت جاء رجل من طرف الأحمق الذى يتصرف فى السويس بظلمه ، وأخذ ماكان فى جيبى وجيب خادمى من الدراهم والأقراش وقلم الرصاص والمسبحة والمنديل والسكين قائلا : إن أفندينا قد أمر بذلك ، وبعد هذا الفعل الشنيع قادنى إلى مقر ذلك الظالم قود الجمل المخشوش ، فلما مثلت بين يديه قلت له بصوت ضعيف : ياأيها الباشا إن كنت مأمورا بقتلى فلم التأخير والتوانى ، وإن لم تكن مأمورا بذلك فلم منعتنى عن جلب الطعام من السوق ولاقدمت مايقتات به من عند نفسك فى مدة اليومين بل أمرت أن تقتلنى جوعا»
فانكمش وجهه الصلد الوقح كأنه يعتذر وقال : «ماعلىّ أنا مأمور ومعذور» ثم فغر فاه قائلا : «إذهب إلى وابور[3] اللبكت إن شاء الله يصير طيب»[4] ونرسل أموالك وكتبك قبل وصولك إلى بندر[5] كراتشى، وبندر أبو شهر أو البصرة ، وترى كل خير من أفندينا إن شاء الله ... (هذه سياسة معوجة تركية[6]) ..» فقلت له : «إن أمرت

(١) وردت الكلمة فى الأصل «الضابط» والصواب ماذكرناه .
(٢) وردت الكلمة فى الأصل «فيه» والصواب ماذكرناه .
(٣) كلمة عامية معناها السفينة .
(٤) وردت هكذا والصواب طيباء
(٥) كلمة معناها ميناء .
(٦) هكذا وردت هذه الجملة فى الأصل .

أن ترد لنا الأقراش التى أخذت من جيبى حتى نقدر على النزول من الوابور فى بندر من هذه البنادر التي ذكرت» فتعبس وتجهم وقال رافعا صوته : «أما هذه فلا يمكن لأنى أخاف أن أخالف أفندينا فإن أفندينا قد أمر أن أسلب جميع ماعندك وعند خادمك سوى الثياب» .

وجملة الأمر قد ذهبت من مصر إلى بندر كراتشي بسربال وسروال مع كل عناء وبلاء ، وزاد جميع هذه الآلام والمصائب تأثر النفس الذى حصل لى من خجل استولى علىّ وتهيج به دمى عندما تصورت أن حزب عبد الحليم باشا سيستهزئون بأفعالى ويسخرون من محاماتى عن الخديوى ، ومحبتى له ، وقد جرى علىَّ منه ماجرى ، لأنهم كانوا عارفين بحقيقة الأمر ، أما الاستهزاء لى فشىء فظيع ، وقد يشيع بين الجميع ، فأسألك ياعقل مصر ، وياعدل القاهرة بما حزت من مزايا الجمال فى عميقات إدراكاتك ودقيقات أفكارك ، وبما نلت من فضيلة التمام فى ساحات طهارة نفسك وتقاها ، وذرى أخلاقها الزكية ، وشواهق سجاياها الرفيعة[1] ، أن تسأل ـ امتنانا على ، وقياما بواجب حق العقل ، وأداء لفريضة العدل ـ عن أفعالى وحرماتى مع الخديوى وغيره ـ عبد الله باشا فكرى ، وفخرى باشا ، وكمال بك كاتب الخديوى ، والشريف باشا الذى بحمايته صرت فريسة للكلاب ـ فإن كان عالما بصدرى ووردى ، عارفا بأعمالى وأفعالى عندما كنت فى بلاد الإفرنج ، ماخفيت عليه خافية من أمورى ، حتى تقوم ـ على ماأحطت به علما ـ من استقامتى واعتدالى شواهد العدل ، وبراهين الصدق ، حتى يكون حكمك فى قضيتى هو حكم الحاكم العدل عن بينة ثم تدبر ياعقل مصر بنافذ بصيرتك فى هذه الحكومة ورجالها ، ويامصلح شئونها التى تبكى الفرح الجذلان ، وتضحك الكئيب الحزنان ، وتأمل بناقد إدراكك فى دعائمها والقوانين على صورتها التى هى عليه الآن ، فهل يمكن أن تدوم حكومة بهؤلاء الظلمة الجهلة ؟!... هل تقوم دولة بمثل هذا العمى والصمم ؟!... نرجو أن تعمر البلاد ، وتنعم العباد ، وتنقذهم من هذه العقول السخيفة الظن ، إن يزيد[2] مات ، كما توفى الحجاج[3] ، ولكن الأرواح تتناسخ ، ولهذا

---

(١) ذكرت فى الأصل (الرصيفة) والصواب ماذكرناه .

(٢) يقصد يزيد بن معاويه .

(٣) يقصد الحجاج بن يوسف الثقفى .

انتقلت روح كل من يزيد والحجاج إلى هؤلاء الظلمة المجرمين ، فانتقل الظلم من صلب إلى صلب ومن بطن إلى بطن ، فلا تخلو حكومة من حكومات المسلمين ـ في هذه القرون ـ من حكام ظلمة ، حريصين على ممارسة الجور ، فهم يأمرون بالفحشاء والمنكر وينهون عن المعروف والبر ، وحق العدل وعظم شأنه ، ولو تأمل البصير في هذه الحكومات وما فيها من الحيف والعسف لرأى أن بقاءها في العالم لا يكون إلا لنزداد خزيا وافتضاحا متواليا ، نكالا من العدل ، وخذلانا من النصفة ، وقصاصا لما جنت على نفسها من الجور والظلم ، وياعدل القاهرة .. لو نظرت بنظارة إنصافك دقائق المصيبة التي أصابتني من الحكومة المصرية وأنا طاهر القلب ، نقي السريرة ، بريء من كل جنحة وجناية ، ورأيت بمرآة عدالتك ماترتب على مصيبتي من بلايا في بلاد الهند ، فقد أصابتني تلك الرزية بكثير من البلايا المتتابعة في الهند ، لو رأيت هذا كله لحكمت حكما عدلا أن الداهية الدهياء التي نزلت بالحكومة المصرية وأخذت بمخنقها ، داهية عظيمة تنبغي إزاحتها .

حقا اقول إن بالعدل قامت السماوات والارض وما بينهما ، وبالجزاء قام العدل على مركزه ، وعلى محوره استدارت رحاه ... بالله عليك هل أنا المفسد أم هؤلاء .. لقد كنت حربا على الفساد وممارسيه ، وكنا نحن ـ دون الناس ـ محبين للخديوي ، ومحامين عنه على الملأ ، هل يعاقب المصلح ويثاب المفسد؟!.. أهذا عدل وإنصاف ؟!.. لو طبقت قوانين العدل فتنبغي المبادرة بالضرب على أيدي هؤلاء المفسدين الجائرين ، لقد سعينا قبل ذلك في إطفاء نيران فتنة مثل هذه الفتنة ، وسعينا لدى الخديوي ومسيو فيلزي الأبوكاتو عندما استعفى الشريف باشا حتى خمدت نار الفتنة تماما ، هل مثلي ينبغي أن يعامل بهذه الطريقة بدل أن يكافأ ويكرَّم ؟ ياالعقل العاقل !.. أين العدل ؟!.. أين الإنصاف ؟!.. أين التقدير ؟!.. أين حسن التدبير ؟!.. والذي أضحكني بعدما أبكاني ما كتبته أضحوكة الجرائد ، وفهرست الأفعال السيئة ودفتر الأعمال السخيفة الوقائع المصرية ، ومدار نظر الحكومة المصرية من أن الحكومة قد اطلعت على جمعية سرية رئيسها جمال الدين الأفغاني ، قد تأسست على فساد الدين والدنيا ، نعم .. هذا ما كتبت .. وقد كنت أظن أن التكفير سلاح المستضعفين للإساءة إلى المصلحين ، ثم اتضح الآن أنه سلاح الحكام الظالمين ، إن الحاكم يملك وسائل القضاء على الذين

يعملون على إفساد الدين والدنيا بعد محاكمتهم محاكمة عادلة، تظهر الحق، وتكشف المفسد والمصلح، ولكن رمى الناس بالباطل، وتشويه الحقائق، وتوجيه التهم دون دليل، هى أسلحة الجبناء، وماذكرته هذه الجريدة دائما عونا على الحمق وعضدا للخرق ،وهى التى تعمل على إفساد الدين والدنيا، وإلا فأين العدل ؟!.. هل شاع العدل فى البلاد؟!.. هل تسير الأمور بما يرضى الله بالعدل والقسطاس؟!.. إن هؤلاء الظلمة يشوهون وجه العدالة كل يوم، ويجعلون شجرة الظلم ثابتة الجذور، فهى تثمر جورا وعسفا، واعتداء أثيما على الشرفاء والمصلحين، والدليل على ذلك ماأصابنى ـــ نتيجة إخلاصى.. ودعوتى الإصلاحية ـــ من مصائب وبلايا لاتعد ولاتحصى .

وأرجو أن تسمح لى ـــ ياعقل مصر ـــ أن أقص على مسامعك ما حدث لى فى بلاد الهند من نكبات ومصائب ، كانت كلها نتيجة للمصيبة التى حلت بى فى مصر على أيدى هؤلاء الظلمة الجائرين إن هذه المصيبة تستفرغ ماء العيون ، وتقضى على العاقل بالجنون .. لقد استولى ذلك اللئيم على أموالى وكتبى وحرمنى من الطعام أياما ، وظن أنه يستطيع أن يرثنى وأنا مازلت على قيد الحياة ، وهو جاهل حاقد ، لايعرف أن الله وحده له ملك السماوات والأرض ، وهو ـــ وحده ـــ الذى يرث الأرض وما عليها وهو خير الوارثين .

إن هؤلاء الظلمة الحاقدين قد ذهبوا إلى «تيريكو» قنصل فرنسا وبلغوه أن صفو المصريين مع عبد الحليم باشا وميلهم إليه ، وروعوه من وقوع الفتنة ، إن عدل عنه إلى غيره ، ولما بلغنى هذا أسرعت أنا والمعتزون بحب الخديوى من حزبى إلى القنصل ، فكذبت مابلغوه ، وأظهرت له جلية الأمر ، وكشفت القناع عما أضمره ، وقد أعلن كل هذا فى الجرائد الوطنية ، وليس للخديوى أن ينكر مافعلته ، ويمجد هذه المساعى وغيرها ، إلا أن يفقأ عين الفتوة ويكفأ إناء المروءة .

ولما يئس إخوانى المسونيون من الرجوع إليهم ، والاتفاق معهم ، ورأوا تصلبى على هذا الرأى القائل بغير رأيهم ، وثباتى على درء عزمهم الباطل ، وقنطوا من فوز عبد الحليم باشا ، نصبونى هدفا لسهام افتعالاتهم ، وأطلقوا علىّ ألسنتهم السليطة ، فبهتونى واتهمونى ، ونسبونى إلى طائفة «النهليست» مرة ، وإلى «السوسياليست» أخرى وأشاعوا كذبا وبهتانا أنى عازم على قتل الخديوى والقناصل

جميعا .. ياللعقل والعاقل!... من أين لى الجيوش التى تقوم بهذه الأمور الصعاب ؟ وأنا رجل غريب فى مصر ، وماكنت أظن فى عميقات فكرى أن يوجد فى أولاد آدم شخص يعير سمعه إلى هذه الأباطيل ــ ولو كان أفينا ــ ولكن قد وجد وبعدما نال الخديوى الملك ، تآلف المسونيون مع أحزاب عبد الحليم باشا وذهبوا إلى الخديوى ، وألقوا إليه ماألقوا ، تشفيا بغيظهم ، وبعضهم لاحظ فىّ ضيقا وانفعالا من هذه السياسة ، ومعارضة لهم ، وأنا قبل ذلك ماعاديتهم ، ومارفضت رئاسة مجلسهم ، مع علمى بكثرتهم وقوتهم ، وكان ذلك اتكالا منى على الخديوى ، وثقة به ، وماكنت أدرى أن الخوف من حيث الثقة ، وقد كتبت ردا لتقولاتهم فى جميع الجرائد المصرية العربية والإفرنجية ، وأظهرت للحكومة فيها مكنون نياتهم ، واستعنت بها على فضح شرهم ، وقد أتانى الشر منهم ، وقد أعان المسونيين أحزابُ عبد الحليم باشا على اختلافاتهم وساعدهم على افتعالاتهم ، وتنسيق زورهم وبهتانهم الشخصى المعكوس ، والهيكل المركوس ، والرجل المعيوب عثمان باشا المغلوب ، الذى كان ضابط البلد فى ذلك الوقت ، لضغينة اتقدت فى أحشائه ، وحنق على لأننى كتبت فى مقالة فى إحدى الجرائد أن عثمان باشا ضابط الأمن فى البلاد ــ مثلا ــ ليس بمعصوم ، يخطىء ويصيب ، فغضب ذلك المركوس ، وتميز غيظا ، وأخذ ينتقم دون تمييز ، فأخذ الأستاذ بذنب التلميذ ، والرئيس بذنب المرءوس ، وزاد إرجافهم إرجافا ، وزاد زورهم وبهتانهم ، وحنقهم وعدوانهم ، وسمع بتقولات ذلك النذل ــ حينذاك ــ الشريف باشا ، فنهنه وكفكفه ، وزجره ونهره ، فكف لسانه ، كاتما حقده وضغينته ، فلما استعفي الشريف باشا قام ذلك اللئيم متوقدا ملتهبا ، ظنا منه أنى شكوته إليه ، لاوحقك علىّ مارفعت شكواى إلى أحد بل ماعلمت أن الشريف باشا زجره وعاتبه إلا على لسانه فى ليلة مصيبتى ، قائلا لى : «إنك الآن فى قبضتى ، إن شئت أحرقك بالنار ، وإن شئت أغرقك فى الماء جزاء لك لأنك شكوتنى ، فإن الشريف باشا زجرنى وتوعدنى بالعزل لأجل شكايتك .

وبالجملة فإن ذاك اللئيم بهذه العلل الواهية ، وبإغراء أحزاب عبد الحليم كان يلفق كل يوم أكذوبة ، ويختلق أعوانه فرية ، ويبلغها إلى مسامع الخديوى ، وأنا لثقتى به واعتمادى عليه ، ماكنت مباليا بهذه الإرجافات ، علما منى بأنه عاقل

لايسمع هذه الأكاذيب فى حق رجل قد جاهر بولائه ، ودافع عنه ، فى وقت ألجم الخوف أصدقاءه ، ولكن خاب الظن ، وظهر خلاف ماكنت أعتقد ونسى الخديوى محاماتى له ، ودفاعى عنه ، ومحبتى إياه ، وزعم زعما على غير روية ، وظن ظنا لاعن تدبر وإجالة فكر ، أنى عدو له ، وأريد الغدر به ، فأمر باستبعادى عن الديار المصرية ، ظلما وجورا وأنا فى غفلة عن ذلك ، ونسى ماواجهنى به ذات يوم قائلا : «إن لسانى عن أداء شكرك عاجز» وغافلنى بقراره ، فماراعنى إلا انتقال الضباط إلىّ وهجومهم على فى الساعة الثامنة من الليلة السادسة من رمضان لدى العتبة الخضراء وأنا آت من بيت محمود بك العطار ، فأخذونى ، بكل عنف واضطراب إلى الضبطية ، فإذا ذاك اللئيم جالس على منصة الظلم ، فلما سألته عن سبب هذه الضبطية ، وعلة هذه الفعلة الشنيعة تعتع ومجمج ، فمرة قال إن العلماء لايرضون بإقامتك فى مصر ، ومرة قال إن قناصل الدول فى وجل منك ، ومرة قال إن أفندينا ماذاق النوم ثلاث ليال بأيامها من خوفك .

وبعد هذا الخبط والخلط ماصبر حتى كشف عن مكنون سريرته ، وجاهر بما أسره من ضغينته ، وأظهر مافى نفسه من كره لى بسبب عتاب شريف باشا قائلا : «إنى تجاوزت عن إغراقك ، ولكن يجب عليك أن تذهب إلى جهنم إما عن طريق بلاد العجم ، وإما من بلاد الهند»

وكلما طلبت بتعديل سفرى إلى الآستانة أو إلى باريس أو إلى الحجاز أبى إلا الإرسال إلى جهنم .

وطلبت إلى ذلك اللئيم أن يمهلنى يومين ، وأنا فى الضبطية ، حتى أعد للسفر عدته ، وأبيع مما أتملكه مالاينقل وأحمل معى مايجب أن استصحبه ، فأبرز بطنه منتفخا وقال : «نحن نكفيك مؤنة هذا وأنت فى السويس ، كن مطمئنا ، وهذا هو أحمد بك يكفل لك جميع ذلك ، وهو الرجل الصالح لذلك وهو وكيل الضبطية» مولاى... بعد أن ألم قلبك الشفيقُ ـــ دائماـــ بما حدث لى ، وبعد الاستماع إلىّ بتفصيل وإلى المصيبة التى دهمتنى فى مصر ، فالآن أسألك بسماحة أخلاقك أن تعيرنى سمعك ، حتى أقص عليك مجملا من مفصل ما نزل بى فى الهند من البلايا التى هي نتائج البلية المصرية ، لأنك وحدك منتهى شكواى ، فأقول إنى منذ وصولى

إلى بندر كراتشى[1] ، وكان ثانى يوم من بلوغ خبر قتل «كيوناري» قنصل الإنجليز فى كابل ، كنت تحت الحفظ ، كل ساعة متهيئا لاستماع سؤال وإعطاء جواب وكل يوم مستعدا للذهاب من عند حاكم إلى حاكم لتجديد الفحص والتمحيص ، وكل شهر مشمرا للانتقال من بلد إلى بلد لاستنطاق الملكة خلافا للحكومة الخديوية ، إلى أن ذهب أيوب خان إلى طهران ، فحينئذ اطمأنت خواطر الإنجليز من طرف ، وتركونى صريعا ثقيل الظهر ، مكسور العظم ، من الضنك والضيق والقلق والاضطراب ، أضبط ضبط عشواء ، لاأعرف الضلالة من الهدى ، فذهبت إلى الدكن وأنا لاأملك نقيرا ولافتيلا ، ولا أجد لنفسى بيتا ولا معيلا ، وبينما أنا ضال عن رشدى وحائر فى قصدى ، أتأمل فى المصائب التى تواردت علىّ وأتفكر فى حالى ومالى ومآلى ، وما يؤول إليه أمرى ، إذ قامت الفتنة العرابية الدامية على ساقها ، واستولى الوهم على الحكومة الإنجليزية واشتدت وساوسها ، خوفا من وقوع الفتنة فى الهند ، واعتقدت بأننى مرسل من طرف عرابى باشا لتحريك المسلمين وتحريضهم ضد الحكومة الإنجليزية ، فطلبتنى من الدكن إلى كلكته مشددة على فى السؤال والجواب ، وكنت كل يوم ــ طبعا ــ فى تهديد وتحذير ، ولقد ضيقت على مسالك الراحة ، وكلما كان صوت العرابى يزداد اعتلاء كانت الحكومة الإنجليزية تزداد علىّ شدة ، خصوصا عندما قال ذلك القوال المجازف «أنا أثير مسلمى الهند على الإنجليز» حتى إنه من شدة تضييق الحكومة ، وعدم إصغائها إلى ماألقى إليها من الأجوبة طلبت منى اضطرارا ، وفرارا من البلية أن تنسبنى إلى بلية أخرى وأن ترسلنى إلى الخديوى ، ورفعت مسألتى هذه إلى حاكم الهند وهو وقتئذ يفكر فى المسألة ، فظللت منتظرا للجواب ، وظلت الحكومة فى الخطاب والعتاب ، إلى أن انطفأت الفتنة ، فأطلقتنى مع مراقبة أفعالى وحركاتى ليلا ونهارا ، فلما رأيت أن المصائب تكثر كل يوم عن أنيابها ، وأن البلايا تفتح كل ساعة بابها ، وتفكرت فى الرزايا التى جلبتها على الغباوة والقسوة ، ترويت فى أمرى ، وعلمت أنى أذهب إلى بلدى وفى العين قذى ، وفى الحلق شجى ، وفى الكبد أوار وفى القلب نار مما أصابنى ، لاأجد فيه من أهله ــ وهم مسلمون ــ من يتوجع ويأسف على مصابى ، ومن إذا قصصت عليه قصتى وكشفت عن غصتى يئن على ، ويتوجع لى ، لأن المسلمين فطروا على جبلة واحدة ، وخلقوا من طينة متماثلة بلا اختلاف فى الطبيعة ، ولاتغاير فى السجية ، لايستعظمون الضيم ، ولا

(١) بندر كلمة فارسية معناها ميناء .

يستوحشون من الظلم ، ولا يرون الحيف فظيعا ، ولا العسف شنيعاً ، ولا يرعون مصابا ، ولا يحنون على ضحية مصائب فى بلد ، فعزمت أن أذهب — وإن كنت صفر اليدين ، خالى الراحتين — إلى بلاد فيها عقول صافية ، وآذان واعية ، وقلوب شفيقة ، وأفئدة رقيقة ، حتى أقص عليهم مايجرى على ابن آدم فى المشرق ، وأخمد النار الملتهبة فى قلبى من هذه البلايا ، وأضع حمل هذه الهموم التى أنقضت ظهرى ، وأنا إن مت فعلى الدنيا بعدى العفاء ، وإن بقيت فلا أعدم عقلا يرفق بى ، ولا أفقد عدلا يحن على ، وهذا هو سبب ذهابى إلى بلاد الإفرنج .

وقد أرسلت يامولاى إلى رفيع جنابكم خادمى (العارف) لقبض أموالى وكتبى وكل مالى من الأشياء التى تخلفت فى مصر ، بعدما شردتنى اليد الظالمة ، وأخذ شهريتى الباقية على الحكومة ، والثقة فى كل هذه بعدلكم ، وأن تظلوا العارف بظلال شجرة رحمتكم ، وتؤوه فى فناء عاطفتكم ، إلى أن يقبض أموالى ويلحق بى فى لندن .

ثم أرجو بضراعة واستكانة رجاء معتقد أنكم أهل لكل فضيلة — يتباهى بها اسمكم — أن تنظروا إلى تلامذتى بنظر الرعاية خصوصا الشيخ محمد عبده ، والسيد إبراهيم اللقانى ، ولو صدرت عنهم فى هذه الفتنة الشوهاء فلتة عن جهالة فاعفوا عنهم بواسع رحمتكم ، وتجاوز عن سيئاتهم بكرم أخلاقكم ، ولاتؤاخذهم يامولاى بخطيئاتهم ، فإنك أنت العفو الكريم والبر الرحيم .

ولقد أرسلت مكتوبا إلى الشريف باشا ، ومكتوبا آخر إلى عبد الله باشا فكرى ، ودعوتهما إلى أداء الشهادة والسلام...» .

الخطاب الخامس :

«مولاى ... المدح إبانة مكتوم والوصف إظهار خلق غير معلوم ، وأنت بكل فضيلة موصوف ، وبكل مكرمة معروف ، فلا أكدح فى ثنائك ، ولا أدأب فى مدحك ، كيف وقد وقف دون مقامك منطق الفصحاء؟! .. وإنما أقول إنك فى القطر المصرى أمان لكل البرايا ، وبك قامت فيه دعائم العدل ، وأساطين النصفة ، تحب كل خير بجبلتك وتسعى إليه ، ولا يأتى منك الشر ولو أجبرت عليه ، وليس فى عدلك ونصفتك إدهان ، وليس لك من الظالمين أخدان ، وأنت الفرد الذى لاترضى بالظلم أينما حل ، وتأبى الجور وإن جل وإن قل ، ولكن مع

ماأنت فيه يامولاى وعليه من حب الإنصاف ، وبغض الحيف والاعتساف ، قد سطا على ــ فى زمان عدالتك ــ الظلم بسيفه ، وأرق العدوان دمى ، وليس لى ناصر ولامعين ، فى حوزة نصفتك ، يالله العدل ويالإنصاف ! ... أهكذا يفعل بالبرىء فى بلد أنت الرئيس عليه ؟!.. لا..لا.وحقك أن هذا ليس من النصفة فى شىء ، إن عدلك يامولاى نهر عثمان باشا ، حماية عن الحق ، ونهاه عن التهمة والافتراء والتجنى على هذا المسكين البرىء ، وحقك إن الرحيم لايطيق إن سمع كيفية طردى وشناعة معاملة عثمان باشا معى ، ولكن أبت النفس الخبيثة إلا الشر ، فاختلق أقوالا ، وافتعل أكاذيب ، وبلغها سمع الخديوى والخديوى بلا تدبر وروية ، ولاإجالة فكر ، أمر بطردى من الديار المصرية بأشنع وجه ، وأقبح صورة ظلما وعدوانا ، فإن أنت يامولاى بعدلك لاتأخذ ثأر الحق من ذاك الخبيث المفترى مع علمك بأنى كنت بريئا من تلك التقولات التى نسبها إلى كذبا وافتراء ، خصوصا بعد ما اغتاظ من زجرك إياه ، فما أديت فريضة عدلك ولا قضيت حق نصفتك ، وحاشاك أن تكون متهاونا فى الحق متقاصرا فى العدل[1] .

نقد وتعليق :

إن هذه الخطابات التى كتبها جمال الدين بخط يده باللغة العربية إلى أحد ــ أو بعض ــ المسئولين فى مصر ، فى أثناء حكم الخديوى توفيق ، تعطى دلالات كثيرة نلخص أهمها فيما يلى :

١ ــ أن جمال الدين كان يجيد اللغة العربية إجادة تامة ، مكنته من التعبير بطلاقة عن كل المعانى التى كانت تجول بخاطره فى أسلوب مسجوع ، بعبارات منمقة ، تضم كلمات منتقاه مختارة ، مما يدل على إحاطة جمال الدين إحاطة تامة باللغة العربية وآدابها .

٢ ــ أن جمال الدين كان يعرف أكثر من لغة أوربية ، فيبدو أنه كان يعرف الإنجليزية والفرنسية ، ولم يكن يجد صعوبة فى العيش فى بلاد الهند أو فى انجلترا حيث يستطيع استعمال اللغة الإنجليزية ، ويعيش بسهولة فى مثل هذه البلاد ، كما كان يحب السفر إلى فرنسا لأنه يستطيع العيش فيها لمعرفته بلغة أهلها .

(١) هذا الخطاب جزء من الخطاب الثالث ، ويبدو أن الناشر اشتبه عليه الأمر فعده خطابا مستقلا .

٣ ـ تؤكد الخطابات مكانة جمال الدين وعظم قدره ، لأنه كان فى أثناء إقامته فى مصر على صلة بالخديوى ورئيس الوزراء وكبار المسئولين فى الحكومة المصرية المنضمين لجماعة الماسون فى مصر ، وهى جماعة تضم بين أعضائها علية القوم ، ولا يرأسها إلا شخص رفيع القدر ذو نفوذ .

٤ ـ كتبت الخطابات بأسلوب يدل على إسراف جمال الدين فى المدح والثناء والتملق المبالغ فيه للشخص العظيم الذى كتب إليه الخطاب ، وهو خلق مألوف بين الشيعة ، وهو نتيجة لقول الشيعة بالظاهر والباطن وهو ما عرف بمبدأ «التقية» وقد تمادى جمال الدين فى نفاقه حتى أضفى على الرجل العظيم الذى وجه إليه الخطاب الرابع صفات لايوصف بها إلا الله ـ جلت قدره ـ كالعفو الرحيم والبر الكريم الذى يعفو عن السيئات ، ويقبل توبة المذنبين التائبين .

٥ ـ تدل الخطابات ـ كذلك ـ على أن جمال الدين كان متملقا للسلطة متعاطفا معها ، ولذلك وصف الثورة العرابية بأنها فتنة ، وأظهر ارتياحه لإخماد هذه الفتنة ، لأن إخمادها جعل الإنجليز يكفون عن ملاحقته فى بلاد الهند ، أهم مستعمراتهم .

٦ ـ إن الخطابات تكشف احتياج جمال الدين للمال بعد طرده من مصر بعد مصادرة أمواله وكتبه ومع ذلك نجده يسافر إلى لندن ثم يسافر منها إلى باريس ويرسل خادمه «العارف» إلى القاهرة لاسترداد أمواله وكتبه ومرتبه ، على أن يلحق به بعد ذلك فى لندن ، فكيف استطاع السفر والعيش فى أوربا مع ضيق ذات يده ؟!..وكيف استطاع تدبير نفقات خادم مرافق له أينما ذهب ؟!.. أليس هذا أمرا يدعو إلى التفكير فى المصدر الذى كان يزود جمال الدين بالمال الذى ينفقه فى رحلاته وأسباب عيشه فى الدول الأوربية ؟! .

٧ ـ وتكشف الخطابات المذكورة ـ كذلك ـ أن جمال الدين لم تكن ميوله إسلامية خالصة ، فقد انتقد المسلمين وبلادهم انتقادا شديداً فى الخطاب الرابع كما أثنى على البلاد الأوربية ثناء عاطرا ، فى وقت كانت الدول الأوربية ـ فيه ـ استعمارية تهدد بلاد المسلمين ، وتعمل على السيطرة عليها ، والاستيلاء على ثرواتها واستعباد أهلها حتى يظلوا ضعفاء متخلفين خاضعين لسلطان الأوربيين .

٨ ـ ليس فى الخطابات المذكورة أي حديث عن الوحدة الإسلامية ، وليس فيها

ـ كذلك ـ أى لون من ألوان الدعوة إلى الإصلاح ، لأنها تدور كلها حول مسألة فردية شخصية ، هى طرد جمال الدين من الأراضى المصرية ، ومصادرة كتبه وأمواله ، فهو لا يتحدث إلا عن نفسه ، ولا يحاول إلا الدفاع عن نفسه حتى يعفو الخديوى عنه ، ويسترد ممتلكاته فى مصر

٩ ـ أسلوب الخطابات وعباراتها وتشبيهاتها ونوع الخط الذى كتبت به ، ترجح جميعها أن جمال الدين إيرانى شيعى من علماء الشيعة ، لأنه يكتب بنفس طريقتهم .

د ـ خطاب يطلب جمال الدين فيه الانضمام إلى الماسونية :

وننتقل الآن إلى وثيقة أخرى من الوثائق المكتوبة بخط جمال الدين ، فنعالجها بنفس الطريقة التى عالجنا بها الوثائق السابقة ، حتى تزداد ملامح صورة جمال الدين وضوحا ، وتزداد حقيقته ظهورا بعون الله وتوفيقه .

والوثيقة التالية خطاب من جمال الدين إلى أرباب المجمع المقدس الماسونى يرجو فيه قبوله عضوا فى هذا المجمع ، والخطاب باللغة العربية ، وفيما يلى نصه :

«يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين الكابلى الذى مضى من عمره سبع وثلاثون سنة بأنى أرجو من إخوان الصفا وأستدعى من خلان الوفا أعنى أرباب المجمع المقدس الماسون ، الذى هو عن الخلل والزلل مصون أن يمنوا على ويتفضلوا إلى بقبولى فى ذلك المجمع المطهر ، وإدخالى فى سلك المنخرطين فى ذلك المنتدى المفتخر

ولكم الفضل .

جمال الدين الكابلى

سنة ١٢٩٢ هـ ربيع الثانى يوم الخميس ٢٣

نقد وتعليق :

هذا الخطاب على قلة عدد سطوره لا يخلو من فائدة فى التعريف بجمال الدين ، وتحديد معالم شخصيته ، فهو مكتوب فى عام ١٨٧٥م ، فى أثناء زيارة جمال الدين الأولى لمصر ، وقد عرف جمال الدين نفسه بأنه مدرس العلوم الفلسفية ، ونسب نفسه إلى كابل عاصمة أفغانستان ، وكان توقيعه جمال الدين الكابلى ، وواضح من

دراستنا ـ في الجزء الأول ـ أن جمال الدين كان حريصا على انتسابه إلى بلاد الأفغان السنية ، حتى يستطيع بهذا الانتساب أن يجد طريقه بسهولة إلى دول العالم السنى كتركيا زعيمة العالم السنى فى ذلك الوقت ، باعتبارها دولة الخلافة ، ومصر باعتبارها من أهم مراكز الثقافة الإسلامية السنية .

وواضح من الخطاب المذكور ـ كذلك ـ أن جمال الدين انضم إلى الماسونية على أنه مدرس العلوم الفلسفية ، لا على أنه من علماء الدين ، أو من رجال الدعوة الإسلامية ، مما يرجح أن جمال الدين كان يؤمن بالعلمانية ، إذ لا يعقل أن رجلا فى مثل سن جمال الدين في ذلك الوقت ، وفى مثل ثقافته يجهل أهداف الماسونية التى يصفها فى خطابه بأنها مصونة عن الخلل والزلل ، ويرجو ويتوسل أن يمن ويتفضل عليه أرباب المجمع المقدس للماسونية بقبوله فى مجمعهم المطهر وبإدخاله فى سلك المنخرطين فى ذلك المنتدى المفتخر ، ولهم الفضل لو تكرموا عليه بهذه المنة ، مما يدل على تلهف جمال الدين على عضوية المجمع الماسونى .

ومن المعروف أن الماسونية حركة من حركات الغزو الفكرى التى تستهدف نشر المبادىء الهدامة بين الشعوب الإسلامية خدمة للاستعمار الغربى ، وإنجاحا لمخططاته ضد هذه الشعوب الإسلامية المؤمنة برسالات السماء ، التى كلف بها رب العالمين رسله المكرمين رحمة بالعالمين .

وواضح من خطاباته السابقة إلى بعض المسئولين المصريين ، وهى الخطابات التى كتبها بعد إخراجه من مصر ، أن جمال الدين تدرج فى وظائف الماسونية حتى صار رئيس المجمع الماسونى فى مصر ، وأن انتسابه إلى الماسونية كان التهمة التى أخرج بسببها من مصر ، لأن جماعته اتهمت بالعمل على إفساد الدنيا والدين .

هـ ـ خطاب يفيد ترشيح جمال الدين رئيسا للماسونية بمصر :

وفى مجموعة الوثائق الخاصة بجمال الدين ـ التى نقوم بنشرها وترجمتها والتعليق عليها فى هذا الجزء الثانى من كتاب حقيقة جمال الدين الأفغانى ـ خطاب موجه إليه يزف إليه بشرى اختياره رئيسا للمجمع الماسونى بالقاهرة ، والخطاب يسمى هذا المجمع لوج كوكب الشرق نمرة ١٣٥٥ ، وفيما يلى نص الخطاب المذكور ـ كما هو ـ

بإسلوبه الركيك ومافيه من أخطاء ، حتى تتضح الحقيقة ويزول اللبس لأن إدراك الحقيقة العلمية يعد غاية للدراسين :

لوج كوكب الشرق
نمره ١٣٥٥

فى القاهرة بمصر و٧ خبايو ٥٨٧٨/١٨٧٨

إلى الأخ جمال الدين محترم

إنه لمعلوم لديكم بأن فى جلسة ٢٨ الماضى وبأغلبية الآراء صار انتخابكم رئيس محترم لهذا اللوج لهذا العام ، ولهذا قد نهنيكم ونهنى ذواتنا على هذا الحظ العظيم وعن أمر الرئيس محترم الحالى أدعو إخوتكم للحضور يوم الجمعة القادم الجارى الساعة ٢ عربى بعد الغروب إلى محفل هذا اللوج لأجل استلامكم القادوم بعد إتمام ماوجب من التكريز الاعتيادى ، سيصير يوم الخميس ١٠ الجارى الساعة ٦ أفرنكى مساء تكريز رئيس محترم لوج كونكورديه ، فالرجا حضوركم فى اليوم المذكور للاشتراك فى الأشغال ، وفى الحالتين ملابسكم تكون سوداء ورباط الرقبة والكفوف بيضاء .

واقبلوا العناق الأخوى

كاتب سر

نقولا سكردج

نقد وتعليق :

واضح من هذا الخطاب أن الماسونية لها طقوس لاتمت إلى الإسلام بصلة كتكريس الرئيس وتسليمه القادوم ولبس ملابس بلون معين ونظام معين ، وإذا كان جمال الدين قد قبل عضوا فى المجمع الماسونى فى عام ١٨٧٥ ثم انتخب رئيسا لفرع الماسونية فى القاهرة فى عام ١٨٧٨ فمعنى ذلك أنه كان من الأعضاء البارزين الذين بذلوا نشاطا ملحوظا جعله يكتسب ثقة الأعضاء فاختاروه رئيسا بعد مدة قصيرة من العضوية ، لأن من المعروف أن الترقى فى مثل هذه المحافل يحتاج إلى وقت طويل وجهد متواصل ، مما يدل دلالة واضحة على أن جمال الدين انتخب بأغلبية الآراء لما كان يتمتع به من تقدير أعضاء جمعية الماسونية فى

القاهرة ، عَبَّر عنه كاتب سر الرئيس السابق بقوله «نهنئكم ونهنىء ذواتنا على هذا الحظ العظيم» .

ومن المرجح أن جمال الدين لم يكن يجهل حقيقة الماسونية وأهدافها ، فانضمامه إليها ، وظهوره فيها ، وتوليه رئاسة شعبة من شعبها لم يكن عن عدم وعى ، وإنما كان برغبة صادقة ، وتلهف عجيب على الانضمام إلى الماسونية ، فقد وضح هذا من خطابه الذى رجا فيه قبوله عضوا بالماسونية ، وليس هناك مجال لتبرير أن جمال الدين خدع أو لم يكن يعرف الماسونية على حقيقتها .

والآن يحق لنا أن نتساءل :

لماذا انضم جمال الدين إلى حركة الماسونية وفرعها فى مصر ؟!.. وهل لانضمامه إلى الماسونية صلة بأسفاره إلى الدول الأوربية ؟!..

وما الجهة التى كانت تمّول أسفار جمال الدين المتعددة ؟!...

إن الإجابة عن هذه الأسئلة تلقى أضواء كاشفة على شخصية جمال الدين وحقيقته ، وتفيد الدارسين وتنعكس على الدراسات المتعلقة به .

ونحن حين نطرح هذه الأسئلة ، لانهدف من وراء طرحها إلى شىء غير إظهار الحقيقة ، وإثباتها بعد تحريها والتأكد منها ، فلا يدور بخلدنا التوهين من قدر جمال الدين ، أو التشكيك فى أنه كان رائدا من رواد الإصلاح فى العالم الإسلامى ، وإنما الذى نحاوله هو أن نوضح كل ما يتعلق بجمال الدين ، وأن نجتهد فى فهمه وتفسيره بقدر المستطاع ، والله هو الموفق والهادى إلى طريق الرشاد .

أما لماذا انضم جمال الدين إلى حركة الماسونية وفروعها فى مصر ؟ فالواضح أن جمال الدين كان معجبا بدعوة الماسونية باعتبارها دعوة عالمية علمانية،دليل أنه سعى إلى الانضمام إليها فى القاهرة ، وبرز فيها حتى صار رئيسا للماسونية فى مصر ، وكان يزهو بصلته بالماسونية حتى أوقع الكارهون له والحاقدون عليه بينه وبين الخديوى ، فأخذ ينفر من الماسونية ، ويظهر الابتعاد عنها ، وكان هذا التحول نتيجة للظروف التى أحاطت به وأخرجته من مصر ، أى أن جمال الدين دخل فى الماسونية اقتناعا بفكرها ومبادئها ، ورغبة فى أن يرتفع قدره عن طريقها ، ثم ابتعد عن الماسونية لما رأى فى الابتعاد عنها خيرا له .

فالدخول في الماسونية والإبتعاد عنها ، كان كل منهما لحاجة في نفس جمال الدين ، ومراعاة لمصلحته الذاتية ، وحبا في تحقيق نفع له أو تجنب شر قد يصيبه .

أما صلة انضمام جمال الدين إلى الحركة الماسونية في مصر بأسفاره إلى الدول الأوربية ، فإن المرجح أن هناك صلة بين انضمام جمال الدين إلى الماسونية وأسفاره العديدة المتتالية إلى الدول الأوربية ، وسهولة تحركاته في هذه الدول ، وتمكنه من الالتقاء بالمسئولين فيها ، لأن من المعروف أن الحركة الماسونية كان لها نفوذ في الدول الأوربية ، وأن كثيرا من المسئولين في هذه الدول أعضاء في هذه الحركة .

وأما الجهة التي كانت تمول أسفار جمال الدين إلى الدول الأوربية فليست معروفة معرفة يقينية ، وإن كان من المرجح أن هناك جهة ما كانت تمول هذه الأسفار ، لأن جمال الدين كان يشكو من ضيق ذات اليد ـ أحيانا ـ ثم لا يلبث أن يقوم برحلة طويلة إلى إنجلترا وفرنسا مصطحبا معه خادمه (العارف) ويقيم في كل دولة مدة معززا مكرما فمن أين له نفقات الإقامة ؟

إن الإجابة على هذا السؤال مازالت صعبة ، ولكن الثابت أن جمال الدين كان على صلة بالسفارات الإنجليزية في الدول التي يزورها ، وكانت هذه السفارات هي التي تيسر له تحركاته ، لأن إنجلترا كان لها نفوذ سياسي واضح في أفغانستان التي ينتسب إليها جمال الدين ، لأن هذا الانتساب يمكنه من دخول الدول السنية على أنه سني أفغاني ، الأمر الذي قد لا يتيسر له بنفس اليسر لو كان إيرانيا شيعيا

صحيح أن جمال الدين تحدث عن مضايقة السفارة الإنجليزية له في الهند للشك في أنه على صلة بالثورة العرابية في مصر ، وأنه قد يثير المسلمين في الهند ضد إنجلترا ، ولكن هذه المضايقة لم تدم طويلا ، وتمكن بعد ذلك من السفر إلى لندن .

وهناك قول بأن السفارات الإنجليزية هي التي كانت تتولى الإنفاق على جمال الدين ورحلاته ، ولكن هذا القول ظني وليس مؤكدا .

ومهما يكن من شيء فإن جمال الدين كان رجلا ذكيا ، يحاول أن يحقق أهدافه بكل وسيلة ممكنة حتى يحقق غايته الكبرى ، وهي إيجاد فكر إسلامي موحد في العالم الإسلامي ، أملا في إيجاد صحوة إسلامية تعيد للمسلمين كرامتهم ،

وتدفعهم إلى النهوض والرقى ، حتى يعيدوا مجدهم السابق ، ويتقدموا ركب الحضارة الإنسانية .

وواضح أن جمال الدين كان يؤمن بالمبدأ القائل : «الغاية تبرر الوسيلة» فكان يسعى لبلوغ غايته العظمى وهدفه المنشود بكل وسيلة ممكنة ، يستطيع الاستعانة بها من أجل تحقيق الغاية التى ينشدها ألا وهى توحيد الفكر الإسلامى ، حتى ينهض المسلمون باتحادهم وتضامنهم ، ويتصدوا لكيد أعدائهم ومؤامراتهم .

ولا شك فى أن الغاية نبيلة غير أن الوسائل التى استعان بها جمال الدين ليست صحيحة مقبولة عند كثير من المصلحين المسلمين ، فالتستر وراء صورة سنية ـ وهو شيعى ـ والانضمام إلى الماسونية ، والعمل بين صفوف الماسونيين فى مصر ، ثم تولى رئاستهم ، والاستعانة بالإنجليز لرعايته وتيسير رحلاته وتنقلاته ، كل هذه وسائل غير مقبولة ، مهما ساعدت فى تحقيق غاية نبيلة .

وننتقل إلى وثائق أخرى يتحدث فيها جمال الدين عن نفسه ، ومراحل حياته ، فهى وثائق تعد لونا من السيرة الذاتية ، مما يجعلها كبيرة الأهمية للراغبين فى دراسة جمال الدين ، والتعرف عليه عن قرب ، والإلمام بمراحل حياته المختلفة ، حتى تتكشف جوانب شخصيته ، وتكون الدراسة على هدى وبصيرة بتوفيق من الله الحكيم الخبير

و : بعض مذكرات جمال الدين :

المذكرة الأولى[1] : وهى كالتالى :

وضعت قدمى إلى فضاء صحراء الوجود ، بقدرة الله الكاملة ، بعد أن كنت فى البداية عدماً ، فسقطت بذلك من عالم الراحة والسرور إلى دار المحنة والغرور ، وشغلت أياما بكسب العلوم الرسمية الغربية وغيرها ، ولم أستفد من التحصيل غير تعطيل أوقاتى ، فضاع العمر الثمين عبثا بلا جدوى ، دون أن أستفيد من الدنيا ـ عالم المبدأ ـ خيرا ، أو أن أترك للآخرة ـ عالم المعاد ـ أثرا ، ولمَّا وصلت سنوات العمر إلى مرحلة الشباب الناضج وجدت نفسى غارقا فى بحر الحيرة ، فاشتغلت

(١) مذكرة مكتوبة باللغة الفارسية وصورتها منشورة فى مجموعة الوثائق وهى مترجمة هنا إلى العربية مع نشر صورتها ، حتى يزول كل لبس .

بالبحث فى ذات نفسى تطبيقا لمبدأ «من عرف نفسه فقد عرف ربه» فالتحقت بخدمة علماء الظاهر الذين يدرسون صورة الظاهر ، ويجهلون عالم المعنى ، وترددت عليهم ، واجتهدت ، وبذلت مجهودا كبيرا ، ولم أدخر وسعا فى البحث والتقصى ، ولكنى لم أظفر بغير الحيرة ، فوقعت فى الشك والريبة ، وأدركت فى النهاية أن الفرق المختلفة على اختلاف أسمائها ، لاتجتمع على فكر واحد ، ولا تتفق فى رأى معين ، بل تختلف آراؤها ، وتتناقض أفكارها لأن آراءها جميعا تقوم على الظن لا اليقين و «إن الظن لا يغنى عن الحق شيئا» ولهذا فهى فى خلاف دائم لاتتفق أبدا ، لأن الظن ليس كاليقين «وليس الخبر كالمعاينة» .

وأنا الآن بمعزل عن هذه الفرق جميعها ، بعد أن فقدت الأمل فيها ، وقد عزمت على أن أطوف فى أرجاء العالم لمدة خمس سنوات ، أتحمل فى أثنائها المشقات التى تفوق كل حد حتى أتمكن من الالتقاء بقادة كل مذهب ، وفقراء كل شعب ، وعلماء كل فرقة ، وعقلاء كل زمرة ، وعظماء كل مملكة ، وفقهاء كل ولاية ، وأكون فى كل طريق صاحب تحقيق ، وفى كل دين صاحب يقين ، وفى كل مكان من أهل العرفان ، وفى زاوية من أهل المعرفة ، وأكون فى كل إقليم حكيما ، وفى كل ديار ملكا .

وبعد الطواف أدركت أن كل عالم مشدود بقيد علمه ، وكل حكيم مسرور بحكمته ، وأن كل عاقل بمقولته مغرور ، وكل جاهل بفعله مسرور ، وأن كل عابد مقيد بعبادته وكل زاهد بزهده ثمل ، وأن كل سلطان يدعو لسلطنته ، وكل سائل يتحدث عن فقره ، فكل واحد لا يشغله إلا أمره ، ولا يهمه أمر غيره ، وهكذا رأيت العالم دارا بلا مضمون ، وهيكلا أجوف ليس للمعنى فيه وجود ، فليست عزته شيئا له اعتبار ، وليست ذلته أمرا يمكن منه الفرار ، ففى شهده السم كامن ، وفى لطفه القهر مستتر ، فلا جرم أن حررت نفسه من هذه القيود والعوائق ، وخلصت نفسى من عوالق الدنيا ، واتجهت إلى التعلق بالله رب العباد مالك الملك والملكوت ، ورب السماوات والأرض الذى ليس كمثله شىء ، فتخلصت بذلك من عالم الظلمات ، واتصلت بعالم الروحانيات ، فاشتغلت بطاعة خالق العباد ، والاقتداء بخاتم الأنبياء وصحابته الأتقياء «ومن تخلف عن الحق فعليه لعنة الدنيا» .

بيت شعر فارسى فى الأصل لحافظ الشيرازى ترجمته[1] :

أسأل الله أن لا يخلص حافظ من قيد هذه الطرة البراقة ، لأن المقيدين بقيدك هم الناجون .

جمال الدين الحسينى
عبد الله بن عبد الله

تحرر فى مدينة هراة[2] فى شهر جمادى الأولى سنة ١٢٨٣هـ

نقد وتعليق :

تعد هذه المذكرة من قبيل السيرة الذاتية ، فقد تحدث فيها جمال الدين عن نفسه فى مرحلة الشباب الناضج ، وهو ـ فى فورة شبابه ـ يحاول الدراسة والبحث ، ويعتريه القلق والشك وهو يدرس مقولات أصحاب الفرق الإسلامية المختلفة ، ويرى فيها اختلافا فى الرأى ، وتفاوتا فى الفكر ، فيثور القلق فى نفسه ، وينفر من هذه الفرق جميعها ، ويفكر فى السير فى الأرض ، ويقرر الطواف بعدد من دول العالم ليلتقى بعلمائها وعظمائها ، ويعاشر أغنياءها وفقراءها ، ويدرس على الطبيعة أحوال شعوب العالم المختلفة ، وقد انتهت به الدراسة إلى أن كل جماعة راضية بما هى فيه مما جعل جمال الدين يقتنع فى النهاية بأن من الخير له أن يدرس نفسه ، وأن يلمس آثار قدرة الله فى نفسه هو كإنسان من خلق الله .

والمذكرة فى صورتها الحالية تدل على أن جمال الدين كان طموحا ، وكان طموحه غير محدود بحدود معينة ، وقد وضح هذا فى تحركاته بعد هذه المذكرة فقد زار كثيراً من الدول الإسلامية والأوربية ، والتقى بعظمائها وعلمائها ، وظهر فى صورة مصلح اجتماعى كبير ، يدعو إلى توحيد صفوف المسلمين ، ليعملوا متحدين متكاتفين على استرجاع مجدهم ، وتقدم ركب البشرية كما كانوا فى سابق أيامهم .

وبرغم أن جمال الدين كتب هذه المذكرة فى أفغانستان فإن توقيعه «جمال الدين الحسينى» دليل قوى على أنه شيعى .. صحيح أن أهل السنة يحرصُون على

(١) نص البيت بالفارسية كما يلى :
خلاص حافظ ازين زلف تاب دار مباد كه بستكان كمندتورستكارا نند

(٢) مدينة هراة بأفغانستان ، والرسالة مكتوبة فى عام ١٨٦٧م .

انتسابهم إلى آل بيت رسول الله ﷺ ـ لكن الشيعة بالذات يحرصون على الانتساب إلى الحسين ـ رضى الله عنه ـ لأنه سيد الشهداء فى اعتقادهم ، وكما سنرى فى المذكرات التالية ، فإن جمال الدين حريص على أن يكون توقيعه «جمال الدين الحسينى» وهو أمر لايخلو من الدلالة .

٢ ـ المذكرة الثانية : وهى كالتالى :

وقد كتبت هذه الرسالة إلى السردار[١] محمد أعظم خان فى مدينة كابل فى ليلة السبت فى شهر جمادى الآخرة فى سنة ١٢٨٤هـ المقابل ١٨٦٨م ووضعت بين مذكراته وفيما يلى ترجمتها العربية[٢] :

«إن الله لايخلف الميعاد .. يامن لايخيب راجيه ، ولا يرد مادعاه داعيه .. أقول داعيا لكم بحياة سعيدة وعمر مديد ، وأن تبلغكم بشارة ﴿فادخلوها آمنين﴾ ولو أننى لأنوى فى هذه الرسالة أن أبحث فى موضوع عدلكم ، فإن آثار هذا العدل واضحة ، فنحن جميعا نائمون تحت ظلال عدلكم ، مغمورون بألطافكم ولكن قرنى منكم خير عندى من حياتى بعيدا عنكم وسط القصور وبين الحور ، فلأن أعيش فى البرارى ووسط الجبال وبين المياه والأطلال فى مكان قريب منكم فإن هذا عندى أفضل من العيش بعيدا عنكم ولو فى الجنان ، لأن من المسلم به أن النار مع قرب الجوار خير من البعد فى ظل النعيم والرفاهية .

والسلام

جمال الدين الحسينى

نقد وتعليق :

هذه رسالة موجزة كتبها جمال الدين ووجهها إلى أحد المسئولين فى بلاد الأفغان ، ولكن الرسالة برغم إيجازها ، تدل على حرص جمال الدين على التقرب من أولياء الأمور فى هذه البلاد بكل وسيلة ممكنة ، ولو باستعمال أساليب النفاق والتملق للوصول إلى قلب الممدوح ، ليرضى عنه ويقر به .

(١) السردار : اسم مركب وهو فارسى الأصل ومعناه القائد أو الرئيس .

(٢) توجد أبيات فى ذيل الرسالة بالفارسية ، وهى صعبة القراءة لأن كلماتها غير منقوطة ولكنها تعبر فى مجملها عن المعنى الذى ذكر فى الرسالة وهو أن القرب من الحبيب هو الهدف الأسمى للمحب .

كما أن توقيع جمال الدين منسوبا إلى الحسين دليل ـ كما ذكرنا ـ على أنه شيعى المذهب .

٣ ـ المذكرة الثالثة : وهى كالتالى :

هذه المذكرة الثالثة عبارة عن رد من جمال الدين على خطاب أرسله إليه صديقه السيد هادى من مدينة مشهد ، وهذا الرد باللغة الفارسية ، وترجمته العربية فيما يلى :

«جواب خطاب الصديق العزيز السيد هادى ، كتب من مشهد المقدسة ...

صيرك الله الخالق عارفا بكنه الدقائق ، وعرفك المبدأ والمنتهى من المبدأ إلى المنتهى ، وأسرى بك من الدار السفلى إلى قاب قوسين أو أدنى ، وأوصلك إلى غاية المنى والنعمة العظمى والمقصد الأعلى ، وشرفك بالتشريفات الروحانية ، وخلعك بالخلع النورانية ، وقربك وأدناك منه ياحبيبى وروحى ، وروح روحى ، فأنت الروح التى لايمكن فصلها عن الجسد لحظة واحدة لأنها بها حياة الجسد وسعادة الدنيا ، وهى درجة المحبة وقطعة المودة ، وهى ضوء النور القادم من الطور ، وهى كحل أعين السالكين ، ونور لأعين العارفين ، وهى للعالم نور لايخبو ولايموت ، وعقود سطورها عقود عالم الجبروت ، وائتلافات كلماتها ائتلافات عالم الملكوت ، وامتزاجات حروفها امتزاجات مراتب الناسوت ، وصفحتها دالة على بساطة حقيقة الوجودات ، وخطوطها مشعرة بتكثر عوالم الموجودات وكل سطر منها مدينة من إقليم المحب ، وكل نقطة فيها باب من أبواب المحبة ، ودائرتها مثل طابع الحسن فى ذقن الجميلات ، ورسمها مثل صليب النصارى له قداسة ، وكلماتها مقدسة مثل كلمة ألقيت على مريم ابنة عمران تفوح منها رائحة المسك والعنبر والزعفران ، كلمتها مشكاة فيها مصباح ، وحروفها كأنها كوكب درى يضيء وقت الصباح وقد وصل من يد محمد حسن وفجر بنوره طاقة الشوق عندنا فظهرت حرارة عاطفتنا ، وطارت الروح فرحا ، فماذا أقول ؟ قد احترق قلبى من الفراق ، وتفتت كبدى من الاشتياق وحملت أمرا شاقا ، واحتملت مالا يطاق نعم .. إن كل شخص له حبيب مثلك لايمكن أن يطيق الفراق أو يصبر من شدة الاشتياق ، فكيف أعبر عن شوق ؟ لو صارت

البحور مدادا والأشجار أقلاما ماكانت كافية لشرح شوق إليك ، ولك الأمر لله ولامرد لحكم الله ، ولا مخرج من تقديره ، يفعل مايشاء كيف يشاء ، واللسان عاجز عن التعبير عما يكنه القلب من حب وشوق ، وأرجو أن تقبل عذرى عن العجز عن التعبير والتقصير فى التصوير ، والعذر عند كرام الناس مقبول .

وقد جرى الكلام عن أحوال أهل خراسان وقد جاء بضعة أفراد من خراسان مثل شيخ الإسلام وغيره لزيارتنا ولكن لم يكن لى حظ رؤيتهم والتحدث معهم ولذلك فأنا ـ حتى الآن ـ لاأعلم أحوال أهل هذه البلاد ، ولكن ماأسمعه من الخارج يدل على أن أرض خراسان قطعة من قطعات النيران مملوءة من الزفير والدخان ليس فيهم محبة .. لا يحبون الله والرسول ، ففيها شرور وهى تفور .. فإلى متى نظل مبتلين ؟ ومتى يستريح الناس من البلاء ؟!.. إن البلاء نابع من أنفسنا ، والسكر سببه كأسنا ...! .

والســـلام..

عبد الله جمال الدين الحسينى

نقد وتعليق :

هذه الرسالة تدل بوضوح على أن جمال الدين شيعى المذهب ، فهى رد على رسالة كان السيد محمد حسن هادى قد أرسلها إليه ، والسيد هادى أحد فقهاء الشيعة المشهورين فى القرن الماضى .

ومدينة مشهد هى المدينة المقدسة عند الشيعة الإمامية الإثنى عشرية ، لأن بها قبر الإمام على الرضا الإمام الثامن عندهم ، ولهذا تغير اسمها من طوس إلى مشهد ، وقد ذكرها جمال الدين بقوله مدينة مشهد المقدسة ، مما يثبت أنه شيعى ، كما أن استفسار جمال الدين عن أحوال الناس فى إقليم خراسان الذى تعد مدينة مشهد المقدسة عاصمة له دليل على ارتباط جمال الدين عاطفيا بهذه المنطقة التى تتجه إليها قلوب الشيعة ويحجون إليها ، ويطلقون على من يحج إليها لقب حاج أو مشهدى .

وأسلوب الخطاب كاف للدلالة على عاطفة جمال الدين المذهبية ، فهو يظهر الود الكبير والحب العظيم للفقيه الشيعى السيد هادى الذى يوجه إليه رسالته ويتكلم

بنفس الأسلوب الذى يستعمله الشيعة من المبالغة فى إطراء من يظهرون الحب والود لهم سواء كانوا من أصحاب الجاه فى الدنيا أو من أهل العلم من العلماء أو الفقهاء .

وتوقيع جمال الدين على الرسالة بعبد الله جمال الدين الحسينى يثبت ـ كذلك ـ أنه شيعى حريص على إظهار شيعيته والتباهى بها .

٤ ـ المذكرة الرابعة وهى كالتالى :

هذه المذكرة عبارة عن رسالة كتبها جمال الدين للأمير محمد أشرف خان ، وكانت كتابتها فى « بالاحصار » (القلعة المرتفعة) فى ليلة الأحد عام ١٢٨٣ هـ الموافق ١٨٦٧ م ، وهى مكتوبة بالفارسية ، وفيما يلى ترجمتها العربية :

«بسم الله العطوف الرءوف ... إن الله يأمر بالعدل والإحسان .. ياأميرا لايحتاج إلى وزير .. وياسلطانا لايفتقر إلى استدعاء من حضرة أمير المؤمنين وملاذ المسلمين .. اعلم أننى رجل ضعيف ونحيف وداع بدوام دولتكم وسلامة وجودكم الشريف ، فلا تستمعوا إلى وشاية بعض علماء هذا الزمان المعاندين ونميمة بعض فقهاء هذا الأوان الفاسدين ، الذين ليس لهم طريق غير اللجاج ، وليس لهم أسلوب غير الاعوجاج ، وحقيقة أمرهم غير خافية على الأمير ، وأخبارهم معروفة غير مكتومة ، فلا تأخذنى بكلامهم ، ولا تلتفت إلى وشاياتهم ، فأنا تابع مخلص للأمير ، وسعيد بالعيش فى كنفه ، ومؤيد لجميع تصرفاته ، وأهل السوء لايعيشون إلا فى جو فاسد ، ولا يحبون العيش فى النور والصفاء ، فذرهم فى خوضهم يلعبون ، وكن على يقين من إخلاصى .

والســـلام

بسم الله تعالى .. الخاتم برسم لما يُختَم به ولذا سَمَّيْت الخاتم خاتما لاختتام الكتابات به .. والله هو الذى اختتم رسله بمحمد ﷺ فبه ﷺ ختم الرسل وبرسالته ختمت الرسالة .

عبد الله جمال الدين الحسينى

قندهار ـ بازار شكاربور ـ فى سرى القاضى علام

فى شهر رجب ١٢٨٣هـ

بخط عبد الله الحسينى

نقد وتعليق :

هذه الرسالة تدل على أن جمال الدين كان ـ في أثناء إقامته في أفغانستان ـ يعاني من كيد الكائدين المنافسين له في التقرب إلى المسئولين ، ويبدو من الرسالة أن الكائدين من العلماء والفقهاء ، وأن هؤلاء يتهمونه بعدم الإخلاص للأمير

ويحاول جمال الدين في رسالته إلى الأمير أن يظهر ولاءه للأمير بكثرة الدعاء له ، وإظهار السعادة بالعيش في كنفه ، وهو أسلوب لاحظناه في الرسائل السابقة ، يستعين بالنفاق من أجل تحقيق المراد والوصول إلى الهدف المنشود .

٥ ـ المذكرة الخامسة : وهي كالتالي :

هذه المذكرة عبارة عن أسطر متفرقة بخط جمال الدين ، يذكر فيها تاريخ دخوله مدينة من مدن أفغانستان ، ثم تاريخ خروجه منها ، وقد يذكر اسم المدينة فيقول هراة مثلا ، وقد يشير إليها ببعض الأحرف .

والأسطر التي تضمنتها هذه المذكرة مكتوبة بالفارسية وفيما يلي ترجمتها إلى العربية :

«توقفت في قندهار ثمانية أشهر من شعبان إلى ربيع الأول من عام ١٢٨٤هـ (١٨٦٨م) في منزل في سوق هراة»

«الخروج من المكان المشرف في شهر جمادى الأول سنة ١٢٨٣ هـ (١٨٦٧ م)»

«الدخول في طهر في أواخر رجب المرجب والخروج في شهر المحرم الحرام سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٧م) ...» .

«الدخول في مدينة طقرس في شهر صفر المصفر والخروج في شهر جمادى الأولى سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٧م) ، والإقامة في منزل ملاحين في شارع بالا ..»

«الدخول في مدينة هراة في أواخر جمادى الأولى والإقامة أربعة شهور في منزل نور بك»

«الدخول في مدينة كابل في يوم الجمعة الموافق ٢٥ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٨٤هـ (١٨٦٨م) والإقامة في منزل منطقة بالاحصار .. والخروج من كابل في يوم ٢٠ من شهر رجب المرجب سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٩م) .. والخروج من قندهار في ٢٥ شعبان المعظم سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٩م) ...»

نقد وتعليق :

هذه الأسطر ـــ على إيجازها ـــ تدل على أن جمال الدين لم يكن يستقر به المقام مدة طويلة فى مكان واحد ، فكانت إقامته فى أي مكان لاتطول أكثر من بضعة أشهر يرحل بعدها إلى مكان آخر ، ولهذا لم يكن له منزل خاص يقيم فيه ، وإنما كان ينزل ضيفاً على أحد أصدقائه ، وكان هذا هو أسلوب معيشته في إيران ، وقد صرح هو نفسه بأنه أشبه بالطير الذى لايستقر به المقام فى مكان واحد وإنما يهوى التحليق فى الفضاء ثم النزول فى أماكن متعددة ، وكان العالم كله هو الفضاء الذى يحلق فيه جمال الدين ويتخذ منه أمكنة متعددة للنزول والإقامة فترة من الوقت ، قد تطول وقد تقصر حسب مايصادفه فى المكان الذى ينزل فيه .

٦ ـ المذكرة السادسة : وهى كالتالى :

هذه المذكرة عبارة عن أسطر كتبها جمال الدين باللغة الفارسية ، يصور فيها حياته القلقة ، ومايعانيه من اتهامات مختلفة ، ويوجهها إليه خصومه الذين يقدحون فى عقيدته ، فيتهمونه بأنه رافضي ، وبأنه مجوسي ، وبأنه شيعي ، وهو يشكو إلى الله مايقاسيه من كيد أعدائه ومنافسيه ، وفيما يلى الترجمة العربية للمذكرة :

«هو العالم بالسرائر .. معلوم للخلان أن سلامة العقيدة أفضل من المحافظة على الروح .. وقد ابتليت بطائفة من مثيرى الفتن .. إن هؤلاء الأعداء يتهمونني فى عقيدتى ، فأحياناً يشيعون أننى مجوسى ، وأحيانا يقولون إننى سنى ، وطوراً يتهمونني بأننى رافضى وشيعى من النواصب ، والهدف من هذه الشائعات التشكيك فى عقيدتى ، وإظهارى فى صورة الرجل المتلون الذى لايستقر على معتقد واحد ، والشخص المذبذب الذى لاأمان له ، وبعض العلماء الذين هم فى الحقيقة من الجهال يزعمون أننى من طائفة الإمامية وبعضهم يتهمونني بأننى من كبار طائفة البابية .

الخلاصة أننى حيران قلق لاأدرى هل أنا مسلم أم كافر ؟! . وهل أنا مؤمن أم فاجر ؟!.. فأنا من المسجد مطرود وعن الدير مردود فلاأدرى بأية طائفة أتعلق وإلى أى مذهب أنتسب .. إن أصعب شيء فى حياة الإنسان أن يرمي فى دينه

وعقيدته ، وأن يعيش متهماً فى دينه ، لا يعرف إلى أى دين ينتمى ، وأى مذهب يعتقد .. أنا أقيم الآن فى مدينة كابل ، فى محلة « بالاحصار » كالطير المكسور الجناح الذى لا يستطيع التحرك حتى يقضى الله فى أمره ، ويحدد مصيرى ، ويوجهنى إلى الوجهة التى يريدها ، فأنا تحت رحمة الله ، لا أعلم ماهو مُخَبَّأٌ له فى الغيب وماذا ستأتى به دورات الفلك الغدار .

« كتبت هذا فى يوم الجمعة الموافق ١٣ من شهر رجب من عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٩م)»

نقد وتعليق :

هذه المذكرة عظيمة الأهمية لأنها قرينة على أن جمال الدين إيرانى وليس أفغانيا ، لأنه لو كان من أهل أفغانستان من أسرة من سادات كنر ـ كما يقولون ـ مارتاب الناس فى أمره ، وما ذهبت الآراء فى عقيدته مذاهب شتى ، فلم يعرف هل هو سنى أم شيعى أم رافضى أم بابى أم مجوسى أم مسلم أم كافر !... إنه من غير المعقول أن يختلف أهل بلد مثل هذا الاختلاف فى تحديد مذهب رجل من أهل البلد نفسه ، فواضح أن جمال الدين ، كان وافدا على أفغانستان ولم يكن من أهلها ، مما أثار الشكوك حوله ، خاصة وأنه قادم من إيران وهى بلاد الشيعة الإمامية وفيها مجوس ، كما أن مذهب البابية كان قد ظهر فى تلك الأوقات ، مما يبرر اتهام جمال الدين بأنه شيعى إمامى ، أو بابى ، أو مجوسى أو رافضى من غلاة الشيعة ، لأنه قادم من بلاد فيها هذه المذاهب ؛ بينما كان المذهب السنى هو المذهب السائد فى بلاد الأفغان مما جعل الناس فيها ينظرون إلى شخص غريب مثل جمال الدين نظرة فيها شك وريبة .

وواضح من المذكرة أن جمال الدين لا يحاول الدفاع عن نفسه ، وإنما يقف فى حيرة وقلق ، مستسلماً لإرادة الله ، لا يعرف ماذا يكنه الغيب له ، فلم يحاول رد التهم وإثبات أنه برىء منها ، بإثبات أنه سنى حتى يجد له طريقاً فى بلاد سنية كأفغانستان .

٧ ـ المذكرة السابعة : وهى كالتالى :

هذه المذكرة عبارة عن أسطر كتبها جمال الدين فى محلة «بالاحصار» بمدينة

كابل فى شهر رجب من عام ١٢٨٥هـ (١٨٦٩م) يشكو فيها سوء حظه ، ويندب حظه العاثر ، وأنه غريب فى البلدان ، وطريد من الأوطان ، وهذه الشكوى مكتوبة بالفارسية ، وترجمتها العربية فيما يلى :

«هو الله المنجى من جميع المحن .. آه من قلبى المفعم بالآلام .. آه من حظى العاثر .. آه من ظلم السفلة .. إننى لاأستطيع أن أداوى قلبى الجريح ، ولاأستطيع أن أعالج حظى العاثر ، ولاأستطيع أن أتعامل مع هؤلاء السفلة أو أرد كيدهم ... ماذا أفعل ؟!.. لمن أبوح بسر قلبى ؟!.. ومن أى شخص ألتمس طريق النجاة ؟!... أين الموت الجميل لأستريح من الهموم ، إن موتى حفل جميل ومقبرتى واحة جميلة[1] ، انكسر ظهرى من مطالب القلب .. فأقبل أيها الحبيب وخذ بيدى

إذا كان قلبى وجوهرى ومنزلى قد صارت خرابا بسببك ، فكيف لاأتألم وأنت تعصر قلبى ؟!.. إن الزاهد من أهل الظاهر ليس خبيراً بحالنا ، فكل مايقوله عن أحوالنا يقوله طوعاً دون إكراه .

الغريب فى البلدان والطريد من الأوطان

جمال الدين الحسينى »

نقد وتعليق :

هذه المذكرة كافية لإثبات أن جمال الدين ليس أفغانياً ، فهو يكتبها فى كابل عاصمة أفغانستان ـ وهو شاب فى الثلاثين من عمره ـ ويقول عن نفسه ـ فى نهاية مذكرته ـ إنه الغريب فى البلدان والطريد من الأوطان ، ولو كان من أهل أفغانستان لما وصف نفسه بأنه غريب وهو يقيم فى وطنه ، كما أن وصفه لنفسه بأنه طريد من الأوطان دليل واضح أنه ينتمى إلى وطن آخر غير أفغانستان ، وأنه مطرود من هذا الوطن الأم ، وأنه وفد على أفغانستان ، لعله يجد حظه فى هذه البلاد ، غير أن الشكوك أحاطت به ، فلم يجد الأرض ممهدة أمامه ، فتعرض لكيد الكائدين ، ودسائس الحاقدين ، فعانى من القلق والاضطراب ، وعدم الأمان فى أثناء إقامته فى أفغانستان بعد وفوده عليها .

---

(١) هذه أبيات من الشعر الفارسى ضمنها جمال الدين مذكرته على أنها جزء منه .

ومن المرجح أن ما أصاب جمال الدين فى بلاد الأفغان كان بسبب مذهبه الشيعى المخالف للمذهب السنى السائد فى هذه البلاد ، مما أتاح فرصة لأعداء جمال الدين ليروجوا حوله الشائعات ، ويدسوا له عند المسئولين فى أفغانستان .

القسم الثانى
الخطابات التى أرسلت إلى جمال الدين

وننتقل إلى قسم آخر من الوثائق والمستندات التى يضمها كتاب مجموعة وثائق ومذكرات خاصة بجمال الدين ، وهو يشمل الخطابات التى أرسلت إلى جمال الدين من أصدقائه وأقاربه وتلاميذه فى إيران ومصر وأوروبا ، وهى مكتوبة بالفارسية والعربية . وسنقوم بترجمة الفارسية منها إلى العربية . ونقل الرسائل العربية مصححة مما قد يكون فيها من أخطاء مع نشر صور هذه الخطابات جميعها ، ونقدها والتعليق عليها ، بهدف إلقاء مزيد من الضوء على حقيقة جمال الدين ودعوته الإصلاحية التى كان يدعو إليها فى البلاد الإسلامية المختلفة ، ويعبر عنها فى الدول الأوربية التى زارها وعلى الله قصد السبيل ، وهو الموفق والهادى إلى سبيل الرشاد .

أولا : خطابات محمد باقر البوانانى الإيرانى :

١ ــ الخطاب الأول : وهو خطاب بالعربية نصه كالتالى :

دار القلم ــ لندن

٢٢ يونية ١٨٨٤

إلى مدير السياسة جمال الدين الحسينى الأفغانى

دام فضله العالى

مرحبا بمن هداه الله تعالى إلى سبيل الرشاد وألبسه درع الغيرة والانتصار دفعا لأصحاب العناد ، ومنحه من العلم والفضل ما يحسن به حال العباد ويصلح بالهم للتقوى ، وهى بعمرى خير الزاد .

ما أحسن يوما رأيت فى لندن العدد الحادى عشر من العروة الوثقى لا انفصام لها .. شد به أزرى ، ووضع عنى وزرى الذى أنقض ظهرى ، وعلمت علم اليقين أن الله ماودع المسلمين وماقلى ، وللآخرة خير هم من الأولى .

طوبى لأمة يدعو بعضهم بعضا إلى الخير والصلاح ، ويتواصون بالحق

ويتواصون بالصبر ، وهم أمل النجاح .

بورك من أوصلت لهذا الباب ، وآتاك الحكمة وفصل الخطاب .

أرى بادى الرأى كل ما تقول ، وأرجو من الله ما ترجو حتى يقول الرسول .

العبد الجانى

محمد باقر البوانانى الإيرانى

٢ ــ الخطاب الثانى : وهو خطاب بالفارسية وترجمته العربية كالتالى :

دار القلم ــ لندن

٢٤ يولية ١٨٨٤

حبيبى اللبيب ..

وصلت رسالتك العزيزة أيها الصديق الأمين الذى يحب الخير لجمهور المسلمين مع نسخة من الجريدة الفريدة المسماه بالعروة الوثقى ، فرفعت رأسى ــ أنا أقل العباد ــ وقد انشرح صدرى وسعدت روحى بالاطلاع على موضوعاتها ، والحق أن الموضوعات عولجت بأسلوب بليغ ، وبذل جهد جهيد فى عرضها وتوضيحها ، ولكن الخلق فى نوم وغفلة ، وأمورهم توشك على الخراب ، اللهم إلا إذا أدركتهم العناية الإلهية السرمدية ، وتبدلت سوابق غفلتهم بلواحق يقظتهم واهتمامهم .

وحيث إننى فى شوق شديد لرؤيتهم ، فإنى أرسل إليكم هذا الخطاب للتحية والسلام ، ونظرا لأن أمور المسلمين ينبغى أن تعالج وفقا للأمر الإلهى ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ فإنى ألتمس من جنابكم العالى أن تأذنوا لى باللقاء وأن تحددوا الوقت المناسب الذى أحظى فيه بهذا اللقاء حتى أجىء إليكم وأقضى بضعة أيام فى باريس أزور فى أثنائها هذه المدينة وأسعد بلقاء جنابكم الكريم

العبد الجانى

محمد باقر الإيرانى

وقد أرفقت بالخطاب أبيات من الشعر الفارسى[1] فيما يلى ترجمتها العربية :

---

(١) نص الأبيات بالفارسية كالتالى :

ـ هركجـــا عقل بعـــقلى يارشد كلخن آنجاروضه وكلزارشد =

- حيثما يتعاون عقل مع عقل
يصير المكان روضا وبستانا
- وحيثما يبتعد صديق عن صديقه
يذبل الروض ويصير يبابا
- وياجمال الدين الله يمنحك القوة والعزم
فإن سعيك قد أحيى الأمة الإسلامية
- ولولاك لا يبقى من المسلمين إلا الاسم
فالخلق لاهون واللهوليس من الإسلام
- لقد وصل الفأس إلى جذور شجرة الدين
فتزلزلت هذه الشجرة المستقرة
- فأصبحت أوراق هذه الشجرة فى اضطراب دائم
واهتزت أغصانها من خوف الانقلاب
- وأصبح الغرس غافلا عن أصله وفرعه
حتى يخيل إليك أنه تدركه مذهبه
- فإذا لم تدرك عناية الحق
فسوف يسقطه الظلم نهائيا

الخطاب الثالث : وهو خطاب بالفارسية ترجمته العربية كالتالى :

دار القلم ـــ لندن

١٨ يولية ١٨٨٤

خليلى الجليل وهادى سبيلى

أسأل الله صاحب المن أن يحفظك حفظا شاملا ، إن ماذكرته كان إحسانا إلى ، فقد زاد من سرورى ، وشرح صدرى ، وأذهب حزنى ، وأزال همى ، وزاد فى أملى .. إن أقوالك قد أنعشت الآمال .. إن هدفك إسعاد الجميع ، والله يوفقك

= هركجا يارى زيانيرى دورشد — كَلشن آنجاخردنه كَلخن كودشد
ـ اى جمال الديـــن خدارا همتـــى — بو زمعـيت زنـــده كَردد ملتـــى
ـــ ورنه ازاسلاميان جزنام نيست — خلـــق درهونـــد وهو اسلام نيست
ـ تيشه بريـخ درخت دين رسيـــد — وآن درخت آسوده كم تمكين رسيد
ـــ برك : كَ اين شجر دراضطراب — شاخها لرزان زبيم انقـــلاب =

إلى تحقيق ما نريده جميعا ، والله هو الهادى لجميع العباد فهو سبحانه الواحد القهار الذى أرسل رسوله محمد المختار بالكتاب المبين ، كما أرسل عيسى وموسى وجميع الرسل بنفس الرسالة ، وكل الرسل يتبعون ملة إبراهيم ، فعليهم السلام جميعا من رب العالمين الرحيم ، وكلهم يلهجون بالحمد لرب الحمد ، وكلهم يطلبون الفيض السرمدى ، وكلهم مستمسكون بالعروة الوثقى التى وصفها أنها لا انفصام لها ، ومن رآهم رأى البقاء فيهم ، فزاد حرصا لإدراك مافيهم ، ومن هداه إلى الذى وجدوه ، فإنه يجد هدى الذى عبدوه ، ومن رضوا عنه طالبين له الرضا رضى الله عنهم وعوضا ، فالجميع مطلوب وطالب بلسان واحد ، لأنه ليس فى الدار غيره ديار ، فالعربى والفارسى والتركى استغرقوا جميعا فى ذكره ، وهم جميعا يذكرون بقلوبهم ويظهرون الضراعة ، وحديث القلب أفصح من حديث اللسان ، فالمعرفة حياة خالدة ، والحياة بالله تحيى الأرواح ، فالحى الذاكر حى دائم ، وأنا المسكين فقد الروح واللسان ، فأنا لا أستطيع الحديث بالقلب أو اللسان ، لأننى من فرط الهوى جريح القلب ، فأنا لست شيئا ، مع أن عندى رغبة تامة فى الوصل ، لأننى أعبد رغباتى الدفينة ، هذه حالى وشخصيتى المسكينة ، فقل ياجمال الدين كيف الطريق إلى النجاة والسلامة ؟ !

العبد الجانى

محمد باقر الإيرانى

يبعث إليك على أغا وسائر الأصدقاء الإيرانيين تحية وثناء عاطرين

نقد وتعليق :

واضح من هذه الخطابات الثلاثة التى أرسلها محمد باقر بواناتى أحد أصدقاء جمال الدين ـــ وهو أحد الكتاب الإيرانيين الذين أشاد جمال الدين بصداقتهم ـــ أن جمال الدين كان ذائع الصيت فى الثمانينات من القرن الماضى ، وكان معروفا بلقب الأفغانى الذى ذكره البواناتى فى خطابه الأول ، وهو اللقب الذى اتخذه جمال الدين بعد إقامته مدة فى أفغانستان ـــ كما ذكرنا ـــ فى الجزء الأول من كتاب « حقيقة جمال الدين الأفغانى » ، فليس فى ذكر البواناتى لجمال الدين بلقب الأفغانى ما يغير فى حقيقة جمال الدين شيئا .

= وانى شجر غافل زاصل وفرع خويش — كويد آسام اكربرهم زكيش

ـ كرنه عون حق خبر دارش كند — پس سقوط صرف بيدا دش كند

كما تشير الخطابات المذكورة إلى رفعة قدر جمال الدين حتى إن البواناتى وهو كاتب معروف يلتمس من جمال الدين أن يحدد له وقتا ويوما ليتشرف فيه بلقائه ، ويخاطبه مخاطبة الأدنى للأعلى ، بأسلوب فيه ملق يضفى على جمال الدين أعظم الصفات ، ويصوره فى صورة الزعيم الدينى والمصلح الكبير ، الذى يستطيع أن ينعش الآمال ، ويوقظ الهمم ، ويقود المسلمين إلى طريق الرشاد والفلاح .

وكان جمال الدين حينذاك قد زار أفغانستان والهند ومصر وتركية وإيران وروسيا القيصرية وانجلترا وفرنسا ، واكتملت شهرته ، وذاع صيته وأصبح من الشخصيات المرموقة فى الشرق والغرب .

ونعرض فيما يلى خطابات أنصار جمال الدين من المصريين مبتدئين بخطابات إبراهيم المويلحى وبالله التوفيق .

ثانيا : خطابات إبراهيم المويلحى :

هذه خطابات بالعربية أرسلها إبراهيم المويلحى من أوربا إلى السلطان العثمانى فى أثناء إقامته بباريس وفيها معلومات عن جمال الدين وسأذكر نصها منقحا مصححا فيما يلى ، مع نشر صور لها مزيدا للفائدة ، وأملا فى أن تلقى هذه الخطابات مزيدا من الأضواء الكاشفة على شخصية جمال الدين ، لكشف حقيقته كشفا جليا .. والله الموفق والهادى إلى طريق الصواب ..

١ ـ الخطاب الأول :

سيدى ومولاى ..

بعد عرض تحياتى على مقامكم العالى .. أعرض لسيادتكم أنه على حسب الأمر العالى قد قدمت ترجمتى وماعملناه فى لوندره ، وتوجهت مع حضرة إسماعيل بك جودت إلى سعادة محمود أفندى فأخذ الأوراق ، ووعد بعرضها على الأعتاب حالا ، وهذا كان فى الخميس الماضى ٢٤ الشهر ، وأخبرنا سعادة البك ـــ المشار إليه ـــ أننا نكون تحت انتظار الطلب ، وها أنا فى الانتظار ، ولا بد من ترجمة ماقدمته ، فيأخذ على ذلك بعض أيام ، والظاهر أن سيدنا ومولانا مشغول فى هذه الأيام بسبب تبديل الوزارة ، إلا أنى أؤمل الخير العظيم ، وهاأنا فى منزل إسماعيل بك مع محمد على ـــ حسب الأمر ـــ فأرجو أن تنتظروا النتيجة ، وهى قريبة إن شاء الله ، وقد تبين لى من اجتهاد إسماعيل بك ، ماينبغى أن نشكره على ذلك ، ثم إنه توجه إلى

مستر روبن ، فأخبره بأنكم كتبتم له بخصوصي ومازال على ذلك ، وإسماعيل بك يرجو من سيادتكم أن تكتبوا له التعليمات اللازمة التى يسلك بها مع المومى إليه ، فإنه لا يمكن أن يقابله إلا بعد ما تكتبون له ، أما أنا فأرى من الموافق بالنسبة لمركزى الحالى أن لا أقابل أحدا مطلقا حتى يصدر عن سيدنا ومولانا السلطان ما يصدر ، وأرجو أن تبلغوا مستر بلونت تحياتى وسلامى ، وتخبره أن إسماعيل بك جودت وفّى له وصادق الصحبة ، كما حققت ذلك ، أما ما كتب فى جرائد الآستانة بخصوصه فإنه كان بإغراء حليم باشا محسن حسنى الذى يكتب فى جريدة الاعتدال ، هذا ما وقفت عليه بالتحقيق الذى لا يدخله شك ، وقولوا لمستر بلونت كما قلت له سابقا إن مصر يا حرا شكر إسماعيل بك لا يصدر عنه إلا كل فضيلة ، وليعتمد علىّ فى هذا ، ثم إنى أعرض على مولاى أنى وقعت على كتابات كانت بين حليم وبين الشوباشى والشيخ عبده نسختها لسيادتكم ، وها هى مرسلة صحبة هذا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وكذلك أبو نظارة الخبيث ، ومع كل ذلك ربنا سبحانه وتعالى يوفق لنا الأمور وذلك ، يكون كايا فى نحرهم ، ثم إن حضرة إسماعيل بك أخبرنى بعد ما تلاقى مع خير الدين باشا أن الشيخ عبده أخذ من تونس باسمكم ثمانين ألف فرنك ، وأن خير الدين وضع فى القائمة التى كانوا يكتبون فيها خمسة آلاف فرنك وكذلك رستم باشا دفع خمسة آلاف فرنك ، وأن خير الدين باشا وعد حضرة إسماعيل بك أن يحضر له القائمة بأسماء من دفعوا للشيخ ، وعند الحصول عليها نرسلها لسيادتكم ، فإن أهل تونس ما دفعوا إلا لاسمكم ولجريدتكم ، ثم أرجو من سيادتكم أن تبعثوا بجميع ما عملتموه فى تلك المدة حتى أعرضه على الحضرة العلية عند الفرصة ، وقد كتبوا فى الجرائد بخصوص أسرة محمد على ، ونزعها من حكومة مصر ، واستبدالها بمن يصير تعيينه بمعرفة السلطان ، فأرى أن تكتبوا أفكار سيادتكم فى هذا ، وما يدور بينكم وبين الوزراء فى هذا الخصوص ، وليعلم مولانا أن حضرة إسماعيل بك جودت ليس عنده نقود تقوم بهذه المصاريف ، فأرجو أن مولاى يخبر حضرة محمد بك وهبى أن يرسل لنا شيئا من النقدية ، وأن يكتب للقطاوى إذا كان لغاية الآن ما انتهت القضية فى مصر أن يعينه بما يمكنه أن يعيننا ببعضه ، فإن الحالة قاضية بهذا الإلحاح لحين انتهاء المسألة فى السراية ، فإن حالتنا لا ترضى أبدا ، وأنا على أمل بقرب الفرج ، والله يحفظكم ويرعاكم .

وقد ورد فى ذيل الخطاب خطاب موجز من إسماعيل جودت نصه كالتالى :

سيدى ومولاى

بعد تقبيل أياديكم أرجو كم أن تعطونى التعليمات اللازمة فيما يجب إجراؤه مع المستر وولف حيث إنه يطلب منى بعض الإيضاحات ، وأنا أخامره بالمواعيد لحين مكاتبتكم وحصولى على أوامركم التى لا يجب علينا إلا الاقتداء بها ، والاهتداء بنورها ، جعلكم الله سندا للمسلمين وعضداً للمؤمنين آمين ،

محسوبكم

إسماعيل جودت

٢٨ سبتمبر ١٨٨٥

وعلى خطاب إسماعيل جودت تعليق من إبراهيم المويلحى كالتالى :

وليعلم مولاى أن إسماعيل بك جودت هو الذى أبطل صدور جريدة الاعتدال بسعيه حين اتخذها حليم بواسطة حسن حسنى آلة لأغراضه الفاسدة .

ولعل من المفيد أن نؤجل النقد والتعليق حتى نعرض سائر خطابات إبراهيم المويلحى ، لما تضمنته من معلومات بالغة الأهمية ، حتى تكون الحقيقة أكثر وضوحا بعون الله وتوفيقه .

٢ ـ الخطاب الثانى :

هذا الخطاب مرسل من إبراهيم المويلحى إلى السلطان العثمانى أمير المؤمنين وخليفة المسلمين حينذاك ، ونصه كالتالى :

«المعروض لسدة مولانا أمير المؤمنين .

يعرض العبد للحضرة العلية أنى كنت كاتب سر إسماعيل باشا خديوى مصر السابق ، فأمرنى منذ أربع سنوات بتحرير جريدة الاتحاد فى باريس ، وبعد صدور ثلاثة أعداد منها توجهت من تلقاء نفسى إلى سفارة الدولة فى باريس تفاديا مما كان يترتب على ذلك العمل ، ولأتخلص مما أمرنى به أيضا عند طلبه لى فى فينا من إنشاء رسالة وإرسالها مع يهودى كان عنده فى نابولى اسمه «سيمون» إلى مكة بصفته مسلماً ، ونشرها على الحجاج ، وعرضت القضية بتمامها على «نقولاكى أفندى»

مصلحه كمزار [1] الدولة بباريس ، وقد اطلع على المكاتبات والأوامر التى جاءتنى من طرف إسماعيل باشا بخصوص الاتحاد والرسالة ، ووعدنى نقولاكى أفندى بصدور العفو عنى من الحضرة العلية الشاهانية ، فانتظرت شهوراً حتى دعانى الاحتياج إلى تلبية دعاء إسماعيل باشا لى ثانياً ، فأرسل لى مخصوصاً إلى باريس وهو حسين باشا التونسى ، فأحضرنى عنده فى رومة ، فكنت عاقد النية على الإخلاص للدولة ، وقد خدمتها فى تلك المدة خدمات كثيرة ، يشهد لى بها مسيو جليان قنصل جنرال [2] الدولة فى رومة ، ويشهد على إخلاصى للدولة ، والذات الشاهانية [3] مكاتباتى لعرابى باشا ، ورسائلى المنشورة فى مصر فى ذاك التاريخ ، ولكن من سوء بختى واضطرارى ، وعدم قدرتى على الصبر والانتظار بعد التخلص من مخدومى لم أجد بدا من طاعة أمره ، حيث أمرنى فى هذه الأيام بتحرير المرة الرابعة من الاتحاد على الكيفية التى هى عليها ، مع إنشاء رسالة تتضمن شروط الخلافة ، والبيعة ولوازمها ، وماحصل فى الخلافة والبيعة ، حين وفاة النبى لقيام أبى مسلم الخراسانى وانتقال الخلافة من البيت الأموى إلى البيت العباسى ، بدون تعرض لغرض من الأغراض الشخصية ، وقصده كان من هذا أن يهيىء النفوس ، وينبه الأفكار ، ويجعلها مستعدة لقبول مايبعث به بواسطة رسله أو رسائله ، لأخذ البيعة له سراً ، ولما تبالغ للسفارة فى باريس خبر الجريدة ، خاف وحمّل على كاهلى هذا الذنب العظيم كعادته فى فداء أغراضه بأرواح الناس وأعراضهم ، كما فعل فى إسماعيل باشا المفتش وغيره ، ولو كان هذا الفكر منى كما يدعى ، وكما خشى أرباب السفارة ، فإنى كنت أجد بلدة أخرى غير باريس كالسويس ، أو لندره أقدر أن أنشر فيها الجريدة والرسالة وغيرها ، وأعداء الدولة كثير ، فكنت أجد أيضا من يساعد ، ولكن أشهد الله وملائكته أنى على نقيض هذا الفكر بالمرة ، وأنى أعلم يقينا أن حياة الإسلام هى حياة الدولة العلية ، وقد كتبت بنوداً كثيرة فى العروة الوثقى من هذا الباب ، والله يعلم أنه لولا الاضطرار ماأطعت إسماعيل باشا فى كتابة حرف واحد ، ولله الحمد لم يُنشر مما كتب

---

(١) هكذا فى الأصل ويبدو أنها إحدى وظائف السفارة التركية فى الخارج ، وهى وظيفة تشبه وظيفة القائم بالأعمال حالياً .

(٢) اصطلاح بالفرنسية المقصود به القنصل العام بالسفارة .

(٣) الشاهانية كلمة فارسية معناها السلطانية أو الملكية .

شيء .. والآن قد حضرت إلى لندره ، وسأخدم الذات الشاهانية خدمة تشهد بإخلاصي ، فألتمس من فيوضات أمير المؤمنين العفو عني .

إبراهيم المويلحي

٣ ـ الخطاب الثالث :

وهو خطاب بالعربية كتبه إبراهيم المويلحي للسلطان العثماني لتبرئة نفسه من تهمة عصيان السلطان والانحياز إلى جانب الخديوي إسماعيل الذي كان يخطط لانتزاع خلافة المسلمين من السلطان العثماني .

والخطاب ليس في بدايته مايدل على أنه موجه إلى السلطان العثماني ، ولكن أسلوبه وعبارته تثبت أنه موجه إلى السلطان ، ونص الخطاب ـ كما ورد في الأصل ـ كالتالي :

«إن العبد كاتب هذه إبراهيم المويلحي في سن أربعين سنة من عائلة بدوية منقسمة الآن قسمين ، أحدهما في مصر ، والآخر في المويلح ، بلدة في جزيرة العرب على شاطيء البحر الأحمر ، وأن جدي السيد أحمد المويلح وفد على مصر ـ بعد خدمة خدمها لمحمد علي في إطفاء فتنة الوهابية ـ فأقام بها ، وأسس بيتا تجاريا ، وفي سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٦م) توفي والدي السيد عبد الخالق المويلحي ، وأنا في سن عشرين سنة[1] ، وقد أتممت دروسي ، فاتبعت مع أخي عبد السلام بك المويلحي نمط والدي في التجارة ، وصرت عضواً في مجلس التجار ، وعضواً في مجلس ابتدائي القاهرة ، ثم خسرنا مبالغ وافرة في تجارة القطن ، وكان البيت يتزعزع ، فرأى الخديوي السابق من اللازم في سياسته أن يقيم أود البيت ليستميلني لخدمة أغراضه ، وقال لشريف باشا ليستخدمني في أغراضه ، وقد قال لشريف باشا وثابت باشا إن ما أصنعه لهذا البيت واجب علي ذمتنا فإن جدهم خدم جدي خدمة مهمة ، فجعلني الخديوي عضواً في مجلس استئناف مصر ، وأعطانا أربعة آلاف ليرة ، ليستمر أخي في تجارة البيت ، ومنحني وأخي الرتبة الثانية[2]

وبعد خدمة أربع سنوات في المجلس سعى رياض باشا في عزلي لمنافسات كانت

(١) يتضح من هذا التاريخ أن إبراهيم المويلحي ولد في سنة ١٨٤٦م .

(٢) يقصد رتبة البكوية من الدرجة الثانية .

بينى وبينه فعزلت .

ثم إن الخديوى لما سئمت نفسه من الوزارة المختلطة فى سنة ١٨٧٩م رأى فى سياسته أن يطلب عزل تلك الوزارة منه بأصوات الأمة بدون مدخل له فى التماس الطلب ، فاستدعانى والسيد البكرى نقيب الأشراف لما بيننا من القرابة ، وكلفنى أن أقنع العلماء والوجهاء أن يطلبوا عزل الوزارة من السيد المشار إليه ، بدون أن يكون للخديوى يد أو اسم فى ذلك ، فسعيت جهدى حتى أقنعت الناس على هذا الفكر مع ماكان فى نفوسهم من النفرة من الخديوى ، وجاءوا أفواجا إلى بيت السيد البكرى يطلبون عزل الوزراء مكاتبة منهم على محاضر ختموا عليها بأنه لايجوز أن يكون المسلمون محكومين بوزارة أجنبية ، ثم أمرنى أن أذهب إلى الإسكندرية ، وأن أدعو وجهاءها وعلماءها للحضور إلى بيت السيد البكرى يطلبون منه ماطلبه وجهاء القاهرة ، فذهبت وأحضرت معى جميع وجهائهم ، وختموا على ماختم عليه أهل القاهرة ، ولما تمت تلك المحاضر عرضها السيد البكرى على الخديوى ، وكذلك عرض راغب باشا ماكلف به ، من تختيم أمراء الملكية والجهادية على هذا المضمون ، وبناء على ذلك عزل الخديوى تلك الوزارة ، وشكل وزارة وطنية تحت رياسة شريف باشا ، ثم أمرنى الخديوى أن أحث بعض العلماء والوجهاء أن يلتمسوا منه حجز رياض باشا الذى كان عضواً فى تلك الوزارة المختلطة من السفر إلى أوربا ، ومحاكمته لهفوات نقموها عليه ، وبعد تهيئة الأمر ، وعلم رياض باشا بسعيى فيه ، عدل الخديوى عن ذلك وأعطاه إذن السفر ، بعد أن أمرنى أن أكتب للمومى إليه رسالة أقبح فيها أعماله ، وقد نشرت مضمونها بعض الجرائد .

ولما استقرت الوزارة الجديدة ، طلب راغب باشا ناظر المالية من الخديوى أن أكون معه فى تلك الوزارة ، فجعلنى ناظر القلم العربى بها وأحال على قلم العرضحالات مع ملاحظة قلم تركى المالية ، وجعلنى عضواً فى مجلس تسوية الديون السائرة .

وفى أثناء إلحاح الدولتين الفرنساوية والإنجليزية على الخديوى بالتنازل بعث لى الخديوى الحالى أحد خاصته ـ أمين بك الإنجليزى ـ يرجونى أن أحث السيد البكرى

أن ينصح والده بسرعة التنازل ، خوفاً من الخطر على الوراثه ، فأظهرت للرسول مافى تنازل الخديوى من الأخطار على القطر المصرى ، بتداخل الدولتين فى داخلية البلاد ، مع مافى هذا من إجحاف بحقوق الدولة العلية التى هى مالكة لتلك المملكة ، فحقدها على توفيق باشا ، ولما تولى الخديوية ، واستعفت وزارة شريف باشا ، ألزمنى إسماعيل أيوب باشا بناءً على أمر الخديوى الحالى بالاستعفاء من تلك الوظائف ، ثم حضر رياض باشا من أوربا مترشحا لرياسة الوزارة ، فحسّن لى شاهين باشا ، وراغب باشا ـ من رجال الخديوى السابق ـ الخروج من مصر ، والالتحاق بالخديو السابق ، واحتجا بأن بقائى فى مصر يعقبه انتقام رياض باشا منى ، فاستأذنت الخديوى الحالى بواسطة خيرى باشا فى السفر لتبديل الهواء ، فخرجت من مصر وجئت إلى نابولى عند الخديوى السابق الذى تسبب عن كل هذا ، فوجدت عنده خلاف ماكنت أؤمله ، وعلمت أن إكرامه السابق لى ماكان طبيعياً ، بل زال بزوال السبب ، فبقيت تلك المدة على مضض ، حتى لزم له أن يكتب إلى مشيخة الإسلام بدخول جرمه الآستانة ، فاحتفل بى واستكتبنى شكاية حالتهن لمقام المشيخة الإسلامية ، ولما أحس باليأس وعلم أن لاإمكان لدخولهن الآستانة ، سافر إلى فيشى وأرسل إلى ابنه حسين باشا فى نابولى يأمره أن يبعثنى إليه ، فلما وصلت أمرنى أن أسافر إلى باريس ، وأن أستميل إلى أغراضه أديب أفندى إسحاق ، محرر جريدة (مصر) بها ، فسافرت إليها فوجدت الأفندى المومى إليه سافر إلى بيروت وترك تحرير الجريدة ، ولما أخبرت الخديوى السابق تلغرافياً بذلك أمرنى بالرجوع إليه ، وكلفنى أن أحرر جريدة بنفسى بدون أن أضع عليها اسمى ، واختار لها اسم «الاتحاد» وأملى على أفكاره ، فتوجهت إلى باريس واشتغلت بما أمرنى به ، وبعد العدد الثالث من تلك الجريدة ، أرسل إلى ابنه حسين باشا بالتلغراف ، وكان فى باريس يأمره أن يبعث بى إلى (جراوس) بالقرب من فيينا ، أنتظر حضوره من وليمة فى ضيعة سفر باشا المجر ، فانتظرته فى محطتها ، فأخذنى معه إلى فيينا ، وهناك ألزمنى أن أكتب له رسالة على جدة .. فى مضادة الخلافة ، وأملى على مضامينها ، ولما حررتها طبق أمره ، أمرنى أن أطبعها فى باريس سرا ، وأن أبعث بها إليه ، وأخبرنى أنه سيرسلها مع رجل يهودى كان عنده فى نابولى من أهل الجزائر اسمه سيمون ، ليسافر بها فى زى مسلم إلى مكة ، وينشرها هناك على الحجاج فى يوم عرفات ، وعند خروجى من عنده قابلت ابنه حسين باشا وكان قد حضر إليه من باريس

وعلم أمر الرسالة ، فأمسك بيدى وقال لى المثل الفرنساوى المشهور الذى معناه أستعمالى آلة فى الخطر لغرض الغير . فتنبهت للأمر ، ورجعت إلى نفسى .

وفى أثناء طريقى إلى باريس فكَّرْتُ فى المسألة طويلاً وتحققت الخطر فيها ، وعلمت أنى بهذا العمل أكون ساعيا فى شق عصا الإسلام بمجرد أهواء رجل ، قد كشفت لى حوادث الغربة معه ، أن ليس فى قلبه ذرة من الإيمان ، وإنما يستعمل الدين شبكة لصيد أغراضه ، ورأيت أن لامناص للتملص من أوامره إلا بالانفصال عنه ، مع الاحتياج إليه فى الغربة .

ولما وصلت إلى باريس لم أجد طريقا لحفظ دينى وذمتى إلا الذهاب إلى سفارة الدولة العلية بها ، واطلاعها على الأمر ، ولعلى أجد سبيلاً للخلاص منه ، فأخبرت نقولاكى أفندى مصلحة كَزار[1] وأطلعته على الرسالة وما عندى من الأوراق ، والتمست أن يعرض حقيقة المسألة على السدة الشاهانية . فبشرنى بكل خير ، واستحسن هو والمتوظف الجهادى[2] فى السفارة إبراهيم أفندى رائف أن أطبع الرسالة ، وأن أسهل لهم طريقة ضبطها ، وهى خارجة من المطبعة ، ففعلت وضبطوها بدون أن يكون منها نسخة فى الخارج حتى سلمت لهم المسودة أيضاً ، ولما بلغ كانى بك ، كاتب الخديوى السابق فى باريس ضبط الرسالة بواسطة السفارة والبوليس ، أعلم الخديوى السابق فى الحال ، فأخذه بعض الشك فىّ ، وأرسل مسيو فسان الفرنساوى تابعه فنقلنى من باريس إلى جنيف فى سويسرا ، مع الكاتب الذى كان عندى نقولا رعد ، وبعد أيام أعلمنى الفرنساوى المومى إليه بأن أستمر فى العمل فى جنيف ، فأبيت ورجعت إلى باريس ، وأحطت علم السفارة بذلك ، فتحقق الخديوى السابق بأن الذى حصل من السفارة فى ضبط الرسالة ، كان متفقاً عليه معى ، فحضر لى راتب باشا من طرفه مسرعاً ، وأخبرنى أن انتقالى من جنيف بدون إذن أوجب قطع ماهيتى ، وأعلمنى أنها لاتتجدد إلا إذا سلمت له ماعندى من الأوراق ، واشترطت على نفسى أن لاأتعرض للخديوى السابق ، وقد أعطانى الحرية فى سكنى أى بلد أردتها ، وعاهدنى على ذلك فسلمته الأوراق ، واستمر ابنه حسين

---

(١) «مصلحة كزار» اصلاح فارسى معناه الذى يجرى المصلحة ويبدو أنها وظيفة بالسفارة مثل قائم بالأعمال .

(٢) يبدو أنه موظف يشبه الملحق العسكرى الآن .

باشا يصرف لى الماهية مدة شهرين ثم قطعوها عنى ، وأنا لاأزال أنتظر مايصدر من السفارة فى شأنى ، حتى ضاقت بى المعيشة ، وكاد الاحتياج ينزل بى إلى درجة لاأرضاها لنفسى ، ولما يئست من نتيجة ماسبق الوعد به من السفارة كتبت إلى شاهين باشا فى رومة ، أبين له غدر راتب باشا بى ، وأعلمه أن الاضطرار سيدعونى إلى عمل مالايرضونه من نشر مساويهم ، وتلاعبهم بالإسلام والمسلمين ، فأسرعوا بإرسال حسين باشا التونسى ، فأعلمنى أن الماهية لاتتحدد إلا بالرجوع إليهم ، فأرضانى الاحتياج بالرجوع على شرط أن لاأكلف بكتابة مايخالف دينى ومشربى ، ورجعت معه إلى رومة ، وبما فى قلوبهم من الضغائن على شرعوا ينتقمون هناك بأنواع التحقير والإهانة حتى حدثت مسألة عرابى فابتدأ الخديوى يلاطفنى ويكلفنى أن أكتب إلى محمود باشا سامى لعلاقة القرابة بيننا ، لأستميله على السماح فى دخول حرم الخديوى السابق إلى مصر ، وخوفى من حصول فتنة بواسطتهن تضر بحقوق الدولة ، وبمحمود باشا سامى ، وكثير من المصريين .. أعلمت الباشا المشار إليه بالحقيقة ، حتى أنبنى على ذلك .. ورد الوابور بالحرم من الإسكندرية ، ولاجتهاد عرابى فى إقناع واسطة الخديوى السابق ، الشيخ حسن العدوى فى عدم دخول الحرم ، أضاع الحزم ، وقال له لايجوز إدخال الحرم بعدما نصحنا به إبراهيم المويلحى ، فوصل هذا الخبر إلى الخديوى السابق ، فكتموه عنى واستشعرت بائتمارهم بشر يوقعوننى فيه ، وظهرت لى علائم ذلك ، فاستحصلت على الإذن بتبديل الهواء إلى (ليفورنه) بلدة فى إيطاليا ، وقد راسلت مسيو جليان قنصل الدولة العلية فى رومة أنبهه على كثير من الأمور ليعرضها إلى محل اقتضائها ، وأقمت فى ليفورنه يصرفون لى ماهيتى ألف فرنك بعد أن كانت ألفا وثلاثمائة .

وفى أثناء إقامتى فى ليفورنه حضر السيد جمال الدين الأفغانى من الهند إلى باريس ، ولما بينى وبينه من الصداقة أيام كان فى مصر ، حصلت المكاتبة بيننا ، فاتفقنا على نشر جريدة العروة الوثقى ، فنشرها السيد جمال الدين فى باريس يدافع فيها عن حقوق الدولة والملة ، ويحث على الوحدة الإسلامية تحت اسم أمير المؤمنين ، فكان صدور هذه الجريدة بهذا المشرب غصة على الخديوى السابق لمباينتها لأغراضه ، وتعطيلها على مقاصده ، واعتقد أن لى يدا فيها ، فاستدعانى إلى رومة فى العام الماضى ، وكدرنى باللوم كثيراً ، وأمرنى أن لاأدخل فى شىء ، ولا

أكتب شيئاً مطلقاً ، فرجعت إلى ليفورنه ثانيا ، وبعد مدة جاءنى حسين باشا التونسى ، وشرع يبين لى أن مخالفة الخديوى السابق مقرونة بالخيبة ، سيما وأنا فى الغربة ، وزمام حياتى من جهة المعيشة فى يده ، وذكرنى ماجربته فى الماضى ، وعرض علىّ النصيحة ، فى أن أكتب للخديوى السابق ، مالاتضرنى كتابته وتحريره ، لأجل الاستعانة به فقط فى بعض أغراضه السياسية ، وإلا فإن الخديوى يقطع الماهية .. جاء وطلب منى أن أحرر العدد الرابع من جريدة الاتحاد فى باريس ، وأكد لى أنه لايضير نشرها ، وإنما المقصود استخدام اسمها ، وسافر معى إلى باريس ، فأخبرت السيد جمال الدين هناك مفصلا ، فأخذ فى الحال ماطبع من الجريدة ، وحفظه عنده مخافة أن ينشر منها عنى ، وعلمت سفارة الدولة العلية بالأمر حالا ، فاستشاط الخديوى السابق غضباً ، وشرع يبرىء نفسه ، وأرسل بالتلغراف إلى نابولى يقطع ماهيتى ، وهرب حسين باشا التونسى إلى إيطاليا مسرعاً ، ومعه الأمر بإبعادى من فرنسا ، فسافرت إلى بروكسل ، فكتب لى السيد جمال الدين يقول : إن الأوفق لك أن تذهب إلى لوندره ، وأن تعلن فى الجرائد حقيقة المسألة ، وماغدرك به الخديوى السابق ، وأن تعاكسه فى أعماله ، فتوجهت إليها وقابلت هناك فيها إسماعيل أفندى جودت ، ورأيت من إخلاصه للحضرة العلية الشاهانية مادعانى أن أكتب له عرضحالا لهذه السدة المقدسة ، بالتماس الرضا عنى ، ثم تقابلت مع المستر بلونت ، فرأيت سياسته متجهة لمناصحة الدولة العلية ، وعلمت منه ، ومن بعض أولى الشأن من الإنجليز ، أن لانجاح للخديوى السابق مع الدولة الإنجليزية ، فرأيت حينئذ أن الاشتغال بخدمة الدولة أولى من ضياع الوقت فيما هو واقع بالفعل من عدم نجاحه ، ولما علم السيد جمال الدين بذلك استحسن التفرغ لتلك الخدمة التى يألم لها الخديوى السابق ، وأعلمنى باشتغاله فى الشرق بذلك ، وكان له بعض العلاقات مع حزب المحافظين فى لوندره فسعيت فى تقويتها .. ثم حضر اللورد شوربشيل من الهند ، وكان قد سافر إليها بوصايا من السيد جمال الدين إلى بعض أمراء الهند ، إذ كان سفر المشار إليه بصفة خصوصية ، وبما علمه اللورد من نفوذ السيد جمال الدين هناك بين المسلمين ، قويت تلك العلاقات بين السيد وبين حزب المحافظين عند حضوره ، فشرعوا يشوشون على سياسة مستر جلادستون فى السودان ومصر ، وسوء نيته

مع الدولة العلية ، واستخدموا مالزم لذلك فى البرلمان والجرائد حتى حولوا أغلبية الأفكار إلى استقباح سياسة مستر جلادستون . ولما سقطت وزارته أرسلت الوزارة الجديدة إلى السيد جمال الدين يستدعونه من باريس للحضور إلى لوندره ، فكتب أنه لايحضر إلا إذا كان حضوره مكفولاً بفائدة للمسلمين . فأرسلوا له بعد ذلك مندوباً حضر معه ، فزاره يوم حضوره اللورد شورشيل ، ثم زاره اللورد سالسبورى . وتبادلت الزيارات بينه وبين بقية الوزراء ، وكان سبب تأخيرى الوقوف على مايحصل حتى أعرضه على السدة العلية ، فسألوا جمال الدين عن أفكار المسلمين فى الهند وفى الأفغان . بالنظر إلى الدولة الروسية ، فقال لهم إنكم تسلمون أن ممالك الهند كانت بيد المسلمين فيها ، وقد سلبتم ذلك الملك العظيم من أيديهم ، مما جعل النفوس ـ بلا شك ـ حاقدة تميل عند الفرصة إلى التشفى . وتجد لذة فى زوال هذا الملك من أيديكم إلى أيدى غيركم . وإن كانوا يظهرون لكم الآن بعض ما تطمئنون به . فإن البرهان الطبيعى شاهد بما قلته .

أما الأفغان فهم قوم جفاة تشربت نفوسهم على الدوام لأخذ الثأر . ولا ينسون ماسال بينكم وبينهم من الدماء ، وإن الأمير وإن كان فى ظاهر الأمر معكم . فهو لايخرج عن رأى قومه عند الحاجة ، فلابد والحالة هذه من سلسلة تربطون بها قلوب هؤلاء بكم ، ولاتوجد رابطة يقادون بها جميعاً أقوى من رابطة دينية ، والرابطة الدينية الوحيدة هى إرضاء الدولة العلية ، وإنى لاأدخل فى تعيين الإرضاء . بل هذا منوط بالاتفاق بينكم وبين الخليفة مولاى السلطان . فعليكم أن تسعوا إلى إرضاء الدولة العلية ، لتطمئنوا بذلك على ممالككم فى المستقبل . وقد أقنعهم بهذا ، فعاون ذلك فى مأمورية مستر وولف .

ثم قال لهم إن هذا الإرضاء لابد من تسجيله وتعميم العلم به لدى الهنود والأفغان . أما إعلانه فى الجرائد ، فلاتنتفعون به ، لأن الهنود لايثقون بما يكتب فى جرائدكم . ولاسبيل لكم أن تنقلوه بالأفواه . فإن الزمن غير قابل ، سيما وأن الدولة الروسية بها جواسيس منتشرة فى أنحاء الهند تحت أنواع مختلفة من الثياب ، فهى تنقض ماتعقدونه ، وتدخل كل شبهة فى أعمالكم ، فلابد لكم من أمر ظاهر فى تسجيل الإرضاء . لاتدخله شبهة ، فالذى أراه أن الأمر لايتم إلا أن يكون للمشيخة الإسلامية الشيعية أو نيابتها فى الهند ، أو مايماثل ذلك على حسب مايتفق عليه .

وبهذا لايكون للمسلمين شك فى اتفاقكم مع الدولة العلية ، ورضاها معكم ، وليس عليكم أدنى خوف من ذلك ، فإن الدولة لاتتاخم أرض الهند ، فأقنع بذلك بعض الوزراء ، وأوقف السيد السير فى إقناع الباقى حتى أعرض على السدة الشاهانية هذا الأمر ، وهو فى موقف الانتظار هناك .

وقد تكلموا معه فى مسألة مصر ، وجاءه مستر وولف مراراً قبل سفره من لوندره ، وتداول معه فى تلك المسألة ، فقال لهم السيد إنه لأبد من تحديد مدة الخروج من مصر ، وبدون هذا لايمكن لكم إقناع المسلمين فى الهند والأفغان ، أنكم أرضيتم الدولة العلية مطلقاً .

فقالوا إننا نخاف من دولة فرنسا أن تخلفنا فيها ، فنحن مضطرون أن نضع عليها شبه حماية لوقت ما ، فقال إن وضع الحماية على مصر خوفاً من دولة فرنسا حجة لفرنسا أن تضع حمايتها على طرابلس خوفاً من إيطاليا ، وحجة لدولة النمسا أيضا فى أملاك الدولة العلية خوفاً من الروسية وهلم جرا ، ولا حجة لكم فى قولكم إننا نحافظ على ممالك الدولة فى اسيا فقط ، فإن تفريطكم فى ممالكها فى أوربا هو عين التفريط فى ممالكها فى آسيا وفى منافعكم ، وحينئذٍ لاتجدون بها الرابطة التى تحفظون بها ملككم فى الهند ، ثم إن وضع الحماية على مصر مشعل للحركة السودانية ، وموجب لانضمام عموم أهالى مصر بالحجة الظاهرة إلى تلك الحركة .

وقد رأيتم أتعابكم فى مسألة السودان وحدها ، فكيف إذا امتدت إلى الخارج ؟!... وإن هذه الحركة لاتطفئها أفواه مدافعكم ، ولا يؤثر فيها السلاح ، وإنما تُطفأ باسم السلطان الخليفة .

ويوم سفر المستر وولف زاره أيضاً ، وتكلم معه فى هذا طويلا واقتنع المستر المومى إليه أن الحماية لالزوم لها .

فالسيد جمال الدين يعرض على الأعتاب الشاهانية أن الإنجليز محتاجون إلى تلك السدة احتياج من يريد حفظ ممالكه أمام عدوه ، وإن التزام الإنجليز من أنفسهم بإرضاء الدولة العلية ، لاتجد له الدولة معارضاً فى الخارج ، ويعرض أنه عند الاتفاق مع الإنجليز على تحديد ميعاد خروجهم من مصر تنحل فى الحال المسألة السودانية

باسم جلالة مولانا الخليفة أمير المؤمنين بدون سلاح ، وهو يقوم بهذه الخدمة عند استحسان الخليفة لها

العبد

إبراهيم المويلحى

نقد وتعليق :

واضح من هذه الخطابات التى كتبها إبراهيم المويلحى أحد أصدقاء جمال الدين الحميمين الذين كانوا مقربين إليه وعلى صلة وثيقة به تمكنه من معرفة أخباره وأسراره وخططه ، واضح أن جمال الدين كان صديقا للإنجليز وخاصة بالمسئولين فى حزب المحافظين ، وأن المسئولين الإنجليز كانوا يتخذون منه مستشارا يستشيرونه فى الأمور السياسية التى تهمهم وتشغل بالهم كموقفهم من الحركات التحررية فى الهند وأفغانستان ومصر ، وكان جمال الدين ينصح الإنجليز بالتفاهم مع الدولة العثمانية باعتبار السلطان العثمانى خليفة المسلمين وأمير المؤمنين ويستطيع إقناع المسلمين فى هذه الدولة بالتفاهم مع الإنجليز بالوسائل السلمية دون الاشتباك معهم فى صراع مسلح .

وكان التنافس بين إنجلترا وفرنسا على أشده ، فكل منهما تحاول السيطرة على أكبر عدد من الدول الإسلامية فى آسيا وأفريقية ، وبرغم أن جمال الدين كان يتردد على العاصمتين الإنجليزية والفرنسية ويقيم فى كل منهما ، غير أنه كان أكثر صلة بالإنجليز ، والخطاب الثالث من خطابات إبراهيم المويلحى يثبت أن الصلة بين جمال الدين والإنجليز كانت وثيقة جدا إلى درجة أنه كان يتفاوض معهم فى مسائل سياسية تتعلق بدول غير دولته الحقيقية ، دون الرجوع إلى المسئولين فى هذه الدول .

ومن غير المنطقى أن يصل إنسان إلى ماوصل إليه جمال الدين من النفوذ وعلو الشأن إلا إذا كان مدعوما بمساندة دولة عظمى كبريطانيا فى العصر الذى عاش فيه .

وقد سبق أن رجحنا أن هذه الدولة التى كانت تساند جمال الدين وتيسر

زياراته للدول المختلفة السنية فيها والشيعية ، ولعل ماورد فى الخطاب الثالث من خطابات إبراهيم المويلحى يؤكد ما رجحناه .

كما ذكرنا فى تعليقاتنا السابقة على بعض خطابات ومذكرات جمال الدين أنه لم يهاجم بريطانيا باعتبارها أكثر الدول الاستعمارية استعمارا لبلاد المسلمين وتحكما فى مصائر هذه البلاد ، بينما هاجم جمال الدين روسيا القيصرية وخططها ضد بلاد التركستان وبلوشستان ، وكانت روسيا فى عصره دولة من الدول النصرانية التى تتطلع إلى السيطرة على بعض بلاد المسلمين والوصول إلى منطقة الخليج حيث المياه الدافئة ، ولم تكن — حينذاك — فى درجة من الخطورة على العالم الإسلامى تضارع خطورة بريطانيا بالنسبة لهذا العالم الإسلامى .

كما بينت خطابات إبراهيم المويلحى أنه هو وصديقه جمال الدين كانا يطبقان مبدأ [الغاية تبرر الوسيلة] فكانا يتصلان بالخديوى فى مصر ، ثم ينفران منه ويتجهان إلى التقرب من السلطان العثمانى خليفة المسلمين على حسب ما يتراءى لكل منهما من مصالح شخصية دون التزام بمبدأ معين .

ومهما يكن من شىء فإن هذه الوثائق والمذكرات الخاصة التى نتناولها بالدراسة فى هذا الكتاب كافية لكشف حقيقة جمال الدين ، خدمة للتاريخ ومساعدة للدارسين حتى تكون دراستهم لجمال الدين على هدى وبصيرة ، والله هو الهادى إلى أقوم سبيل .

ثالثا : خطابات إبراهيم اللقانى :

الخطاب الأول : وهو مرسل إلى جمال الدين الأفغانى وقد أرسله إبراهيم اللقانى من بيروت فى ١٥ فبراير سنة ١٨٨٣ الموافق ٧ ربيع الثانى سنة ١٣٠٠ هـ إلى جمال الدين — فى باريس ، وهو مكتوب باللغة العربية ونصه كالتالى :

(من بيروت فى ١٥ فبراير سنة ١٨٨٣ الموافق ٧ ربيع الثانى سنة ١٣٠٠

إن راسل سواى حظيرة قدس مولاى وأنا لم أفعل فلا عجب ولا عقوق ، فإنى أخشى حشم تلك الحظيرة وأقربهم إلى قدسها ، فأنا أشدهم خوفا من مولاى

وأبعدهم تصوراً لعظمته وماتصورت غير العجز عن التصور ، فكلما نزع بى الوجد إلى المراسلة غشينى من هذا التصور غاش عمنى هيبة ودهشة وأفعمنى ذهولا وغشية حتى لا أعقل إلا العجز ولا أعى إلا القصور ، ولا أسمع إلا الزجر ، ولا أبصر إلا الحطة ، ولا أحس إلا الضعف ، ولا أجد إلا الحيرة بل هذه كلها كلمات أكنى بها عما يعروني حينئذ من الأحوال ، كما يكنى بما فى الدنيا عما فى الجنة ، على أنى لم أنهزم من هذه الأحوال لأول صدمة ، بل أثبت أغالبها ، وأعانى تلطيفها بالالتفات إلى جانب حلم سيدى ، وسعة كرمه ، فلا يجدينى هذا الالتفات إلا الرجاء فى غفران ما أرانى عند النظر إلى جانب جلاله قد اقترفته من سوء الأدب بسبب الجرأة على إرادة مراسلة مولى لاتطاول أعناق الحكماء موطىء نعله من العلياء ، مولى لاندرى هل يعلم الحكمة أم الحكمة تعلمه ، ولا نفقه من المعنى ومن المبنى منهما ، مولى لانتحاشى أن نقول فيه إن روح الطبيعة برزت فى ثيابه لتهدى عالمها إلى ماتريده من أسرارها ، وترشد أبناءها سبيل التمدن الحق ، الذى ضلوه وحسبوا أنهم سلكوه فمن أنا إذا .. وماذا أكون حتى أترفع وأتطاول تهافتا على مراسلته ، وهل لى من العلم إلا ما ألهمنى إياه ، وهل ألهمنى إلا مايلهمه الوالد لطفله من الكنايات التى تناسب ذوق الطفولية كما يكنى له مثلا عن الجذب المنوطة به الكواكب بجبال النور ، أو كما يعبر له عن لذة العلم فى ذوق أهله بحلاوة السكر ونحو ذلك مما إذا شب الطفل وبلغ سن الإدراك لايجد بينه وبين المكنى عنه نسبة ما ، وتعقل أنه لم يكن متعقلا .. هذه هى منزلتى من مولاى ، بل منزلة جميع العالم منه ، ولن أرانى مهما بلغت بالغا حدا يؤهلنى إلى مراسلته إلا استفادة واسترشادا ، وهذا ما أردته من ألوكتى هذه ، ويعلم الله وسيدى أنى ماقصدت بما قدمت حسن تنصل من تقصير ، أو دفع توهم قصور ولكن وحق المولى يمينا قطع لسانى إن حنثت فيها ، ماحكيت إلا صدقا وما ذكرت إلا حقا ، هذا وإن ما أردته فسأبسطه بعد حكاية حال يحب مولاى التفكه بذكرها ، وها هى بغاية الإجمال ونهاية الإيجاز .

لما سلبنا روحنا، وفارقتنا حياتنا الحقيقية (أستاذنا وسيدنا) أخذ الخوعم الخيعامه يتربص بنا الفرص لتلاشينا غير مكتف ذلك الهيرع بما فعل بنا من خنا وخيانة وكان قد وكل الضابط علينا ، فوكل بنا عيونا ، لاتكاد تطرف ، تراقب ماعسى

أن يفرط منا فى هفوة أو عثرة نؤخذ بها ، فلازمتنا تلك العيون ملازمة العرض للجوهر ، لا تنفك عنا أينما كنا ، وحيث حللنا ، وقد زاد ذلك فى نفور الناس منا ، فأصبحنا أجانب منهم وفيهم ، وأينما كنا يشار إلينا بأطراف البنان بحيث كنا إذا حل أحد بنا بقهوة انفض جميع من بها تباعا سراعا ، لا يكاد يلوى أحدهم على آخر ، فتخلو القهوة ويكسد سوقها ولايدرى صاحبها ما السبب ، وكثيرا ماكنت أنا وسعيد نفعل ذلك لهوا وعبثا ، ثم امتنعنا إشفاقا على أرباب القهاوى من الإفلاس ، وهكذا أصبحنا بين أهل مصر كالسامرى فى قوم موسى وأخص بالتسفيه من بينهم كتاب جرائدهم ، ومن كان يبالغ فى الخضوع للسيد ، فقد كان هذان الفريقان أشد حدة وأحد لسانا ، كأنهم يدرأون بذلك عن أنفسهم شبهة النسبة إلى السيد ، وهذا بصرف النظر عن صاحب الأهرام ، فهو لايزال كلما عنت له فرصة يملأ جداول صحيفته بذكرنا ، لاسيما عند انتصار الإنجليز ، فقد دندن وطنطن وصرخ وصوت ، وولول ونادى بأن جميع ماجرى فى مصر هو ثمرة مايذر جمال الدين وتلامذته ، وأما كتبة الجرائد الأجنبية فلم أذكر لأحد منهم سوءاً إلا لمكاتب التيمس الذى كان فيما أظن مدح السيد أثناء زيارته له ، فإنه أراد أن يقدح فبحث وفتش على معايب فلم يجد ، وأبى إلا الذم فرمى المولى بأن عيونه كانت تبرق ولم ندر ماذا أراد بهذا الوصف وكأنه أعمى فرمى السيد بما هو من أوصاف البصير .

ولا أذكر جريدة الحكومة وما أتت به ، فقد قامت وقعدت وكرت وفرت ، وفكرت ودبرت ، وغاصت فى بحار السجع وسبحت ، ثم أدركها الكلل فنامت واحتلمت ثم تنبهت وتمطت ثم تثاءبت وتجشت ، ثم لفظت شيئا لاكته بعد أن قاءته أمعاء أوليائها ، ثم كلفت غيرها من الجرائد أن تلوث وجوهها بتلك الفضلات فأبت "مرآة الشرق" إلا الطهارة ، فعوقبت بالتعطيل ستة أشهر ، وأوعدت بالبحث فى سوالف أعدادها ، زاعمين أنهم يذكرون لها الوقيعة فى الدولة العلية (وماذا كان أسكتهم عما سلف) فآثرت المرآة أن تحتجب اجتنابا للشر ، وتركت أمر الوعيد لله .

واذا علمنا ماهم يتربصونه بنا حرصنا كل الحرص غير مظهرين المبالاة والاكتراث ، آخذين بأطراف المكر والدهاء والخديعة ، مع شرف نفس وعلو

همة ، وإباء ضيم غير معتمدين ولا معولين على أحد ، إلا فيما حدث لى عند فراق السيد ، إذ رفعت فى حقى شكاوى عديدة إلى الضبطية ممن كانت مرآة الشرق تعلن مساويهم ، فأول طلب جاءنى من الضبطية كان فى غد رحيل المولى ، فأيقنت بالشر بسر الطلب فبعثنى هذا اليقين على التوجه إلى مسيو فجرى وعرضت عليه الطلب فأيقن بما أيقنت أيضا وقال لاتخف وإنما استصحب معك أحدا ليعود إلىَّ بخبر ما يحصل لك ، وإياك أن تنزعج أو تقول إذا سئلت عن شىء إلا الحق ، ففعلت كذلك ، ولكن لما وجدت الطلب لأجل الشكاوى المذكورة حمدت الله وصرفتها بكلمتين ليس إلا ، فلم تبلغ الضبطية منى مرجوّها وهكذا لبثنا ستة أشهر نعانى مقاومة الاضطهاد ، وقد ظهر سر مولانا فى خلال الستة الأشهر هذه بمظهر عجيب ، وذلك أن جماعة إسكندرية الذين ظهر فيهم أثر خطبة المولى ، وهم آل بيت سرسق وقطة وزغيب والمخلع اجتمعوا على القيام بإعلاء كلمة السيد والنداء بما كان ينادى به ، وضموا إليهم عصبة من المسلمين وتعاونوا على إصدار جريدة نصفها عربى ونصفها الآخر فرنساوى ، ينشرون فيها ماجمع السيد عليه كلمتهم فى خطبته ، فأخذت تلك الجريدة من أول يوم صدرت فيه شهرة لم تأخذها أشهر جرائد أوروبا بعد عدة سنين على أنها جانبت التهور والجدة فوق مايوجبه عليها الأدب والاعتدال ، حتى لقد تهافتت على تسوئتها سائر الجرائد المحلية عربية وإفرنجية حقدا عليها ، وتملقا إلى رياض باشا ، إذا حسبوا أن تلك الجريدة فأحرستهم جميعا ، بما أوجب الثناء عليها .وحببتهم فيها رغم أنفهم ، ولم يكن عمل هؤلاء الجماعة مقصورا على تلك الجريدة ، بل كانوا دونوا لائحة إصلاح ، وجاء بها وَفْدٌ منهم إلى مصر ، ورفعها إلى الخديوى ، وسأله عن لسان الجمعية العمل بها ، فتنغص الخديوى من ذلك ، ولكن لم يستطع إلا الاحتمال والصمت ، ثم أخذوا أيضا فى تدوين لوائح غير تلك بما يرون وجوب إجرائه فى القطر ، ولكن من سوء البخت أن رياض باشا الذى كان وقتئذ ناظر النظار يرى أن المصريين ليسوا أهلا لمثل هذه الحرية ، وهى عقيدته التى يعلمها فيه سيدى ، والتى هى عيبه الوحيد ، فتصدى تلك الجريدة ، وكلف ناظر المطبوعات الذى كان وقتئذ إيطاليا بتعطيلها فاستعصم ، فكلف نفس ناظر الخارجية بذلك ، ففعل على غير العادة ، فلم يكن من الجمعية إلا أن رفعوا على الحكومة قضية ، فقضى لهم وهموا بإصدار الجريدة ثانيا ، لولا أن

المسلمين الذين كانوا فى جمعيتهم تفرقوا عنهم ، بل وتصدوا لإيذائهم نفاقا فعجبوا وسخطوا قائلين إنما نحن نخدم بذلك المصريين لا نخدم أنفسنا إذ ما من أحد منا إلا وهو رعية دولة أجنبية وفى مأمن من استبداد الحكومة المصرية ، وفى غنى عن حريتها ، فحيث أبى المصريون الاشتراك فى هذه الخدمة ، فمالنا وهذا العناء الذى ليس لأشخاصنا منه فائدة ، ومن حينئذ كفوا عن مشروعهم ، ولاحول ولا قوة إلا بالله .

ثم لم تمض علينا هذه الأشهر الستة إلا وقد تنقل بنا الدهر فأحللنا المكانة العليا والمنزلة القصوى ، فتولى الشيخ محمد عبده تحرير الوقائع ، وضم إليه إخواننا الطلبة كالشيخ عبد الكريم وسعد زغلول والسيد وفا والشيخ داغر ، والشيخ محمد خليل وتولى على بك مظهر رياسة القلم العربى بمجلس النظار وتولى هذا الخادم وظيفة الكاتب الثانى بنظارة الأشغال ، وبالجملة لم يبق أحد من المخلصين فى محبة السيد إلا وقد ظهر شأنه ، وارتفعت مكانته ، حتى اندهش الناس من هذا الانتقال السريع الذى نلنا بعد توقعهم تلاشينا ، ومامنعهم من أن يقولوا علينا سحرة إلا تحاشيهم من التظاهر باعتقاد السحر المعدود فى ذوق المتنورين من الخرافات ، وكأن هذا الانتقال أوقع فى أفئدة الناس منا رهبة

وحملهم على تعظيمنا وتكريمنا ، ومراعاة الأدب والاحتشام فى مجالسنا ، حتى كنا نضحك من ذلك فيما بيننا ، وإذا خلونا ، وأنا لا أرى أن ذلك الانتقال هو العلة التامة فى تعظيمنا إلى حد ، بحيث كنا لو حل أحد منا بمجلس طأطأت له الرءوس ، وخرست الألسن ، وصاخت له الآذان ، وتملقت له بقية الأعضاء ، وإنما ذلك لسر أثره بذر غرسه فينا أستاذنا ، وتعهدناه بما أودعه بنا من ماء الحزم فزها وأينع . على أن خمرة هذا الانتقال لم تسكرنا فتنسينا أخذ الحذر من (خرزنبور) أريد (توفيقا) إذ كان لم يزل بنفسه منا ما كان أولا ، بل زاده تقدمنا حنقا علينا واحبنطأ منا ، وما غل يديه عن البطش بنا إلا ما كان مصابا به فى عهد وزارة رياض من انحلال القوة ، وفقد النفوذ ، إذ لم يكن معه مستطيعا حلا ولا عقدا ولا أمرا ولا نهيا بل حجر عليه فعل ما هو من حقوقه كإعطاء الرتب إلا برأى مجلس النظار فهيهات هيهات أن تتم مصر توأما لرياض لو بقيت فى يد أهلها .

وقد زاد حذرنا عندما ابتدأت الحوادث الأخيرة التى سموها عصيانا ، فجانبنا

الدخول فيها ما استطعنا ، سالكين طريق من ليس له فى الأمر شيء ، زاهدين فى الثواب زهدنا فى العقاب ، لا رغبة عن الحرية ولا ضنا بأرواحنا فيها ، بل لعلمنا بالباعث الحقيقى على تلك الحركة ، وجزمنا بضعف القائمين بها ، وجهلهم بما يجب لها ، راجين مع هذا أن نسلم من تمحيض نسبتها إلينا ، إذ لم يكن يحصل بمصر أدنى حركة من هذا القبيل إلا عدوها من آثار أستاذنا وتلامذته ، ولهذا فإننا حمدنا الله تعالى حيث لم يكن السيد بمصر أيام هذه الحوادث وإلا لكان أول محاسب ، فلله الشكر والثناء.

ثم انتهت تلك الحوادث باستوزار عصبتها ، فأخذوا فى تنقية الوظائف من الغلث القديم ، وانتقوا لها من الشبان من رأوه خليقا بها ، فكنا فيمن وقع اختيارهم عليه ، فتولى محمد عبده فوق تحرير الوقائع قلم المطبوعات الشرقية عربية وتركية وغيرهما (وإن لم يعرف غير الأولى) وصار هذا الضعيف (أنا) مفتشا بالداخلية ، وسعد زغلول معاونا بها ، فزاد بذلك ارتفاع شأننا ، ولكن عُد ذنبا لنا عند حزب الخديوى على أننا وعلى الخصوص إبراهيم لم نخرج عن الحد الذى أوقفنا أنفسنا عنده فى تلك الحوادث ولم نتظاهر بالميل مع أى الحزبين ولم يكن لنا فعل فى جريان الحوادث ، غير ما يطلب منا من الآراء والمشورة ، ولم يكن من رأينا إلا اجتناب أسباب الحرب ، والاجتهاد فى دفع وساوس المستر مالت قنصل إنجلترا الجنرال وفى مداهاته ومسالمته واجتذابه.

وقد كان الناس جميعا إلا النزر اليسير سروا بانتهاء الوزارة إلى العصبة المذكورة ، وصيرورة الحكومة شورية ، فأخذوا فى أسباب إعلان السرور فكانوا يتسابقون إلى إعداد الليالى لتلاوة الخطب لا للسكر والطرب ، وأكثر ما كانوا يعولون فى الخطابة على تلامذة السيد ، إلا أننا كنا نروغ ونحاول الخلاص من ذلك ، فلا نجد مفرا ، خصوصا وقد كان الوزراء هم الذين يندبوننا غالبا إلى ارتقاء المنابر ، فنتمثل ولكن لا نخرج فيما نقول عن حد الاعتدال ، فطار بذلك صيتنا ، واشتهر أمرنا فعدوا لنا ذلك ذنبا ثانيا ، وتم اعتقاد حزب الخديوى بأننا من حزب العصاة.

ثم استفحلت الحوادث بدسائس مالت وسقطت تلك الوزارة ، وآل الأمر إلى مفاجأة انجلترا بضرب مصر ضربا لا يسوغه قانون ولا ترضاه عوائد المتوحشين

فضلا عمن يدعون التمدُّن ، ثم انجلت الحرب عن هزيمة المصريين بدسائس الخديوى وسلطان باشا ، فأخذت الحكومة فى القبض على رءوس العصبة ، وإعداد المشانق ظنا من الخديوى أنه سيكون حرا فيما يريد ويشتهى ، وأن الإنجليز ما بذلوا مالهم وأراقوا دماءهم إلا لتأييد جنابه حقيقة عشقا فيه وشغفا به ، لتنال فيكتوريا من حسنه وجماله ماقضت عمرها فى تمنيه منه ، ولكن ما أنبهه وما أذكاه فقد فهم اليوم أنهم ماجاءوا إلا لتقييده لا لتأييده .

وقد كنا فى ضمن هؤلاء الرءوس المقبوض عليهم فدخلنا السجن جازمين بالقتل ، ولكن وأيم الذمة مانبضت لنا فريصة ولا خفق لنا قلب ، ولا شابنا انزعاج إلا ما داخلنا من الإشفاق على تيتم أطفالنا على أن الإنجليز لم تدعه يتمكن من الانتقام والتشفى ، وإنما جارته على هواه إلى أن احتلت بأخاء القطر ، وتغلغلت فى أحشائه وتمكنت من القلاع والحصون والثغور ، وجمعت جميع ما فى القطر من أنواع الأسلحة ثم تظاهرت برأيها من لابد من المحاكمة لا رأفة منها .. أستغفر الله .. ولكن استمالة للأفئدة ، بما توهمه بهذا الفعل أنها عادلة منصفة وجعلت للخديوى بسلامته نصيبا من هذا الاتهام إذ بنته على أوامره ليقال عنها إنها أيدت رجلا عادلا ، وحينئذ شكلوا من المجالس ما شكلوا وأجمعوا آراءهم على محاكمة الأشقى فالأشقى ، وأحصوا أولى الدرجة الأولى من الشقاوة بحسب انتقاء الخديوى ، ومن بحاشيته من الصغار ، ونقلوهم من سجن الضبطية إلى محل آخر أعدوه لسجنهم وزعموا أنه على نمط سجن الأشقياء فى أوروبا وما أظنهم صادقين فى زعمهم هذا وإلا لكان حكام أوروبا أفظ الناس وأغلظهم جانبا ، وأقساهم وأخشنهم قلبا فإنى كنت محسوبا من أرباب هذه الدرجة ، وسجنت فى هذا السجن خمسة أشهر إلا أياما وها أنا أصفه لمولاى على ما هو عليه بلا زيادة ولا نقصان ويقيسه — إن شاء — على ماهو مشاهد له الآن فى فرنسا هو عبارة عن حجرة ليس بها متنفس ، إلا منفذا صغيرا مما يلى السقف عليه شباك من حديد ضيق الأبعاد جدا يليه منسوج من سلك لاتزيد مسامه عن مسام الخرقة ، بحيث لا يكون الضوء فى تلك الحجرة عند محاذاة الشمس لذلك المنفذ إلا بمقدار مايرى الإنسان أن يضع قدمه ، وفى تلك الحجرة رطوبة لا يمكن اتقاؤها ، ولا اتقاء ما يصعد عنها من الروائح الكريهة التى أثرت ببصرى تأثيرا لم يزل لى حتى الآن ، ثم

هى لاتفتح لا ليلا ولا نهارا إلا لحظة عند الصباح ولحظة عند المساء لقضاء الحاجة ، على أنهم لا يمكنوننا من قضائها على وجه الصحة بل كانوا يستحثوننا وربما دخلوا المرحاض وأنهضونا رغما ، ولذا كنا كثيرا ما نضطر إلى قضائها داخل الحجرة ، وكانوا يحظرون علينا الاستصباح وتناول الدخان ومطالعة الكتب وتلاوة القرآن والكتابة ، فكانوا يمنعون وصول شيء من أسباب ذلك إلينا ، وعلى الخصوص إذا كان جرنالا ، ولزيادة احتياطهم كانوا كل يومين يأتوننا فيفتشوننا تفتيشا مهينا، خوفا من أن يكون قد وصل إلينا شيء من المحظور علينا، مثل كبريت أو ورق ولو أبيض، ثم ينفصلون عنا بعد أن يوسعونا إهانة وتهديدا وإيعادا بالقتل والسلب، ونوسعهم تجلدا وثباتا، وكانوا أيضا يمنعون وصول أهلنا وخدمنا إلينا وإنما إذا جيء لنا بطعام أو لياء من قبل أهلنا، حمله السجانون إلينا من غير أن نرى من جاء به أو يرانا، وإنما جهلوا صاحب الشيء فأعطوه لغيره وهذا بعد أن يتناولوا منه لأنفسهم ما يشتهون، ويعطوننا الباقي كصدقة يطرحونه من بعد فيكسر من الأوانى ما يكسر ، ويتلوث من الثياب ما يتلوث ، وتنال الأرض من الطعام نصيبها ، هذا هو مجمل أوصاف السجن ، فهل هو كذلك فى أوروبا نعم كان يستطيع تلطيف هذه الشدة من يبسط يده بالبذل ، فقد تحصل بعضهم على العلبة من الكبريت بليرة إنجليزية فكم يكون ثمن غيرها من أنواع التلطيف ، وقد تحصل محمد أفندى الصدر على دواة وقلم بثلاث عشرة ليرة ، وعلى هذا القياس يا سيدى ، وهو قياس ينتج أن مثلى عانى الشدة طول المدة ولم يستطع إلى التلطيف سبيلا ، وماهي بالمدة القصيرة بل خمسة أشهر إلا أياما .

على أن الإنجليز كانوا قد عينوا مفتشين منهم على السجون يمرون علينا مرة فى كل أسبوع ، يسألوننا عن أحوالنا ، وعما عسانا نشكو منه ، فكنا نكتم عنهم حقيقة الحال ، إلا ما يضر بالصحة مخافة أن تقع شكوانا إلى مسامع الخرنوص (توفيق) بواسطة السجانين الذين هم من أعوانه ، فلا يعدم حيلة إلى إيذائنا وماذلك إلا لانقطاع أخبار الخارج عنا ، وجهلنا بما هو عليه من الضعف ، وسقوط المنزلة ، وإلا لكنا تخلصنا من هول تلك الشدة غير مكترثين بما كان يصل إلينا من التهديد والوعيد ، ولكن ماهى حيلة الجاهل الذى ماعرف حلول العيد إلا بتوالى إطلاق المدافع أربعة أيام فى كل وقت من الأوقات الخمسة .

وما كان لنا مؤنس فى السجن إلا تعليل النفس بقرب حلول دورنا فى المحاكمة ولا مسامر إلا هواجس الخاطر بما ندافع به عن أنفسنا وقت المرافعة ، فكانت تنسر وتنشرح من هذه الخواطر ، وتمنى ذاتها أمانى عديدة ، من الغلبة وكسب الشرف والفخار فى مقام المحاكمة وطلب عوض مالحقها من الإهانة والضرر والخسارة ، إلى غير ذلك من الأمانى التى كانت كأنها بين أيدينا ثم استيقظنا فلم نجدها ، وذلك أنهم رأوا أن المحاكمة تؤدى إلى إهانة القمهد (توفيق) بوقوفه صغيرا ذليلا أمام المرافعة وإلى إلقاء المسئولية بتمامها على عاتقه ، وهذا يدلى إلى فضيحة الإنجليز بتأييدها ولداً درقما مثل هذا ، فأحبَّتْ أن تتلافى هذه الفضيحة من وجه والخديوى تواقع وترامى على اللورد دوفرين من وجه آخر فبتت المسألة على وجه سياسى لا وجه قانونى وكانت قد تواطأت مع عرابى ورفاقه على بت المسألة بهذه الطريقة ، فادعى المجلس أن عرابى وستة معه استحقوا القتل ، وأن الخديوى تنازل إلى النفى المؤبد وفوضوا أمر باقى المسجونين إلى رأى الخديوى ، فأطلق من أطلق وجرد من جرد ، ونفى من نفى ، كل ذلك بالاستبداد والهوى ، لا بالتحقيق والإنصاف .

وكنت أنا والشيخ محمد عبده فى ضمن من حكم عليهم بالنفى كل منا ثلاثا خارج القطر المصرى ، بعد أن كان محكوما علىّ بتسع سنين ، وعلى الشيخ محمد بعشر سنين فى طوكر ، وهى بلد بالسودان فوق مصوع ، وسر هذا التخفيف جدال وقع بين سعادة العلامة الفيلسوف على مبارك باشا وبين شريف باشا أما سعادة الأول فكان يحاول نفينا إلى حيث لا نتمتع بالحياة ولا نعود جزاء إحساننا إليه وتصنيفنا له التصانيف التى يتيه بها على العلماء فضلا عن الذوات من غير أن ننال منه على ذلك ثوابا إلا المرتب الذى كنا نأخذه من الحكومة فى نظير عملنا بها ، وكأنه أشفق أن ننم بانتحاله لتلك التصانيف فى يوم ما من الأيام — ولو بعد موته — فيضيع صيته الباطل سدى ، فأراد أن يعجل بفقدنا ، فطلب أن تنفى هذا النفى القاطع للحياة ، وأما سعادة شريف باشا — حفظه الله — فكان يحاول إطلاقنا ، ولاصلة بيننا وبينه البتة ، فلا أدرى ما الذى بعثه على الموافقة عنا — جزاه الله خير الجزاء — فقد كانت مرافعته سببا لتلطيف الحكم ودفع الأذى الذى أراده بنا على مبارك لعنة الله عليه .

وفاتنى أن أذكر لمولاى أنهم ساووا فى السجن بين تلامذته ، ورءوس العصبة ، أى عرابى وباقى السبعة الذين استحقوا القتل ، فأفردوا كلا منا فى سجن على حدته ، وزادوا فى التشديد عليه فوق ما عاملوا به عامة المسجونين ، ولو كان الأمر بيد اليعر (توفيق) لاستفتح بقتلنا قبل كل من كان يود الانتقام منهم ، ولكن الله سلم.

ثم بعد الحكم علينا بالنفى أخذوا يخذفوننا جماعة فجماعة إلى حيث مايريده كل شخص من الجهاد فلما جاء دور الجماعة الذين كنت محذوفا معهم ، ونقلنا إلى سجن اسكندرية ، يتربصون بنا ميقات سيرالوابورات رأيت فى السجن رجلا أعجميا طويل اللحية عليه سيماء المرض أقبل يسلم على سلام الأخصاء مع هشاشة أعرفها ، وبشاشة لى عهد بها ، وإن مازجها تململ المريض ، وتأوه المظلوم ، فتأملت طلعته ، وتفرست هيئته فوجدتنى أعرفه ، فكدت أصيح ، ولكنى دهشت وطشت وذهلت وغبت عن وجودى فإنى وجدته أبا تراب . أو ليس إنى خليق بتلك الدهشة ، كيف لا وهى فرصة لو فاجأت الحجرة الصلد لذاب ماء أوطار أنجارا ، ثم بعد ما وقفت منه على ما فصله لمولاى ومولاه حمدت الله على مصيبته قدر حمده على مصيبتي ، إذ كانت مصيبة كل فائدة لصاحبه وأقل مافى ذلك زوال وحشة الانفراد.

هذا موجز ما يتعلق بنا بعد فراق سيدنا ، وقد أضربت عن ذكر حوادث كثيرة جرت فى خلال ذلك ، وكنت قيدتها واحدة واحدة ، فاستوعبت مجلدا لطيف الحجم ، وادخرته على نية أن أرفعه فكاهة إلى سيدنا عندما يسعدنى الاتفاق بلقياه فإنى كنت ولا أزال أمنى النفس برؤيته عاملا على بلوغ هذه الأمنية مادمت حيا ، فإنى وحقه لا أرى الحياة حياة إلا بخدمته.. وهذا المجلد كان قاصرا على ماجرى فى عهد فراق السيد إلى مبدأ الحوادث الأخيرة المسماة عصيانا ، مستفتحا بذكر السيد ومناقبه ، ومافعله بمصر من المواهب وما تركه بها من الآثار ، التى ما خدم بها الإسلام أحد قبله ، والتى لا يقوم بشكره عليها إلا الحقيقة المحمدية ، أما ماجرى من ابتداء الحوادث الأخيرة إلى ليلة القبض على فقد أفردتها بالتقييد ، وعنيت بها عناية المؤرخ الناقد ، على قدر ماوصل إليه حولى حاكيا كل حادثة منها

على ماظهر واشتهر ، ومردفا بما بطن .

من أمرها واستتر على ما ينبغى من الضبط والدقة ، وما يوجبه النظر فيها من التجريح والتصحيح والتخطئة والتصويب ، فاستوعبت هذه الحوادث أيضا مجلدا أعظم حجما من الأول وادخرته كذلك ليكون لى إذا راق مولاى — أثرا وذكرا ، غير أن الظلم ياسيدى لا يبقى ولا يذر ، فإنهم ليلة أن قبضوا علىّ أقاموا على المنزل غفرا محافظة على ما فيه ، إلى أن يهاجموه ويضبطوا ما يضبطونه منه ، كما فعلوا بمنزل الشيخ محمد عبده من قبل بليلة ، إذ ضبطوا جميع ما به من الأوراق فأوعزت إلى أختى عندما وقفتُ على نيتهم فى ليلة القبض أن توارى سائر ما عندى من الورق إلا ما كان منها مجلدا مطبوعا ، فلم تتمكن من فعل ما أوعزت به إليها فإن العسكر الذين كانوا غفرا على المنزل منعوا خروج كل شىء ، بل منعوا خروج أحد من أهل المنزل ، ودخول أحد إليهم ولهذا لم تجد بدا من طرحه فى المرحاض فذهبت ذكراى فيما لا يذكر !

ها أنا قد بسطت ما أردت بسطه من حكاية حالنا ، فلأعرض على مولاى ما أردته بهذه الألوكة .. قد قضى على السجن ببيع أمتعة منازلنا حتى الغطاء والوطاء لسد الرمق بأثمانها ، فلم ينقص السجن إلا وقد نفد جميع مالدينا فتخيرنا أن ننفى إلى بلاد دولتنا رجاء أن نجد بها ملجأ ونصادف فيها مخلصا ، فنحصل على ما يقيم أودنا ، إلى أن يقضى الدهر بما هو قاض ، تاركين أمر عيالنا فى مصر إلى الله ، تفعل بهم الصدفة العمياء ما هى فاعلة ، فجئنا بيروت ، فلم يستقر بنا المقام حتى أمرنا بالخروج منها ، وأن لا نطأ أرضاً للدولة العلية مطلقا ، فحرنا فى أمرنا ، وحملنا الاضطرار على استرحام الباب العالى على النحو الذى فصله أبو تراب لسيدى ، فإذا لم يستجب الباب العالى دعاءنا ، فما هى الحيلة ؟ وماذا نصنع ؟ وأين نذهب ؟! .. ولسنا على شىء يؤهلنا إلى قصد أوروبا ، ولا عندنا من الثروة ما يساعدنا على المقام فيها ، وما سألنا سيدنا هذا السؤال طالبين منه الجواب إلا لأنه السبب فى ظهورنا ، وافتتاح بصائرنا ، وقد كنا — أولا — نسبح فى بحار الغفلة ، متلذذين بأوهامها ، متنعمين بخرافاتنا ، نقرأ وردنا ، وننام لا علينا ولا لنا ، فجئت واستنقذتنا من هذه الأوهام ، واستخلصتنا من الخمول ، فأحييت لنا بذلك إحساسا كان فاقدا منا ، وشعورا لم نكن نعهده فينا ، فصرنا نتألم من كل ما

لا يلائم هذا الإحساس ، ونتأذى من كل ما لا يجانس ذلك الشعور ، ولا شيء في مصر مما لا يلائم هذا أو يجانس ذلك ، فنحن على الدوام في ألم وتململ ، وأنت أنت السبب في ذلك (وعجيب أننا لا ننفك نشكرك على ذلك عوضا عن أن نشكوك) فعلى سيدنا أن يهدينا السبيل الذى نسلكه فيما نزل بنا من المصاب ، وأسأل الله أن يهدينا سبيلا يوصلنا إلى الاجتماع بمولانا حفظه الله .

هذا وإنى أختم هذا الحديث بلثم أعتاب مجلسه .

غرس فضلكم

إبراهيم اللقانى

حضرة الشيخ محمد عبده حضر تحرير هذه الألوكة وسألنى أن أرفع فيها إلى سيدنا ما هو واجب عليه من تقبيل أقدام ولثم راحات وغير ذلك مما يكفينى مؤنة ذكر علم المولى بحال تلامذته .

وإذا شاء السيد أن يتفضل على خادمه أبى تراب أو عبده إبراهيم بشيء من الكتابة ، فليكن عنوانه باسم السيد عبد القادر أفندي القباني مدير جريدة ثمرات الفنون .

نقد وتعليق :

هذا الخطاب الذى أرسله إبراهيم اللقانى أحد تلاميذ جمال الدين الأفغانى وأحد زملاء الشيخ محمد عبده ـــ يتضمن معلومات بالغة الأهمية ، لها دلالات عجيبة ، وهى جديرة بالدراسة والتأمل ، ويمكن أن نستخلص منها مايلى :

أولا : أن جمال الدين الأفغانى كان عظيم التأثير على تلاميذه ومريديه ، ويظهر هذا بوضوح فى الأسلوب الذى خاطب إبراهيم اللقانى به أستاذه جمال الدين الأفغانى ، فهو يخاطبه كما يخاطب الملوك والسلاطين وأمراء المؤمنين ، ويعده مبعوث العناية الإلهية الذى بعثه الله لإنقاذ الأمة الإسلامية ، وأنه يستحق الشكر والثناء من الحضرة المحمدية .

فالخطاب حافل بالملق مسرف فى النفاق بصورة تكشف مدى تأثير جمال الدين فى تلاميذه ، الذين يفخرون بتقبيل قدميه ولثم راحتيه ، برغم ما كان لتلاميذه من شهرة وعلو شأن فى مصر .

ثانيا : أن الخطاب يثبت أن جمال الدين كان شيعيا فقد ذكر خادمه (أباتراب) وهو اسم لا يوجد إلا عند الشيعة كما أن اسمى أبا بكر وعمر لا يوجدان إلا عند أهل السنة مما بيناه فى الجزء الأول من كتابنا(حقيقة جمال الدين الأفغانى) .

ثالثا : أن الخطاب يلقى بعض القتامة على وجه على باشا مبارك ، فيبين ــ لو صح ــ أن كتبه التى نسبت إليه ورفعت من شأنه لم تكن من تأليفه وتحقيقه وإنما كان هناك موظفون حكوميون منهم إبراهيم اللقانى ، يتقاضون مرتباتهم من الحكومة ، ويقومون بإعداد هذه الكتب التى نسبت إليه .

كما أنه كان معاديا للحركة الوطنية إلى درجة أن قلبه كان أكثر قساوة على الوطنيين من الإنجليز والخديوى وشريف باشا .

رابعـــا :

يوضح الخطاب ما كان يدبر ضد مصر من مؤامرات بواسطة المستعمرين من الإنجليز ، وبمعاونة عملائهم من المسئولين المصريين وعلى رأسهم الخديوى توفيق ، الذى وصفه إبراهيم اللقانى فى خطابه بأوصاف قبيحة تدل على تفاهة شخصيته ، وكره المصريين له .

خامســـا :

أن طلب إبراهيم اللقانى من جمال الدين الأفغانى فى نهاية الخطاب أن يحل مشكلتهم ويرشدهم إلى الطريق الذى يسيرون فيه دليل على نفوذ جمال الدين الذى يبدو أنه كان على صلة بالإنجليز تمكنه من الوساطة لديهم ، وإقناعهم بالاستجابة إلى ما يطلب وحل مشكلات من يتوسط لهم .

وقد أثبتنا هذه الصلة فى تعليقنا على خطابات إبراهيم المويلحى ، وفى دراستنا السابقة لجمال الدين ومحاولة الكشف عن حقيقته .

ونعرض الآن خطاب آخر من خطابات إبراهيم اللقانى إلى جمال الدين الأفغانى لنلقى مزيدا من الأضواء الكاشفة لحقيقة جمال الدين ، بتوفيق من رب العالمين .

٢ ــ الخطـاب الثانى :

وهو خطاب كتبه إبراهيم اللقانى إلى جمال الدين الأفغانى من بيروت فى ٢٧ فبراير سنة ١٨٨٣ ، وكان جمال الدين حينذاك فى باريس ، والخطاب بالعربية ونصه كالتالى :

□ من بيروت فى ٢٧ فبراير سنة ٨٣

هذه إلى فناء سيدنا ومولانا ــ متع الله العالم بطول حياته ــ وقد تقدمها أربع ، إحداها عجالة من خادمه أبى تراب ، أرسلها عن طريق باريس باسم إدارة البصير ، يحيط فيها علم مولانا بحلوله بيروت ، ويعده بتفصيل ما وقع له .

والثانية هو هذا التفصيل ، بعث به عن طريق لوندره ، والثالثة يخطر فيها سيدنا بإرساله هذا التفصيل وأرسلها فى رسالة من عبده إبراهيم وهى الرابعة وقد أرسل بهما إلى باريس رأسا باسم صاحب البصير أيضا .

ولم يزل أبو تراب يتوقع ما يرسم به عليه مولانا ، حيران قلقا لأجله ، ينزع به الإشفاق إلى أن يبعث إلى حضرته بجانب من النقود بواسطة إحدى البنوكه ، ثم يمتنع توجساً من كون ذلك لايحسن لدى سيدنا ، ومخافة أن يكون السيد بارح باريس إذ نقلنا فى الجوائب نقلا عن جرائد باريس أنه على عزم الإيابة إلى لوندره وإن جزمنا بتحريف النقل ، ولكن ذلك الجزم لم يمنع الخوف المذكور ، حتى ترجح لديه ولدى جانب الإمساك عن الإرسال مع ماهو فيه من اشتغال البال واضطراب الخاطر ، اشتغالا واضطرابا يكادان أن يدفعا به إلى باريس على غير شعور منه ، لولا أنه مقيد بأمر مولانا من أنه لايبرح إلا بأمره .

ثم هو وإن كان لم يزل مراسيم مولانا إلا أنه أشفق أن يكون السيد فى شاغل ، من حيث إباء الدولة العلية عن قبولنا فى ممالكها الشاهانية وتكليفها لنا بالخروج من بيروت ، على ما فصله أبو تراب ، وربما كان ذلك موجبا لتردد مولانا فى إرسال مراسيمه إلى بيروت لاحتمال انجلائنا عنها ، فرأينا أن نُعَجِّلْ بإحاطة علم مولانا بأننا لم نزل ولا نزال فى بيروت غير متعتعين ولا مزحزحين ، وإن لم يصدر من الدولة ما ينسخ أمرها الأول ، وإنما كنا أرسلنا إلى الحضرة العلية ــ بطريق التلغراف ــ نسترحمها ، ونكشف لها أن الموت ولا الخروج من ظلها ، والهلاك

ولا مبارحة بلاد الإسلام وبمثل ذلك راسلنا مسند الصدارة والباب العالى ، وعززنا ذلك بعريضة طويلة رفعناها إلى والى سوريا ثم سكتوا وسكتنا ، فحسبنا هذا السكوت إجابة ورضاء ، وكأن سياستهم فى ذلك ـــ والله أعلم ـــ أن نكون على ريبة مستديمة فى أمرنا ، فنظل بها فى شغل شاغل عن الإفساد الموهوم فينا ، بحيث لو رأوا منا أدنى شيء مما يتوهمون لعاملونا بمقتضى الأمر الأول الذى لم ينسخوه نسخا صريحا ليكون مدخرا لنا كعصا الزاجر تهديدا وإرهابا .

وعلى ذكر ذلك أقصُّ على سيدى أمرا لاشك عندى فى أن يملأه سرورا ، وهو أن أهل بيروت عند صدور الأمر الأول هاجواوماجوا نفورا منه واشمئزازا ، وغلت رءوسهم غيرة وحمية ، فتجمهر الوجوه منهم ، وساروا إلى دار الولاية متعاونين على نسخ هذا الأمر ، وإثناء الوالى عما فعل بأفئدتهم وأفئدة عموم المسلمين من التأثير ، وما عساه يفعل بفؤاد كل مسلم فى الكرة الأرضية ، ولم يبرحوا من عنده حتى رأوه على مشربهم ، ووعدهم بأن يبذل جهده فى نسخه ، ولم يمض غير قليل حتى أوعز إلى بعضهم بأن يسكن روعنا ، ولكن لايسند الخبر إليه ، ففهمنا المقصود واطمأننا فانظر ياسيدى هذه الهمة ، وقسها على همة المصريين ، الذين كانت حكومتهم يوم أخرجت مولانا فى غاية الوجل ونهاية الخوف من حصول ثورة تعم القطر ، وتزعزع أركان البلاد ، حتى حملها هذا الخوف على أن بثت قوة فى البلاد للمحافظة على الراحة ـــ فوق العادة ـــ ونشرت الجواسيس فى سائر الأنحاء التى توهمت انتشار الثورة منها ، وهم أى المصريون لم يكونوا يومها فى شيء مما توهمته الحكومة ، بل كانوا على عكس ذلك ، فبلغ الخوف من قلوبهم أن كانوا يتوارون ويتمارضون فى المنازل ، بل منهم من بادر فى حينه إلى السفر وتغيب حتى انقطعت السيرة وجزم بالأمن فضلا عما كانوا يتظاهرون به من بغض السيد والوقيعة فيه درءًا عن أنفسهم الدنيئة ، وليس ذلك بعجيب على أمة مثل المصريين لبثت كذا وكذا أحقابا تحت ضغط الاستعباد ونير الاستبداد ، حتى تحولت حرارتها إلى برودة ، وتأثرت نفوسها تأثراً أودى بملكاتها الغريزية وأحدث فيها أخلاقا من أضدادها ، رسخت بتوالى الدهور ، فصارت ملكات ثابته يتوارثها عقب عن عقب ، وجيل عن جيل ، فأنى لها بمحو هذه ، وإعادة تلك ، إلا بعد أن يمضى عليهم فى التربية والعلاج مثل ما مضى عليهم

فى الاستعباد والاستبداد ، وهيهات هيهات !.. فهم على هذه الأخلاق يعيشون وعليها يموتون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم ما أعظم مصابهم وما أسوأ بختهم أن تركتهم فرنسا تحت ظل إنجلترا ، ونسيت أن إنجلترا هى التى أخرجت نابليون من مصر عنوة ، بعد أن روّى أرضها من دم رجاله ، وخسر فيها ما خسر من ماله ، ومن ياترى للمصريين إذا أقعد فرنسا التخوف من بسمارك عن آخذها بالثأر من إنجلترا ، وعن تدارك سوء سياستها حيث تركت إنجلترا تنفرد بالعمل فى مصر ، غير متذكرة خيانتها ، وهل اكتفت بتونس عوضا عن حقوقها فى وادى النيل البهى الخصيب ، أم بينها وبين إنجلترا اتفاق آخر لم يزل وراء حجاب الخفاء ومهما يكن من أمر فقد لعبت سياسة إنجلترا بسياسة فرنسا ، وساعد الأولى ما حدث من الخلل فى داخلية الثانية ، ولقد كان لحدوث هذا الخلل من التأثير فى قلوب المصريين مالا أظن وقوعه فى قلوب الجمهوريين من أهل فرنسا ، فإن المصريين لايرجون خلوصهم من أسر إنجلترا إلا على يد فرنسا ، وهم إذا كان لابد من استيلاء دولة أجنبية عليهم يفضلون استيلاء فرنسا ولو أماتتهم على استيلاء إنجلترا ولو أحيتهم ، ولذلك تراهم يتوقعون قدومها آناء الليل وأطراف النهار ، حتى إن الإنجليز أجروا يوما من الأيام مناورة لإطفاء ثورة داخلية على فرض حصولها ، فظن المصريون أن فرنسا قد دهمت الإنجليز بخيلها ورجلها ، وخرج الكثير منهم لملاقاة رجالها بالفرح والسرور ، وكثرت القالة ، فمنهم من يقول إنها قادمة من طريق الفيوم ، ومنهم من يقول من طريق القصير وهلم جرا حتى اضطر الإنجليز إلى اتخاذ الوسائل لقطع هذه الأراجيف ، ونشرت الحكومة فى جريدتها ما يكذب ذلك أيضا فتكدر المصريون كدرا شديدا لخلف ظنهم .

وبالجملة فالمصريون فى حنق محرق على الإنجليز ، وإن كانوا إذا انقطع أملهم من فرنسا يؤثرون بقاءها على تمحيض السلطة للخديوى ، كما أنهم فى حنق أشد من ذلك على أبى نظارة ، حيث لم تتحقق إلى الآن نبوة من نبواته ، وإن كانوا لايزالون يتفانون فى الحصول عليه عند وروده ليتروحوا بتلاوة ما فيه ميلا مع أمانيهم ، وإن لم يجزموا بتحققها ، فلأبلغ عمى أبا نظارة بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن سائر المصريين أننا ــ بعد السلام عليه ــ كافرون به ، إذ لم يحن الإيمان بمن لم تثبت نبوته ، وإلا فليأتنا بدليل على صدق تحديه ، فقد سئمنا معاشر

المصريين وآذنت نفوسنا أن تفيض هما وغما ، وكدنا نصدق بحدوث ماحدث فينا من الحركة الأخيرة التي سموها عصيانا ، حتى جاءت الدولة الباغية الطاغية ، وأرغمت أنوفنا بحجتها الداحضة ، وعضدتها فرنسا الحرة بسكوتها ، فأضاعتنا وأضاعت حقوقها ، وماضر فرنسا لو تركتنا نأخذ حريتنا مع حفظنا لمصالحها ، كما أخذت حريتها فيما مضى بمثل ذلك كما يقضى عليها ناموس الإنسان والحرية فهل أشفقت منا على مصالحها ، ووثقت من إنجلترا ، أم ماذا ياترى ؟ وهل لم تحسب لغدر إنجلترا بها حسابا أم حسبت وأعدت لذلك استعدادات تكبح بها شرها وطمعها ؟!.. وأين هذا ومتى يظهر ؟!.. لعل الربيع موعدنا بذلك.. اللهم حقق.. ندعو دعاء المضطر الطائش مع استبعادنا لحصول ذلك، نظرا لماهو في فرنسا من الخلل الذى حدث لمجرد موت رجل واحد ، كأن الله لم يخلق فيها سواه ، على كثرة عدد أهلها وعدد العلماء والأحرار فيها.. وأيم الله لو كنت أنا فرنساويا وشاهدت هذا الخلل لموت رجل واحد لأخذتنى الغيرة على شرف فرنسا أنها بنت رجل تموت بموته ، وأجهدت النفس على جهلها ، فى أن تحل فى الناس محل هذا الرجل ، وأحفظ زمام الأمة الجمهورية كما كان حافظا له ، وإلا فما معنى أمة عظيمة كفرنسا تنحل عرى نظامها لانفراط جوهرة واحدة من عقدها ، ولو كانت تلك الواحدة هى الواسطة.. إن هذا لمن العجب بمكان عظيم ، أو لعل الحكومة هى التى تعمدت أن يبلغ الخلل من البلاد هذا المبلغ لتتخذه عذرا فى تقاعدها عن معارضة إنجلترا فى مصر معارضة فعلية ، حتى لا يلحقها عار من هذا التقاعد فى تاريخ مستقبلها ، إذيقال إنها آثرت الاشتغال بداخليتها عن الاشتغال بالخارجية أخذا بالأحرى ، كما كان الخديوى فى أوائل الثورة يراسل حكمدار السودان أن أهمل أمر المهدى ودعه يستفحل ، ليكون ذلك داعيا إلى حشد الجند الموجود فى مصر ، فتتلاشى قوة عرابى وقد كانت عاقبة هذه السياسة السيئة تغلب المهدى على أكثر نواحى السودان بل يمكننا أن نقول إن السودان خرج من يد الحكومة بالمرة ، ولكن ما أظن فرنسا تفعل هذه السياسة.

(نؤجل باقى الحديث إلى رسالة أخرى)

عبدكم

إبراهيم

ويوجد الى جانب توقيعه ذكر اسم خادم جمال الدين الأفغانى وهو (أبو تراب عارف الأفغاني) إشارة إلى أن أباتراب ، كان حاضرا فى الوقت الذى حرر فيه إبراهيم اللقانى هذه الرسالة إلى جمال الدين الأفغانى كما كان حاضرا حين تحرير الرسالة الأولى التى أوردناها قبل هذه الرسالة.

نقد وتعليق :

إن ماورد فى هذا الخطاب عجيب حقا ، لأن إبراهيم اللقانى ــ وهو مصرى ــ يهاجم المصريين ، ويصفهم بالجبن والاستكانة والرضا بالظلم والاستعمار والاستبداد ، وتفضيل الخضوع للاستعمار الإنجليزى على حكم الخديوى توفيق.

والأعجب من هذا أن إبراهيم اللقانى يستعدى فرنسا على إنجلترا ، ويدعوها للتدخل فى مصر والحلول محلها فى السيطرة على مصر بحجة أن لها حقوقا فى مصر ، وينبغى عليها أن تسترد هذه الحقوق المغتصبة وأن تدافع عن مصالحها ، ويذكرها بإخراج إنجلترا لنابليون من مصر بعد أن أراق على أرضها دماء رجاله وأضاع أمواله ، ويزعم أن المصريين يفضلون الاستعمار الفرنسى على الاستعمار الإنجليزى مع أنه يشير فى الخطاب نفسه إلى الثورة العرابية التى قامت لتحرير مصر من الاستعمار وعملائه ، مما يدل دلالة واضحة على غيرة المصريين على كرامتهم وسعيهم إلى تحرير بلادهم من الاستعمار فى جميع صوره وأشكاله.

وقد ذاقت مصر من قبل قسوة الاستعمار الفرنسى حين جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة نابليون الذى دخل الأزهر بخيوله ، وانتهك حرمته ، وكان هذا الفعل الشنيع من جانب نابليون بداية لفشل الحملة الفرنسية ، فقد أعلن المصريون سخطهم على صنيع نابليون فى مظاهرة عنيفة ، فكيف يفضل المصريون الاستعمار الفرنسى على الاستعمار الإنجليزى وهم يعلمون أن الاستعمار بجميع صوره وأوصافه عدو الشعوب والسد الذى يعترض سبيل حريتها واستقلالها وتقدمها

إن إبراهيم اللقانى قد كشف بهذا الخطاب حقيقته وأثبت بنفسه أنه ليس وطنيا مخلصا يحب وطنه ويسعى من أجل تحريره ورفعته ، فلن يقول عميل للاستعمار الفرنسى كلاما للدعابة لهذا الاستعمار خيرا من هذا الكلام.

والأكثر عجبا أن إبراهيم اللقانى قال ماقال عن الاستعمار الفرنسى فى رسالته التى كتبها لأستاذه جمال الدين الأفغانى ، وهو يعلم أن أستاذه كان يهادن الإنجليز ، كما أن اللقانى كتب الرسالة فى حضور أبى تراب خادم أستاذه جمال الدين ، فهل يعنى هذا أن اللقانى كان يعلم أن أستاذه جمال الدين لامانع عنده من أن يهاجم أحد تلاميذه إنجلترا كوسيلة للضغط عليها من طريق غير مباشر ؟!..

ويبدو واضحا الآن . أن جمال الدين وزمرته ساخطون على الخديوى الذى أمر بإخراج جمال الدين من مصر لأن جمال الدين وأعوانه من الماسونية وكان ينبغى على إبراهيم اللقانى وأمثاله أن يدرك أن المصريين مسلمون متمسكون بمبادىء دينهم ، فلا يمكن أن يعترضوا على إخراج زعيم الماسونية ــ جمال الدين ــ من بلادهم ولو كان الذى أخرجه الخديوى الذى يكرهونه ، لأن الدفاع عن الدين يتقدم كل شىء .

وهكذا تتضح أهمية هذه الخطابات لأنها وثائق لايتطرق إليها شك تزودنا بكثير من المعلومات اللازمة لدراسة جمال الدين الأفغانى ومعرفة حقيقته معرفة يقينية خدمة للعلم ، لأن إدراك الحقيقة العلمية يعد غاية للدارسين .

وننتقل الآن إلى عرض خطاب آخر من خطابات إبراهيم اللقانى التى أرسلها إلى أستاذه جمال الدين الأفغانى رغبة فى إلقاء مزيد من الأضواء على شخصية جمال الدين لتظهر حقيقته واضحة جلية .

٣ ــ الخطاب الثالث :

وهو خطاب أرسله إبراهيم اللقانى إلى أستاذه جمال الدين الأفغانى الموجود ــ حينذاك فى باريس ــ والخطاب مكتوب باللغة العربية ، ومرسل من بيروت فى ١٣ مارس سنة ١٨٨٣ ونصه فيما يلى :

[من بيروت فى ١٣ مارس سنة ١٨٨٣

لو أذن لى سيدى وأستاذى، ورب روحى ومعدل مزاجى ، ومقوم خلائقى ، ومحور خلقتى ومحرر فطرتى أن أبث إليه شكايتى منه أو لو يسمح لى الأدب وكان مكانى فى مجلس مولاى رحبا ، فأشفى بعتبته ما صادق به صدرى ، ومن لى لو أذن السيد أو سمح الأدب بلسان لا يتلعثم ، وذهن لا يتزعزع ، وأنا بين هول

المشتكى منه ، وجبروت المشتكى إليه ، وشدة باعث العتاب ، وجلال المعاتب عليه . أما والله لقد كان لعبارة سيدنا فى كتابه الأخير إلى أبى تراب من التأثير ما كاد يخسف بى الأرض ، ويدكدك على السماء هولا واضطرابا ، ماكادت تسيل به نفسى ، ويجمد دمى فرقا وانزعاجا ، ماأوشك أن يطير بمشاعرى حيرة واندهاشا . كان لشكه فى وفائنا وخزا فى فؤادنا . لو علم شدة وقعه لرحمنا من أن يخزنا به وخزا وددت لو أنه أسال ماأسال من دمى على قدمى سيدى . لينظر ماذا يكتب فى إراقته من دلائل الوفاء وبراهين الولاء ، وخزا لا أسأل السيد دية عليه ، فوق أن يأمر أبا تراب بتشريح ذاك الفؤاد عندما يجهز الوخز عليه . ليطلع على ما ملأه من الولع والشغف بمحبة مربيه — حفظه الله — فيعلم وهو العليم الحكيم أنى ما كتبت ولا أكتب إلى جنابه الأقدس إلا إملاء فؤاد هذه صفته . وذلك شأنه ، ولا يأسف على ما عاناه فى تربيتنا وعلاج نفوسنا من المتاعب والأوصاب ، إذ ليس الذى أصابنى من شكه فى وفائى ، إلا كالذى أصابنى مما إحسست بأن قد نزل به من الأسف عند عروض هذا الشك له ، وهيّن لدى أن أذهب قتيل هذا الشك ، دون أن يورث مولاى أدنى أسف أو كدر . وليت شعرى علام هذا كله ، وقد قلبت ظاهرى وباطنى ، وخبرت سرى وعلانيتى ، وفتشت جسمى وروحى ، وبحثت فى غرائزى وملكاتى ، وجربت غيبتى وشهودى . فلم أجد إلا ولاء ووفاء وشغفا ووجدا ، وطاعة وامتثالا واتباعا وانقيادا وميلا وانجذابا ، وخضوعا وخشوعا ، وسجودا وركوعا ، كل ذلك للسيد وفى السيد وبالسيد وإلى السيد ومن السيد وعلى السيد ، فلم ولماذا هذا الريب بنا ؟ وعلام اعتمد فى شكه فينا ؟!.. أعلى أننا مصريون ؟!.. (وأسفاه على المصريين بين الأمم) نعم نحن مصريون (وإن لم يكن الولد ابن أبيه ظنا) ولكن ألم نصاحب سيدا ؟ ألم يربنا والدنا ؟!.. ألم يعدنا خلقا جديدا ؟!.. بلى والله .. لقد كشف عن بصائرنا ، وجلا صدأ نفوسنا . وغسل درن أرواحنا ، وطهر دنس طبائعنا ، وأذهب رجس أخلاقنا . ومهد لنا سبل الفضائل . وسدّ دوننا أبواب الرذائل ، وأودعنا روحا هى بضعة من أشعة نوره ، ولا انفكاك للشعاع عن مصدره — شرق أو غرب فأى طبع للمصريين أو للعفاريت أو المردة أو للشياطين لايتحول بتلك الريبة ، أم أى جبله للبهائم أو الأنعام أو للوحوش لا تتغير بذلك العلاج ، أم أى نفس بشرية أو كلبية أو خنزيرية أو قردية تعاود مرارة الحنا بعد أن ذاقت حلاوة التهذيب ،

ولا أرى السيد ـــ تقدس سره ـــ يتمثل هنا احتجاجا علينا بقول القائل :

نفسٌ عن الحب ما حَادَتْ وما عَفَلَتْ بأيِّ ذَنْبٍ وقَاكَ اللهُ قَدْ قُتِلَتْ

فنحن جماليون فى أى زمان وأى مكان ، وعلى أى حال وأى شكل ، وأى وضع وأى هيئة ، وبأى اعتبار وأى حسبان وأى نظر ، وبالجملة فنحن نحن والسلام .

هذا محصل ما كنت أريد أن أجعله موضوع شكايتى ، وهو باعث عتابى ولم أشْكُ ولم أعاتب رهبة وتأدبا ، وحسبى بعدل السيد منصفا لى منه . أستغفر الله بل لأسأله فوق أن يكشف لى عن وجه الشك لأتوب مما رابه منى ، وماهو فيما أظن إلى ما وقع إلى مسامعه الشريفة عن الشيخ محمد عبده ، فأعتقده صدقا ثم جعل سائر المصريين فى ذلك حكما واحدا ، وسرعان ما يصدق وسرعان مايحكم ، فإن صدق ظنى فها أنا عن ذكر السيد اكشف عن كذب تلك السعاية ـــ كما وعدت ـــ فى الحاشية التى وقعّتها على رسالة لأبى تراب حملها البريد إلى السيد منذ خمسة أيام .

وذلك أن الدهر لما تنقل بنا إلى الرفعة والشأن ، على ما بسطته لمولاى قبل هذا ، كان الشيخ محمد عبده قد صادف لدى رياض باشا قبولا وإعزازا خصوصا بعد أن علم أنه ثمرة من ثمار غرس سيدنا ومربينا ، فصار له وثوق به واعتماد عليه ، بل جعل له حظ من أمره ونهيه ، وحله وعقده ، فجد فى القيام بفرائض هذه المنزلة جدا أشغله عن الناس ، واضطره إلى الإقلال من زيارتهم ، فإن أوقات فراغه كان يقضيها مع الباشا فى مصلحة ومنفعة ، فرمى لذلك بالكبر والتيه ، ثم إذ صدق فى خدمته جعله يميل مع الحق كيفما مال ، ولا يفتدى أغراض الناس بحقوق المصلحة فكان إذا مس أحد من ذلك سوء أو مكروه نسبوه إلى تصدى الشيخ محمد عبده وتعمده أذاهم ، وهو برىء مما نسبوه إليه ولأضرب لذلك مثالا وهو أن سليم النقاش أخذ عند إغارة فرنسا على تونس يروج سياستها ترويجا لاتنحو نحوه جريدة فرنساوية قحة ، حتى أحفظ قلوب جميع المسلمين عليه وحتى رد الكثير منهم اشتراكه وهو لايبالى ، بل لم يزده ذلك إلا خبثا وعنادا ، ومع ذلك فالشيخ محمد لم يعامله بمقتضى قانون المطبوعات من أول وهلة ، بل أخذ يكاتبه من عند نفسه مكاتبة ودادية ، يبذل له النصح فيها ، بتلطيف هذا المشرب ،

حشية أن يضطر إلى إجراء حكم القانون عليه ، ويذكره بما هو من خلقنا وما تألفنا عليه من وحدة المشرب ، والذود عن الشرق وبنيه ، فلم يَرْعَوِ ولم يرتدع ، حتى وقف رياض باشا ذات يوم على جريدته ، وهاله ما رأى فيها ، فاستدعى الشيخ محمد عبده ووبخه على إغماضه عليها ، وكلفه بإنذارها على الفور ففعل فظن سليم نقاش بعد تلك النصائح أن هذا الإنذار بتعمد الشيخ محمد وامتلأ منه غيظا ، وشاركه سعيد البستانى فى تغيظه ، غباوة وجهلا ، فأخذ هذان الشخصان يقعان فى حق هذا المسكين ، ويفتريان عليه القبائح والمساوىء كذبا واختلاقا ، وقد كانت غاية سليم النقاش فى مسلكه فى جريدته على ذلك النحو أن يحصل على حماية فرنساوية ، كما صرح لنا بذلك ، وجعله موضوع تنصله لدى الشيخ محمد أثر الإنذار .

وأضف ياسيدى إلى ما ظنه الناس فى الشيخ محمد من التيه ، ومانسبوه إليه من تعمده أذاهم مالحقهم من الحقد والحسد بسبب تقدمه تقدما جعل الصغير والكبير والعظيم والحقير يهابه ويخشاه ، ويتزلف إليه ويتملق له ، وليس الحسد ممن تقدم وتنقل إلى المنازل العالية تدريجا كالحسد ممن طفر إليها دفعة واحدة ، بل هذا أفعل للغيظ ، وأدعى فى إشعال الأفئدة ، فجميع هذه الأسباب لم تدع للشيخ محمد صديقا أو حبيبا ، إلا بعض من كانت تجمعهم حضرة السيد من المسلمين ، على أن تلك الأسباب لم تسؤه أكثر مما ساءته أفعال أصدقائه من المسيحيين الذين ما كانوا يجدون أذنا صاغية إلا حشوها بغيبته ، ولا مجلسا يفسح لهم فى الحديث إلا ملأوه بالطعن فيه ، ولا إنسانا يعلمون عنه الميل إليه إلا سعوه فيه لديه ، ولقد كانت اليد البيضاء فى جميع هذه الخبائث لأديب أفندى وسعيد البستانى ، حتى إن هذا الأخير أظهر من اللؤم والخبث عند سجن الشيخ محمد عبده مادل على حرمانه من معانى الإنسانية بل ما أشعر بانحطاطه عن درجة البهيمية ، فإنه عوضا عن أن يتمنى النجاة للشيخ محمد ، إذا لم نقل كان يجب السعى فيها ، بل عوضا عن أن تأخذه الرأفة والرحمة عليه ، مما يجعل الأعداء ترثى له فضلا عن الأحباب ، فإنه أبان من القسوة والوحشية والرداءة ما لامزيد عليه ، إذ قدم إلى مجلس التحقيق تقاريراً فى حق الشيخ محمد افترى عليه فيها جملة أمور منها أنه كان يغرى الجند بقتل الخديوى ، فانظر ياسيدى وتعجب ، ومايدرينا لو أن أديبا وسليما كانا

يومئذ بمصر ماذا يكون صنعهما أيضا.

ومن سوء الحظ أن أبا تراب عندما نزل بمصر كنا لم نزل مسجونين ولم يجتمع إلا بسعيد وأحزابه ، فملأوا قلبه نفرة ووحشة من الشيخ محمد ، علما منهم بأنه ينقل ما يسمع إلى السيد ، فينحرف خاطره عن تلميذه ، وذلك غاية فى إيذائه ولكن فاتهم أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله ، وأن الحق مهما استتر لابد أن يشق نوره يوما ما حجب الخفاء فينجلى ويتبين ، فتبيض وجوه وتسود وجوه.

أنا قد بسطت لمولاى حقيقة الواقع تخلصا من إثم الإنكار عليه ، ووفاء بحقوق الأخوة التى بينى وبين الشيخ محمد ، وهو والله لم يعلم إلى الآن من جميع ذلك شيئا إلا ما وقف عليه فى عبارة السيد من الشك فى وفاء المصريين ، ولا نلبث إن شاء الله أن يأتينا من قبل سيدنا ما يبشرنا بصفاء خاطره ، ولا يضن علينا بما جاد به على غيرنا ، ونحن أولى بموسى منهم بل أنا لا أرضى من سيدى إلا بأن يستسمحنى ويصالحنى ويسترضينا ويستعطفنى ، وإلا فلا أزال غضبان زعلان أسفا ، فماذا يقول السيد ؟ وهل هو فاعل ذلك أولا ؟!..

طول الحديث فى هذا المقام لم يدع لى مكانا أبين فيه لأستاذنا حال بيروت وأخلاق أهلها وما لاقيناه من إكرام المسلمين ، فلأؤجله إلى وقت آخر ، خاتما حديثى مع السيد بلثم راحتيه وقدميه

غرس فضلكم
إبراهيم

وأنا شاهد على ذلك .
أبو تراب عارف

أنا والشيخ محمد عبده وأبو تراب نهدى حضرة صديقنا القديم محمد بك وهبى أجمل تحية وأكمل تسليم ، ومثل ذلك إلى أبى نظارة

نقد وتعليق :

هذا الخطاب كسابقه يدل على أن إبراهيم اللقانى وغيره من تلاميذ جمال الدين الأفغانى كمحمد عبده ، كانوا يعاملون جمال الدين كما يعامل العبيد سيدهم ، فهم يخشون غضبه ، ويتمنون رضاه ، حتى لو أهانهم ، وحقر من شأنهم وشأن

وطنهم ، فقد صرح جمال الدين فى رسالة له إلى خادمه أبى تراب أنه لايثق فى المصريين ، ورغم ما فى هذه الجملة من إهانة للمصريين فقد فزع إبراهيم اللقانى من هذا الاتهام ، وأخذ يخاطب أستاذه جمال الدين كما يخاطب العبد ربه ولا يستحى أن يصفه بأنه عليم حكيم ، ويذكر الركوع والسجود فى مقام طلب العفو والغفران من سيده جمال الدين .

كما ورد فى الخطاب ما يسىء إلى الشيخ محمد عبده وموقفه المتخاذل أمام سليم النقاش الصحفي ، الذى أخذ يمجد فرنسا لاحتلالها تونس فكانت جريدته أكثر ممالأة لفرنسا من الجرائد الفرنسية نفسها ، حتى إن رياض باشا كان أكثر غيرة على العروبة والشرق من الشيخ محمد عبده ، فلما علم بعمالة سليم النقاش لفرنسا طلب من الشيخ محمد عبده أن يوجه إليه إنذارا .

والواقع أن هذا الخطاب ــ مثله مثل سائر الخطابات الموجهة إلى جمال الدين من تلاميذه وأصدقائه من المصريين ــ دليل على مدى قوة شخصية جمال الدين وشدة تأثيره على المتصلين به من المصريين ، وهو تأثير قوى يكفى لتوجيه هؤلاء التلاميذ والأصدقاء الوجهة التى يريدها جمال الدين ، وإقناعهم بالرأى الذى يعلنه وينادى به .

وواضح أن الخديوى توفيق كان مكروها من تلاميذ جمال الدين وأصدقائه ، لأنه أمر بإخراج جمال الدين من مصر ، فسخط عليه جمال الدين مما جعل تلاميذه وأصدقاءه يسخطون عليه ويكرهونه ، ويذكرونه بالسوء .

والعجيب أن إبراهيم اللقانى يعيب على سليم النقاش عمالته لفرنسا ودفاعه عن احتلالها تونس ، بينما هو فى الخطاب السابق يطالب فرنسا بالتدخل فى مصر للدفاع عن حقوقها ومصالحها فيها ، ومن لاغيرة له على وطنه كيف يغار على بلاد غير بلاده ؟!..

ولا شك فى أن هذا الخطاب ــ كغيره من الخطابات ــ يغير نظرة الدارسين إلى كثير من الأمور التى تتعلق بجمال الدين وتلاميذه وأصدقائه ، وتلقى أضواءً كاشفة على حقيقة هذه الشخصيات التى اشتهر أصحابها وكان لهم شأن وذكر فى تاريخ مصر الحديث وفى الحركات التحررية التى ظهرت فيها ، وكانت أولاها

الحركة التى قادها عرابى ، ولكنها باءت بالفشل الذريع وأدت إلى تقدم الإنجليز لاحتلال مصر وعملهم الدائب لإخماد كل صوت يطالب بالحرية والاستقلال فى ربوعها .

ونعرض فيما يلى خطابا مرسلا إلى جمال الدين الأفغانى من أديب إسحق حتى تزداد حقيقة جمال الدين وضوحا ، وتزول كل شبهة حول حقيقته .. والله الموفق .

رابعا : خطاب من أديب إسحق :

وهذا خطاب أرسله أديب اسحق إلى جمال الدين فى باريس ، وقد أرسله من بيروت فى ١٥ مارس ١٨٨٣ .. وهو مكتوب بالعربية ونصه كالتالى :

[بيروت فى ١٥ آذار سنة ٨٣

سيدى الأستاذ الأعظم ،

لئن كان لأدوار الزمان قضاء نافذ فى الناس ، فلقد صان الكمال أنفس آحاد الرجال عنه ، فما تنفعل بالحادثات ، ولا تؤثر فيها التقلبات ، بل هى فى مقام التجرد الذى تستوى فيه مظاهر عبث الأيام بأبناء الزمان ، والسيد لازال حجة هذا القول ، ماترك فضيلة ولاقعد عن مكرمة ، ولا ضن بمنفعة ، ولكن قضاء الزمان الذى لم يؤثر فيه ، قد كان نافذا فى مريديه ، فما أطاقوا الخير معروضا من جانبه ، ولا ذادوا الشر طارئا من جانب الأحداث ، وهكذا وقع من بعضهم الإهمال فى مكاتبة من راسلهم عن السيد من أمراء الهند ، فانقطعت أخباره عن سائرهم إلى هذه الأيام ، فعسى أن يعوضهم المستقبل مما أضاعوه خيرا ، فيجد الأستاذ تحت سماء الحرية مستقرا طيبا أمينا ، فلا تحتجب بعد ذلك أنوار أفكاره عن البصائر ، وإن احتجب ضياء وجهه عن الأبصار .

وقد حمل البصير إلينا مفتتح مقالة السيد فى الشرق والشرقيين ، فكانت مقدمتها غذاء للألباب ، وما بها مهمازا للعزائم ، ولا تزال الأنفس مشتاقة إلى البقية اشتياق الظماء إلى بارد الماء ، فالمأمول من كرم السيد أن يرسل إلى ما طبع منها ومن سواها فى البصير وغيرها من جرائد لندره وباريس جملة ، فتلك أمنية للعاجز فيها شركاء كثيرون ممن عرفوا السيد بالخبر أو بالأثر .

ولست أذكر للأستاذ شيئا مما لدىّ من أخبار مصر العمومية فإنها تصل باريس قبل ورودها إلينا ، بل قبل شيوعها فى مصر ، ولكنى أحسبه مشتاقا إلى الأخبار الخصوصية ، عن بعض الأصدقاء فهذه أعرف منها أن عبد السلام بك على أحسن حال من السلامة والعافية ، على أنه منقطع فى منزله اجتنابا للشبهات إلا عن بعض الأخصاء ، وأن سليم أفندى النقاش سار إلى مصر بإذن حكومتها على أن يصرف أموره وأشغاله ثم يعود ، فهو الآن هناك يستمنح رجال تلك الحكومة عوضا ماليا مما لحق به من الخسارة ، بسبب تعطيل مطبعته وجريدته بلا موجب معلوم ، وأن سعيداً البستانى عزل إثر الفتنة ثم أعيد إلى الخدمة بمثل الراتب الذى كان له من قبل ، وهو الآن على حد قول القائل :

وخمول ذكرك فى الحياة سلامة

أما أبو تراب فقد أبلغت إليه وعد السيد باستقدامه إلى باريس عن قريب ، فكاد يطير بذلك سرورا ، وهو مقيم هاهنا على الدعة والراحة ، يترصد معنا الأخبار وبعد الأيام ، ويستبطىء البريد ، فعسى أن تجيئنا كتب السيد بما نتوقع ، ولابأس فى تعليلنا بالأمانى فما الحياة إلا الأمل ، وله فى تحقيقه رأيه العالى المؤيد وأمره الكريم المطاع .. ومنى على حضرته السلام بالإجلال والإعظام .

الخادم المطيع
أديب إسحق

نقد وتعليق :

هذا الخطاب يبين ــ كالخطابات السابقة ــ أن جمال الدين شخصية جليلة القدر يخطب الجميع ودها ، فأسلوب الخطاب يفيض بالتعظيم لجمال الدين ، وذكره بأوصاف تظهر علو شأنه ، وشدة تأثيره فى جميع المتصلين به ، حتى خادمه أبو تراب اكتسب مهابة لصلته بسيده جمال الدين ، فذكر فى هذا الخطاب وفى الخطابات السابقة بما يدل على أنه ند لإبراهيم اللقانى ومحمد عبده وأديب إسحق وغيرهم من تلاميذ جمال الدين وأصحابه ، ويبدو أنه كان عين جمال الدين فى مصر على هؤلاء التلاميذ والمريدين ، مما جعله شخصه مهابا يحاول الجميع كسب وده ، حتى لايكتب عنهم شيئا يغير رأى جمال الدين فيهم .

ومهما يكن من الشيء فإن هذه الخطابات من الوثائق الجديرة بالدراسة المتفحصة لأن ما فيها من معلومات تلقى ضوءا كاشفا على شخصية جمال الدين والذين اتصلوا به من التلاميذ والأصدقاء والمريدين مما يساعد على فهم حقيقة جمال الدين فهما صحيحا.

ونعرض الآن خطابا آخر لإسماعيل جودت ، حتى تزداد الرؤية وضوحا بعون من الله الهادى إلى سواء السبيل .

خامسا : خطاب من إسماعيل جودت :

هذا خطاب مرسل من إسماعيل جودت إلى جمال الدين الأفغانى فى باريس ، وهو مكتوب باللغة العربية فى الأستانة فى يوم الاثنين ٢٧ أبريل سنة ١٨٨٥ ونصه كالتالى :

[الأستانه العلية يوم الاثنين ٢٧ أبريل سنة ٨٥

سيدى ومولاى صاحب الهمة العلية .. سليل الحضرة النبوية حضرة السيد جمال الدين أبقاه الله للإسلام

بعد تقبيل أياديكم الشريفة أحيط علمكم الشريف ومقامكم العالى المنيف أنه قد ورد لنا رقيمكم المؤرخ ١٦ الجارى ، وبعد حمد الله على صحتكم توجهنا إلى سراى يلدز يوم السبت الأخير ، وعرضنا الجواب على الحضرة الشاهانية بواسطة سعادتلو الحاج محمود أفندى أمين أسرارها الخصوصية وبعد ساعة رجع إلينا وتداول معنا فى موضوع أفكاركم العالية وما يترتب من المصلحة على اتباعها ، وبعد ساعتين فى محاورة ومداولة كانت نتيجة القول أن أكون أنا الواسطة بينكم فى المكاتبة مع بقائكم فى باريس الآن لحين سنوح الفرصة لحين حضوركم ، لأن مجيئكم الآن يترتب عليه حصول الشبهة السياسية ، وأمرت أن أستفهم من سيادتكم عن بعض جمل من جوابكم منها قولكم :

(إن الرجل فى لندره يضيع كل يوم فرصة لاينالها الطالب ولو بعد قرن وهو يظن أنه يحسن صنعا)

ومن حيث إن جميع ما يجريه بمقتضى تعليمات صادرة إليه من هذا الطرف

فنرجوكم أن توضحوا ما تعلمونه فى ذلك تفصيلا ، فإنه إما أن تكون أعماله مخالفة للتعليمات التى ترد إليه أو أن ذات التعليمات مضيعة للفرصة بنفسها ، لتدارك الأمر ، ومنها قولكم :

(إن وقت العلاقة مع إمارة الأفغان قد حان)

فنحن وإن كنا أثبتنا لهم إمكانكم الحصول على هذه الغاية ، التى لا يمكن لغيركم التوفيق فيها لمناسبات شتى ، منها نسبكم الشريف ، وجنسيتكم وقوة جاه أقاربكم ، وشهرة أعمالكم فى العالم الإسلامى ، وحصولكم على مبادىء الغايات المطلوبة ، إلا أنه يرجى من سيادتكم توضيح الطرق اللازمة للحصول على هذا الأمر ، فإن كلا الخصمين يريد التقرب إلينا ، وسياسة الأفغان يظهر منها التردد بين الطرفين ، فالإقدام على طلب مخالفتها مع الجهل بحقيقة سياستها وميلها إلى أحد الطرفين ليس من باب الحكمة . بناء على هذا نرجو أن ترسلوا لنا أفكاركم فى هذا الخصوص تفصيلا ، وفيما ينبغى إجراؤه فى هذه المسائل وما تعلمونه من حقيقة سياسة الأفغان مع مراعاة أول كل شىء لزوم حيادة الدول حيادة تامة ، وكيفية الطرق المقتضى إجراؤها فى منفعة حال الدولة والإسلام فى الأحوال الحاضرة ، فقد تثبت لهم قوة عزيمتكم فى خدمة الإسلام ، وصداقتكم فى نصيحة الدولة أما مسألة أخينا إبراهيم بك ، فقد قالوا عنها إنه صار العفو عنه لما ظهر لهم من صداقته الباطنية للدولة ، ولا يهمهم الشغل الذى هو فيه ، لأنه يختص بهم ، وهم أدرى به ، فله أن يحضر ، وعند حضوره يستخدمونه فيما يليق له ، إما بأن يطلعهم على بعض ما فيه منفعة واحتراس من دسائس الغير أو ينتفعون بقوة فكره ، وبلاغة إنشائه ، وإن لم يوجد عنده شىء من ذلك ، ولم يكن له احتياج ، فيعيش فى عموم الممالك الإسلامية خير له من الإقامة فى البلاد الإفرنجية ، وعلى كل حال أولى لمن كان مثله فى براعة الإنشاء أن يكون فى معية مولانا أمير المؤمنين ، وقد كتب له ولده حضرة محمد بك بذلك تفصيلا والسلام .

محسوبكم

إسماعيل جودت

يقبل يديك

محمد

نقد وتعليق :

هذا الخطاب يدل على أن جمال الدين الأفغانى كان يحاول وهو يقيم فى باريس أن يقوم بأعمال تهم الدولة العثمانية ، فحاول عن طريق إسماعيل جودت أحد المتصلين بالسلطان العثمانى خليفة المسلمين وأمير المؤمنين أن ينجز أعمالا فى لندن ، بحكم صلاته الطيبة بالإنجليز وزعماء حزب المحافظين البريطانى التى تحدثنا عنها فيما سبق .

كما حاول أن يقوم بأعمال فى بلاد الأفغان لصالح الدولة العثمانية ، مستعينا فى ذلك بالإنجليز الذين كان لهم نفوذ قوى فى أفغانستان فى ذلك الوقت .

وواضح من الخطاب أن إسماعيل جودت كان يظن أن جمال الدين أفغانى الأصل وأن أسرته معروفة ذات نفوذ في بلاد الأفغان ، وقد بينا فى الجزء الأول من هذا الكتاب ــ أن جمال الدين لم يذكر اسم واحد من أفراد أسرته فى أفغانستان وأن السلطان العثمانى تأكد فى النهاية من أن جمال الدين إيرانى الأصل شيعى المذهب ، وكان كشف حقيقته للسلطان العثمانى سببا فى وضع نهاية لحياة جمال الدين ــ كما وضحنا فى الجزء الأول ــ فلا عبرة بما ورد فى خطاب إسماعيل جودت عن أصل جمال الدين .

كما ظهر من الخطاب أن جمال الدين له من التقدير فى الدولة العثمانية ما يستطيع أن يتوسط لرجل مثل إبراهيم بك ، الذى ورد ذكره فى الخطاب ، حيث تُقبل وساطته ويسمح للرجل بالإقامة فى ممتلكات الدولة العثمانية على اتساعها .

سادسا : الجانب العاطفى فى حياة جمال الدين :

وتتضمن الوثائق التى ننشرها فى هذا الجزء ثلاثة خطابات مرسلة من آنا بلانت ، وهى إنجليزية ، ذكرت الوثائق أنها كانت معشوقة جمال الدين .

وقد ذكرنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب أن جمال الدين لم يتزوج ، وعلل انصرافه عن الزواج ، بأن انشغاله بدعوته الإصلاحية ــ التى كانت تهدف إلى توحيد صفوف المسلمين فى أنحاء العالم الإسلامى المختلفة ــ لم يترك له وقتاً لإقامة أسرة وممارسة حياة زوجية ، وتحمل عبء أفراد أسرة خاصة به .

ولهذا فإن وجود هذه الرسائل العاطفية إلى جانب صورة المعشوقة من الأمور الطريفة ، لأنها تكشف جانبا عاطفيا من جوانب شخصية جمال الدين المتعددة .

ونحن نوضح هذا الجانب حتى لا يظل جانب من جوانب هذه الشخصية العالمية المشهورة خافيا مجهولا للدارسين .

ومن الطريف كذلك أن هذه الخطابات التى أرسلتها المعشوقة آنا بلانت مكتوبة باللغة العربية التى يبدو أن المعشوقة تعلمتها ، لأن أسلوب الخطابات ركيك مكتوب بلسان أعجمى غير متمكن فى اللغة العربية ونحن ننشر نصها فيما يلى ، مع نشر صور الخطابات بخط كاتبتها مزيدا للفائدة ، وحتى تكون الدراسة مدعمة بالوثائق .. والله الموفق .

١ ــ الخطاب الأول : ونصه كالتالى :

[إلى صديقنا العزيز حضرة السيد جمال الدين الحسينى حفظه الله بعد السلام .. أن أخبركم .. من طرف قريني أن حصل مفاوضة فى معنى ما تكلمنا عنه وبعض تحريرات .. والحكومة لا قبلت الأعراض تقدم لها ولا امتنعت قطعا .. أما فى المكاتبة الأخيرة التى وردت إلينا من طرف مستر غلاد سطون قيل هكذا ــ إنه من الممكن حصول اتفاق على إرسال مُرسَل الذى يُعطى له ورقة أمان حتى يذهب إلى الخرطوم ويخبر المهدى بالتعليمات التى أمر بها اللورد ولسلى ، وإنما كما يأتى (يجب على لورد ولسلى يبعث إلى الحكومة فى الحال أيا كان بلغة من المعروضات من طرف المهدى) ــ وأنا على هذا رَدَّيتْ جوابا ــ إننى سأخبر حضرتكم بقولهم ، وإنما حسب رأيى لابد أن يظهر لكم غير كافيا [1] منه ذلك ــ أظن أن الحكومة تريد مفاوضات فى الصلح ، وأنها تريد أيضا أن لايكشف مرادها للناس ــ ولو حصل اتفاق على إرسال مرسل يكون المرسل من أتعينه ، وأردت

---

(١) الصواب كافٍ والرسالة ــ كما قلت ــ ركيكة الأسلوب واضحة الدلالة على أن كاتبتها أعجمية وقد أثبتها كما هى مع ذكر الأخطاء النحوية فحسب .

أسأل أفكاركم على من أحسن هل إبراهيم أوعبده[1] أو غيرهم ودمتم فى حفظه تعالى

والسلام ختام

المحبة المخلصة

عانا بلونت

٢ ــ الخطاب الثانى : ونصه كالتالى :

Crabbet Park
Threebri dges
Sussex

إلى صديقنا العزيز السيد جمال الدين الحسينى حفظه الله بعد السلام .. وصل جواب من صديقكم ملكوم خان ويقول فيه إنه جدا فرحان على ملاقاتكم .. وأن تفضلوا وتوجهوا إلى بيته غدا يوم السبت ساعة ١١ .. وبيته 80 Holland park ونحن نسافر من هنا مع القطر فى الساعة ٨ غدا ووصولنا فى 10 James sc فى الساعة (نحو) ١٠

والسلام .

المحبة المخلصة

عانا بلونت

١٥ أوغست ١٨٨٥

٣ ــ الخطاب الثالث : ونصه كالتالى :

إلى حضرة صديقنا العزيز المحترم الفاضل الأمير جمال الدين الحسينى حفظه الله

بعد السلام هذه ترجمة جواب الوزراء .

(مضمون) أنهم لايقبلون امتياز[2] بين مسألة مصر ومسألة السودان ، فأن حسب ظنهم تدل وحدة المسألة على أن يتعاسر عليهم المكاتبة مع مستر بلونت .

ومع ذلك أشاروا على عدم ورود التماس إليهم أو طلبة ورقة أمان من طرف أحد من وكلاء المهدى للمرور إليه بين عساكر الإنجليزى بقصد تسليم إليه

(١) لعلها تقصد بإبراهيم إبراهيم اللقانى ، وبعبده الشيخ محمد عبده وهما من تلاميذ جمال الدين المقربين

(٢) خطأ والصواب امتيازا والمقصود تفضيل مسألة على الأخرى .

رسالة ـــ هذا وقيل أيضا أنهم (الوزراء) لا يقولون وعسى أنهم لا يعرفون أى جواب يردون لو بلغهم الطلبة المذكورة آنفا.

ويا صديقنا العزيز ماذا ينبغى أن يفُعَل فى الأمر ومنى ومن قرينى ألف ألف سلام.

المحبة المخلصة

عانا بلونت

٢٢ أبريل ١٨٨٥

نقد وتعليق :

هذه الخطابات الثلاثة تكشف بوضوح أن جمال الدين كان يقوم بدور سياسى فى أثناء وجوده فى لندن وأنه كان يستعين بسيدة إنجليزية هى آنا بلانت وكانت زوجة أحد المسئولين الإنجليز لإبلاغ ما يريده إلى الحكومة الإنجليزية وتلقى الرد ، وكانت هذه السيدة ترسل الرد فى صورة خطاب موجه منها إلى جمال الدين وتوقع فى نهايته بالمحبة المخلصة آنا بلانت.

ولعلها تقصد بالمحبة الصديقة لأنه واضح من خطاباتها أنها ليست متمكنه فى اللغة العربية فمن المستبعد أن تكون هناك علاقة بين جمال الدين وبين السيدة المذكورة ، اللهم إلا علاقة العمل التى تجعلهما يتعاونان فى حل بعض المشاكل السياسية التى تهم الحكومة الإنجليزية كمشكلة السودان ، والاستعانة بجمال الدين الأفغانى فى حل هذه المشكلة ، لأن جمال الدين كان يستطيع بصورته التى يظهر بها كداعية إسلامى وبصِلَتِه الطيبة بالإنجليز أن يقوم بدور الوساطة بمهارة.

وفى الخطاب الثانى إشارة إلى ملكوم خان وهو رجل أرمنى إيرانى الجنسية كان يتولى الوزارة فى إيران فى ذلك الوقت ، وكان على علاقة طيبة بالإنجليز ولهذا أظهر سروره بلقائه بجمال الدين ، لأن له نفس الاتجاه فى علاقته مع الإنجليز.

ونحن نرجح أن جمال الدين لم تكن له علاقة عاطفية مع السيدة آنا بلانت وأن علاقته بها كانت علاقة عمل ، غير أن خطاباتها أكدت صلة جمال الدين بالإنجليز حتى لو فُسِّر هذه الصلة بأنها من أجل مصلحة المسلمين فى مصر أو السودان أو الدول الإسلامية المختلفة.

وهناك خطاب بعد الخطابات المذكورة ، ذكر من نشر هذه الوثائق ـــ وهو أستاذ إيرانى متعاطف مع جمال الدين ـــ أنه مرسل إليه من معشوقته الفرنسية ولكنه لم يذكر اسم المعشوقة الفرنسية ، وإن كان قد نشر صورتين لها .

والخطاب باللغة الفرنسية وهو غير واضح ، ونحن ننشر صورة له مع صورتين لكاتبته .

ومهما يكن ما تضمنه هذا الخطاب فإنه دليل على أن جمال الدين كانت له علاقات عاطفية فى أثناء إقامته فى أوربا ، ولعلها كانت نوعا من التعويض له عن عدم زواجه ، وعن حياة الوحدة التى كان يحياها مشغولا بالفكر السياسى .

ومهما يكن من أمر هذه العلاقات العاطفية فإنها ـــ على كل حال ـــ لاتليق برجل مثل جمال الدين كان يرتدى ثوب العالم الدينى والداعية الإسلامى العامل على توحيد جهاد شعوب الدول الإسلامية والأخذ بأيدى المسلمين ، وإرشادهم إلى طريق التحرر والوحدة والرقى والازدهار .

ولهذا فإننا نأخذ عليه هذه العلاقات أيا كان نوعها ، ومهما تكن حقيقتها

سابعاً : خطاب من طائفة البابية :

وتضم الوثائق خطابا من عباس البابى داعية طائفة البابية الذى كان مقيما فى عكا بفلسطين فى ذلك الوقت والخطاب مكتوب باللغة العربية ونصه كالتالى :

[إلى حضرة الفاضل المحترم الجهبز الفهام الشهير جمال الملة والدين أيد الله برنامجه

لقد تلوت مقالتكم الروية الغراء فى جريدة مصر النوراء على بعض الجرائد الإنكليزية ، فوجدت أجوبتكم مطابقة للحق الواقع ، وبيانكم مؤيد [1] بالبرهان الساطع ، ثم وقعت فى يدى رسالة من تأليف مدحت باشا ، مضامينها مؤيدة

(١) الصواب مؤيدا .

ومصدقة لتلك المقالة الصحيحة العظمى.

لذا أحببت تقديمها لجنابكم

والله مؤيد كل حق بالحجج والبرهان

الداعى البابى

المسجون فى عكا

عباس

نقد وتعليق :

هذا الخطاب ـــ على إيجازه ـــ كاف للدلالة على أن جمال الدين كان شخصية معروفة مشهورة حتى إن الداعى البابى المقيم فى عكا راسله ، مع ماهو معروف عن البابية ـــ فى ذلك الوقت ـــ من علاقات سيئة مع العالم الإسلامى ، لأن زعيمهم محمد على الشيرازى الملقب بالباب كان قد أعدم رميا بالرصاص فى إيران بعد انكشاف أمره وافتضاح حقيقته ، وثبوت كذبه عند الشيعة فى إيران ، مما أدى إلى القبض عليه وسجنه ثم محاكمته والحكم عليه بالإعدام رميا بالرصاص ، وتنفيذ الحكم فيه.

وبعد موته تفرق أتباعه ، وتفرعت البهائية من البابية ، واتخذت مدينة عكا مقرا لها وفى هذه المدينة قبر بهاء الله الذى تنسب إليه البهائية [1].

فتفكير الداعى البابى فى عكا فى مراسلة جمال الدين وتزويده برسالة لمدحت باشا تتفق مع أفكاره من الأمور التى تثبت أن نشاط جمال الدين كان واضحا ، يتابعه الناس فى أنحاء العالم المختلفة من المسلمين والمنتسبين إلى الإسلام وغير المسلمين فى مختلف أنحاء الأرض .

وكل هذه أدلة على أن شهرة جمال الدين المعروف بالأفغانى كانت قد طبقت الآفاق فى ذلك الوقت.

---

(١) يمكن الرجوع إلى كتاب إيران ماضيها وحاضرها لعبد النعيم حسنين للحصول على تفصيلات كافية عن هذا الموضوع .

ثامناً : خطابات الشيخ محمد عبده :

وتضم الوثائق التى ننشرها فى هذا الجزء الثانى من كتاب « حقيقة جمال الدين الأفغانى » خطابين مرسلين من الشيخ محمد عبده إلى جمال الدين الأفغانى الذى كان أستاذه.

وكان الشيخ محمد عبده من المريدين المحبين المخلصين لجمال الدين.

وسنعرض هذين الخطابين مع صورتيهما ثم نعلق على ما جاء فيهما ، حتى تظهر الحقيقة واضحة لا لبس فيها ولا غموض بتوفيق من الله الحكيم الخبير.

١ ــ الخطاب الأول : ونصه كالتالى :

(مولاى المعظم حفظه الله وأيد مقاصده ليتنى كنت أعلم ما أكتب إليك ، وأنت تعلم ما فى نفسى كما تعلم ما نفسك ، صنعتنا بيديك ، وأفضت على فؤادنا صورها الكمالية ، وأنشأتها فى أحسن تقويم ، فبك عرفنا أنفسنا ، وبك عرفناك وبك عرفنا العالم أجمعين ، فعلمك بنا ــ كما لايخفاك ــ أعلم من طريق الموجب ، وهو علمك بذاتك وثقتك بقدرتك وإرادتك فعنك صدرنا وإليك إليك المآب.

أُوتيتُ من لدُنك حكمة أقلب بها القلوب وأعقل العقول ، وأتصرف بها فى خواطر النفوس ، ومنحت منك عزمة أتتبع بها الثوابت ، وأذل بها شوامخ الصعاب ، وأصدع بها صم المشاكل ، وأثبت بها فى الحق للحق ، حتى يرضى الحق ، وكنت أظن قدرتى بقدرتك غير محدودة ، ومكنتى لا مبتوتة ولا مقدودة ، فإذا أنا من الأيام كل يوم فى شأن جديد .. تناولت القلم لأقدم لك من روحى ما أنت به أعلم ، فلم أجد فى نفسى سوى الأفكل والقلب الأشل ، واليد المرتعشة ، والفرائص المرتعدة ، والفكر الذاهب ، والعقل الغائب ، كأنك يامولاى منحتنى نوع القدرة ، وللدلالة على قوة سلطانك حصرته فى الأفراد ، فاستثنيت منه ما يتعلق بالخطاب معك ، والتقدم إلى مقامك الجليل هذا ، مع أننى منك فى ثلاث أرواح ، لو حلت إحداها فى العالم بأسره وكان جمادا لحال إنسانا كاملا ، فصورتك الظاهرة تجلت فى قوتى الخيالية ، وامتد سلطانها على حسنى المشترك ، وهى رسم الشهامة ، وشبح الحكمة ، وهيكل الكمال ، فإليها ردت جميع محسوساتى ، وفيها فنيت مجامع مشهوداتى ، وروح حكمتك التى أحييت بها

مواتنا ، وأنرت بها عقولنا ولطفت بها نفوسنا بل التى بطنت بها فينا فظهرت فى أشخاصنا ، فكنا أعدادك وأنت الواحد ، وغيبك وأنت الشاهد ، ورسمك الفوتوغرافى الذى أقمتُه فى قبلة صلاتى رقيبا على ما أقدم من أعمالى ، ومسيطر على فى أحوالى ، وما تحركت حركة ولا تكلمت كلمة ، ولا مضيت إلى غاية ولا انثنيت عن نهاية حتى تطابق فى عملى أحكام أرواحك ، وهى ثلاثة ، فمضيت على حكمها سعيا فى الخير ، وإعلاء لكلمة الحق ، وتأييدا لشوكة الحكمة وسلطان الفضيلة ولست فى ذلك إلا آلة لتنفيذ الرأى المثلث ، ومالى من ذاتى إرادة حتى ينقلب مربعا .

غير أن قواى الغالية تخلت عنى فى مكاتبتى إليك وخلت بينى وبين نفسى التزاما لحكم أن المعلول لا يعول على علته بالتأثير ، على أن ما يكون إلى المولى من رقائم عبده ليس إلا نوعا من التفرع والابتهال ، لا أحسب فيه ما يكشف خفاء ، أو يزيد جاها به ، ومع ذلك فإنى لا أتوسل إليك فى العفو عما تجد من قلق العبارة ، وماترى مما يخالف منى البلاغة ، بشفيع أقوى من رحمتك بالضعفاء ، وحنوك بفلوك فى حياء ، إنى لا أحدثك يامولاى عن شىء مما أصابنا بعد فراقك ، فقد تكفل به أخى فى حبكم إبراهيم أفندى اللقانى سوى ما تركه فى كتابه من انقلاب بعض القلوب من خاصتك ، وتحول أحوالهم بعد نزول ما نزل بك ، فقد تغلب أعوان الشر وأنصار السوء عقب جلائك بقوة جاههم وشدة بأسهم ، فأرغموا العقول على الاعتقاد بالمحال ، وألجأوها للتصديق بما لايقال ، حتى إنهم غيروا قلب دوغتو[1] رياض باشا عليك وعلى تلامذتك الصادقين أياما معدودة ، وركن فيها إلى العمل بالشدة ، والأخذ ببادرة الحدة ، ولم يلبث أن وصلتُ إليه بعد ما كانوا حجروا علىَّ فى بلدى ، وحظروا على الدخول فى المدن نحو أربعة أشهر ، ففى أول اتصالى برياض باشا ، جليت عليه الأمر وكشفت له من الحقيقة ما خفى ، حتى زال مالبَّسَ المبطلون ، وبطل كيدهم وما كانوا يعملون ، ونزلت عنده منزلة حسدنى عليها الكافة من العلماء والأمراء ورجال الحكومة ، بل وكثير ممن كان يدعى الانتماء إلى حضرة مولانا المعظم ، وقعدت من كل أمير مَصْعَد النفس ، فلا ينطق إلا بما تريد حكمتك ولا يعمل إلا بما تشاء إرادتك فكأنك وحقك كنت

(١) لقب تركى الأصل معناه صاحب الدولة .

وأنت فى الهند بين أظهر المصريين ، ساعيا فيهم إلى مقاصدك العالية ، طالبا بهم أمن السعادة ، وذروة المجد والفخار .

وهكذا ضممتُ إلى كل من كان ينتسب إليك صادقا فى الانتساب أو كاذبا تحسينا للظن وإيثاراً لجانب العفو والكرم لهذا الثانى ، لم أتأخر عن مساعدة الأدنياء أديب إسحق وسليم النقاش وسعيد البوستانى والهلباوى ومشاكلهم من اللئام ، فأصلحت لهم القلوب ، وفسحت لهم من الصدور ، وفتحت عليهم أبواب التقدم إلى المنافع العزيزة (لكنهم لم يرعوا عهدا ولم يحفظوا ودا ، ولا حاجة لى الآن إلى إيضاح ما صدر منهم خيانة ولؤما فإن مولاى أعلم بمسيحى الشوام وجميعهم مع بعض المصريين من اصطبل واحد)

وألّفتُ لحبك ممن حرم الشرف بلقائك قبيلا ليس بالقليل ، يجلون قدرك ،ويعرفون لك فضلك ، وكنا وإخواننا من المكانة فى قلوب الناس ، كما شرح لك إبراهيم أفندى ولكن هذا لم يلهنى عن طلب الانتقام لك ، والأخذ بثأرك من الوغد اللئيم ، والفدم اللطيم وكدت أصل إلى البغية مما قصدت من طريق مألوف ومذهب معروف وغير معروف لولا غَلَبَنا على الأمر قطاع الخير اللابسين ثياب الأنبياء ، السالكين مناهج الجبارين ، اللافظين لُفَاظات العلماء ، المتبطنين طباع الجاهلين ، انتحلوا طريقتنا فى الدعوة إلى الحرية وتمكنوا بقوة السيف وضعف الحكومة من إقناع العامة بكونهم دعاة الحق ، وحماة القانون وهم رسل الفوضى وجرذان النظام ، وكانوا فى أول أمرهم ، أشد الناس تعصبا عليك وعلى تلامذتك ، واشتد معهم فى التعصب أولئك الأنذال الذين قدمنا ذكرهم ، عندما رأوا بعض رجال الحكومة يميل إلى أهوائهم ، ويمدهم فى بعض غَيِّهم ، غير أن مدتهم فى العناد كانت قصيرة ، ولم يمض إلا القليل حتى فحصنا من قلوبهم ، وجلونا من بصائرهم فكادوا يشمون ضياء الحق ، لولا أن أحاطت بهم ظلمات الغرور والغى ، ومع هذا فكنا نستعملهم لما تريد وندبرهم كالآلات لغاية ما تحب بقدر الإمكان والاستطاعة ، إلى أن غلبت عناصر الفساد ، وعم الاختلال ،فطلبنا بأولئك الثائرين أن تخلص البلاد من الشقاء ، ويُنْقَذ العباد من طول العناء ، ورجونا تأييدهم على ذلك من سكان الأرض والسماء ، وكنا ندرك به خلاصا حسنا وانتقاما شريفا لكن سوء البخت كان أحمد عرابى على ما وصف الصابى أبا

تغلب بن حمدان ، عندما قاتله عز الدولة ابن معز الدولة وهزمه ، حيث قال فيه إنه لم يلق لقاء الباطع بالطاعة ، المعتذر من سالف التفريط والإضاعة ، ولا لقاء المصدق فى دعواه فى الاستقلال بالمقارعة ، المتحف لزعمه فى الثبات للمدافعة ، ولا كان فى هذين الأمرين بالبر التقى ولا الفاجر القوى ، بل جمع بين نقيصة شقاقه وغدره ، وفضيحة جبنه وخوره ، قد ذهب عنه الرشاد وضربت وبينه الأسداد) ا ـــ هـ .

وأزيد على ذلك مع توفر الأسباب ، وتفتح الأبواب ، وظهور الأمر للعيان ، وانجلائه لأذهان الصبيان ، واجتماع جميع القلوب عليه ، ونزوع الأهواء على اختلافها إليه ، فكان ما كان من العاقبة السوآى ، ولسير خادمكم فى تلك الحوادث نبأ طويل ، إذا أردت يا مولاى أن أقدم لك به تاريخا مختصرا ربما يكون مفيدا ، فأنا رهين الإشارة .

ونحن الآن فى مدينة بيروت ، نقضى بها مدة ثلاث سنوات ، على ما حكم به الشقى الغبى ، لا لذنب جنيناه ولا جرم اقترفناه ، فقد قضت حكمتك القائمة مقام الإلهام فى قلوب الصديقين أن ننال الحق ولنا الحجة الباهرة ، ونصيب الغرض ولنا البراءة الظاهرة والذمة الطاهرة ، وإنما ذلك أثر الحقد القديم ، ونتيجة الداء العقيم ، ووالله يا مولاى لو فصّلنا له من جلودنا ثيابا ، وصنعنا له من لحومنا كبابا ، وصببنا له من دمنا شرابا ، لما كان لنا مفر من غدرته عند قدرته ـــ قاتله الله ـــ فها نحن فى سننك وعلى سننك ، وكنا كذلك ولانزال إلى انقضاء الآجال ، ولولا أطفال رضع ، ونساء لنا طوع أبيناهم الذل ، وأنفنا لهم الضيم ، فأتينا بهم معنا إلى حيث أقمنا ، لكنت أول من نلقاك فى مدينة باريس لأسعد بالإقامة فى خدمتك ، وأفخر بذلك على العالمين .

وما أعلمه من نفسى ، وماأتيقنه من يقينك ، ومأيدته أعمالى وأعمالك ، وأقوالى وأقوالك ، لا أتكدر مما أشرت إليه فى كتابك إلى أبى تراب حيث طعنت فى ثقتك بالمصريين ، وبالغت حتى سحبت الطعن إلى خادمك كاتب الأحرف وإبراهيم أفندى وزدت فى المبالغة فأنفذت طعنتك بالداهية الزرقاء والبلية حمراء ، أما اختلال ثقتك بالدواهى والبلايا فقد صار فى محله ، فقد نقضت عهدك ، وحالفت عدوك فاستبقته فى الوجود وأنت موجود أرغم الله أنفها وجعلها طوع

يدك ترمى بها من تشاء من أعدائك ، أما ما يتعلق بنا ، فإنى على بينة من أمر مولاى وإن كان فى قوة بيانه ما يشكك الملائكة فى معبودهم والأنبياء فى وحيهم ولكن ليس فى استطاعته أن يشكك نفسه فى نفسه ، ولا أن يقنع عقله الأعلى بالمحالات وإن كان فى طوعه أن يقنع بها من أراد من الشرقيين والغربيين ، وما حكم به سيدى من سلب الوفاء عن المصريين ربما تضافرت عليه الأدلة ، وتشهد لنا وله عليه الحوادث ، غير أننا لسنا أولئك ، فقد أخرجنا المولى عن طباعنا ، وأنبتنا نباتا حسنًا غريبا لايغتذى بغذاء تلك الأرض ولا ينمو بهوائها ، وإنما ينضر حيث يتيح له القدر من مثل عناصره ما يقوى به قوامه ويزهر زهره ، ويحلو ثمره وإلا ذبل ومات ، واستؤصلت جذوره ورمى به إلى خارج البلاد ، وإنى أعلم أن كلامى لا يزيد فى يقين مولاى شيئا ، وسكوتى لا ينقص منه ، فَلْنَعُدْ عن هذا ونستمنح من كرمه الواسع أن يمن علينا بأمرين ، أحدهما إرسال رسمه الفوتوغرافى الجديد ، فإن هذا الخادم كان عنده نسختان من الفوتوغرافية الأولى ، إحداهما أخذها أعوان الضبطية من بيتى عندما أودعت السجن ، كما أخذوا كتاب الماسون بخط مولاى المعظم ، والثانية كان استجدانيها سعد أفندى زغلول ، وهو من خواص محسوبيكم ولشفقتى عليه تركتها له أيامًا ليعيش أعواما .

والثانى أن يتابع إرسال ما ينشره من فصوله السياسية والأدبية فى الجرائد أيا كانت ، فقد أعددنا دفاتر متعددة لنقل ما يوجد منها فى أى جريدة ، وكتبنا مانشر فى جريدة النحلة ، وأول ما أدرج فى البصير ، وإلى الآن نبحث عن مقالة الشرق والشرقيين ولا نجدها ، وأضفنا إلى ذلك ، ما كان نشر فى جريدة مصر فى الأيام السابقة من جميع الجمل التى جاء بها فكر سيادتكم ، ثم إنا نخبر سيادتكم خبرا تسرون له ، وهو أن أعيان المسلمين من أهالى بيروت وأمرائهم لم يألوا جهدا فى إكرامنا والاحتفاء بنا ، ونخص بالذكر منهم السيد عبد القادر أفندى القبانى وأعضاء عائلته ، وهم من ذوى البيوت الأصيلة — رغما عن أنف صاحب الجوائب — والحاج محيى الدين أفندى حمادة رئيس مجلس البلدية ، وحسن أفندى بيهم ، وهم من أنبه الشبان وأعلمهم وأكتبهم وأشدهم ميلا إلى الحرية ، وقد آلى على نفسه ألا يموت حتى يراكم مالم يفاجأ .

وأما الأمير الشهير عبد القادر الجزائرلى فقد أمر ولده أن يزور خادمكم هذا ،

وأتى لزيارتى وما كل هذا إلا من آثار فضلكم فلكم الشكر على كل نعمة وصلت أو تصل إلينا وإلى أعقابنا من بعدنا ، ونرجو من سعة كرمكم أن تحنوا على خادمكم بأسطر من خطكم الشريف ، يحفظها حيث يحفظ سرك ، ويودعها فى مستودع حبك .

والله يحفظك ويتم مقاصدك والسلام

خادمكم

محمد عبده

٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م)

وكنت أود أن أعلق على هذا الخطاب العجيب الذى جاوز النفاق فيه كل حد ، حين خاطب محمد عبده جمال الدين بما يخاطب به رب العالمين — والعياذ بالله — ولكنى آثرت أن أعلق بعد عرض الخطاب الثانى حتى تزيد الرؤية وضوحا .

٢ — الخطاب الثانى : وفيما يلى نصه :

[مولاى المعظم أيده الله

اليوم عرفت نفسى وكنت بها سيىء الظن ، أرى ما سيق إلىّ أو يساق من الكرامة بين الناس إنما هو من أحكام البخت والاتفاق وغرور من السذج بنسبتى إلى خدمة المولى الجليل وكنت أتيه على العالمين بتلك النسبة ، وهى عنوان الفضل والكمال مكتفيا برسوخها فى نفسى ، ومقررها فى الأذهان وأقول دعوا الناس فى غفلاتهم يرزق الله بعضهم من بعض ، أما الآن وقد حسبنى الجناب العالى نتيجة لأعماله ، فإنى أصدع بأفكارى قواعد الملكوت وأزعزع بهمتى أركان سطوة الجبروت ، وأدعو إلى الحق دعوة الحكيم ، وأذهب بأهل الرحمة مذهب الأب الرحيم ، خدمة لمقاصد مولاى ، وإن يوم السعادة عندى أن يظهر لهذه الخدمة أثر ، وينشر عنها خبر ، أما نهى السيد لعبده عن العقوق فى الحقوق التى أوجبتها القرائح الزكية ، فمن حيث صدوره عنه أدب ، تتفجر منه ينابيع الخير والبركة ولكن من حيث توجيهه إلى الخادم الأمين فهو من قبيل نهى الحق عن أن يكون باطلا والنور عن أن يكون ظلاما ، والكمال عن أن يكون نقصا ، بل نهى الإنسان عن أن يكون حمارا ، سبحان الله ، ما أسهل أن نمتثله ، وأيسر أن ندين به

حتى يبلغ الكتاب أجله ، بلغنا قبل وصول كتابكم الكريم ما نشر فى [الربا] من دفاعكم عن الدين الإسلامي (ياها من مدافعة) ردا على مسيو رنان ، فظننا ها من المداعبات الدينية تحل عند المؤمنين محل القبول فحثثنا بعض الدينيين على ترجمتها ، لكن حمدنا الله تعالى إذ لم يتيسر له وجود أعداد (الربا) ، حتى ورد كتابكم واطلعنا على العددين ترجمهما لنا حضرة الفاضل حسن أفندى بيهم ، فصرفنا ذهن صاحبنا الأول عن ترجمتهما ، وتوسلنا فى ذلك بأن وعدناه أن الأصل العربى سيحضر ، فإذا حضر نشر ولا لزوم للترجمة ، فاندفع المكروه والحمد لله نحن الآن على سنتك القويمة ، لانقطع رأس الدين إلا بسيف الدين ، ولهذا لو رأيتنا لرأيت زهادا عبادا ركعا سجدا لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .. ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل .. أسفت وتكدّرت مما رأيته فى كتابكم إلىّ وإلى أبى تراب من اللوم الشديد على إبراهيم أفندى وعلمت أن ذلك من سوء تبليغ أبى تراب ، على أن إبراهيم أفندى ليس موضعا للتهمة بما يشير إليه المولى فى كتابيه ، وإنى أحلف بحرمة سيدى أنه لم يصدر منه أدنى أمر يشينه أو يخل بحقوق مولاه ، فإن انتقاله من البيت الذى كان فيه ، لم يكن إلا بعد أن ظهر أثر الرطوبة فى عينيه وخشي عليهما من الرمد ، ونصحه الطبيب بالانتقال ، فأشار علىّ فاستحسنت ذلك على شريطة أن ينتقل معه أبو تراب ، فاستدعى أبا تراب للانتقال فأبى متعللا بأن أهل البيت يخدمونه ، وليس فى البيت الجديد من يخدمه ، فسهل عليه الأمر فأبى وصمم على البقاء ، ولم يكن تعلله صحيحا فى الحقيقة وإنما العلة الحقيقية هو ما تعهدونه فيه من الإحساسات الصبيانية ، أما السيد إبراهيم فقد قام بخدمة أبى تراب أحسن قيام ، كان يرافقه فى شدة البرد وكثرة الأوحال إلى منازل الحكماء ومعاهد الأطباء مرارا عديدة قبل حضور مصطفى بك ، وكان يصحبه كأخ صديق ، ينظر إليه ويعامله معاملة المتساويين من جميع الوجوه ، ولم يصرف عند الحكماء إلا ريالين فقط ، وبعض دراهم قليلة فى أدوية ومراهم ، وبعد حضور مصطفى بك كان العلاج مجانا بدون أجرة ، ومضى عليه زمن المرض ونحن جميعا نتعهده فى أغلب الأوقات وإبراهيم أفندى — بعد انتقاله — كان يأتى إليه من قبل شروق الشمس إلى الساعة الرابعة من الليل ، ولا يتركه إلا وقت النوم وكانت ثياب إبراهيم وكتبه وجميع لوازمه فى أودة أبى تراب ، ولم يكن فى أودته الأخرى إلا فرش النوم

لاغير ، ثم إن أبا تراب معنا فى جميع الأوقات ، إلا ما قل ، وإنا نعده كواحد منا ، منزلته منزلتنا ، إن مسه أحد بكلمة حسبناها فى أعراضنا ، أما ما ذكرته فى شأن أديب أفندى ، وأمرك أبا تراب بالتردد عليه ، فلعل فيه حكمة تخفى عن عقولنا ، ورأيكم أعلى وأرفع ، على أنى أرى فى الإبقاء عليه لضرراً لنفس أبى تراب من حيث تغلب شهوته الحيوانية على قوته العقلية ، فالأولى به أن يكون بعيدا عن مثار الشهوات .

وزادنى كدرا أن أبا تراب لما ذهب ليبلغ أديب سلامكم أطلعه على المكتوب فقرأ منه ماذكرتم فى شأن إبراهيم أفندى ، وكان كدر إبراهيم على هذا أشد من كدره على سوء ما بلغه عنه . و أبو تراب عجول فى أخباره لم يخل من طيش الشرقيين ، فالأمل أن لا تثقوا بما كتب إليكم فيما يتعلق بشأن أتباعكم ، فقد يغضبه مالا يغضب ويرضيه ما لا يرضى ، وليس بين غضبه ورضاه إلا كما بين ضحكه وبكاه وهو ما بين لمحات البصر ، أليس عجيبا أن ما نقله إليكم عنى وأنا فى حبس الحكومة المصرية قبل أن يرانى كان متلقيا له من محسن الجزار ، مع أنى ما رأيته من نحو ثلاث سنين ، ثم بعد أن كتب إليكم ما كتب جاء لزيارتى فى الحبس ولم يسألنى عن شىء يتعلق بسيادتكم وأظن أن حالة أبى تراب فى الأخبار التى تكون من هذا القبيل لا تخفى على حضرتكم ، فالرجا أن لا تعتمدوا عليها ، ولا تعجلوا بتصديقها ، فليس سهلا على الصادقين فى الانتماء إليكم أن يشعروا بأن شيئا كدر خاطركم من جهتهم ، وإن كان غير منطبق على الواقع .

ونلتمس من واسع كرمكم أن لا تقطعوا عنا ما نطمئن به على صحتكم والله يحفظكم

محمد عبده

٨ شعبان ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م)

يهدى سيادتكم مزيد السلام ويقبل أيديكم إبراهيم أفندى على اللقانى والشيخ أمين أبو يوسف من مصر ، وهو منفى فى الحوادث المصرية ، والشيخ أحمد القبانى من أفاضل بيروت والشيخ أحمد عباس من نبهائها وأرباب الأفكار الحُرَّة ، وحسن

أفندى بيهم ، وكل آمن له ميل إلى الحرية
ودمتم فى حفظ الله

محمد

٨ شعبان سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م)

نقد وتعليق :

والواقع أن الخطابين اللذين أثبتنا نصهما ـــ فيما سبق ـــ يشبهان إلى حد كبير ما جاء فى كتابات إبراهيم اللقانى إلى جمال الدين ، من نفاق مسرف ، وأسلوب يشبه أسلوب الكافرين .

فهذان الخطابان من كتابات الشيخ محمد عبده العالم الدينى المعروف الذى فسر القرآن الكريم ، وكان له شأن عظيم فى مصر والعالم الإسلامى ، ومازال يذكر بالخير حتى يومنا هذا ، فكان عجيبا ـــ حقا ـــ أن يخاطب محمد عبده جمال الدين الأفغانى ـــ مهما كانت صفته ـــ بالأسلوب الذى يخاطب العبد به ربه جل جلاله ، بل يتجاوز كل حد فيزعم بأن جمال الدين يستطيع بمنطقه أن يشكك الملائكة وأن يجعل الأنبياء يشكون فيما يجىء إليهم من وحى .

على أن الخطابين برغم أسلوبهما الكافر الفاجر يفيدان فى كشف حقيقة جمال الدين الأفغانى ومن اجتمع حوله من التلاميذ والأصدقاء ، ويمكن أن نستخلص منهما مايلى :

أولاً : أن جمال الدين ، كان عظيم التأثير على المتصلين به إلى درجة تجعل شخصياتهم تذوب فى شخصيته ، بحيث يتحولون إلى دمى يحركها جمال الدين كيف يشاء ، ويتسيرون أبواقا تردد كل مايقوله سيدهم .

ثانياً : أن الشيخ محمد عبده كان ماسونيا كأستاذه جمال الدين ، فقد اعترف فى خطابه الأول بأن كتاب الماسونية كان فى بيته حين فتشته الشرطة فأخذته ، كما أخذت صورة جمال الدين التى كان يحتفظ بها مع كتاب الماسونية ، مما يطعن فى عقيدة محمد عبده ، فكيف يؤمن بمبادىء الماسونية ، وهو عالم من علماء المسلمين ومفسر لكتاب الله الكريم ؟!..

ثالثاً : أن سعد زغلول كان من مريدى جمال الدين منذ شبابه الباكر ، وكان حريصا على الاحتفاظ بصورة لجمال الدين .

رابعًا : أن جمال الدين كان يتأثر بما يقوله خادمه أبو تراب فى تحديد علاقاته بأصدقائه وتلاميذه ، فيمكن أن يغير رأيه فيهم إذا قرأ كلام أبى تراب عنهم ، حتى ولو كان كاذبا ، مما يثير علامات استفهام حول علاقة جمال الدين بأبى تراب .

خامسًا : يبدو من وصف الشيخ محمد لأبى تراب أنه كان شخصا سيء الخلق ، منحرف السلوك فيه صبيانية ، فكيف يطمئن شخص داعية كبير كجمال الدين الأفغانى إلى وجود شخص كأبى تراب بجواره إلا إذا كانت هناك أسباب تدفع جمال الدين إلى هذا ؟!...

سادسًا : إن الخطابين يدلان على أن الشيخ محمد عبده كإبراهيم اللقانى ، لم يدافع عن كرامة وطنه حين أعلن جمال الدين أنه لايثق فى المصريين ، بل سلّم محمد عبده بسوء مصر وقال إنه وتلاميذ جمال الدين من المصريين لم يرضعوا من لبان مصر بل صنعهم جمال الدين على عينه ، مما يجعلنا نغير رأينا فى محمد عبده ونعيد تقويمنا لشخصيته .

ونختم هذا الكتاب بعرض القسم الأخير من الوثائق وهو يتضمن أحاديث صحفية ورسائل خطية تلقى أضواء على حقيقة جمال الدين .. والله هو الهادى إلى صراطه المستقيم .

القسم الثالث

رسائل ووثائق تتعلق بجمال الدين

تمهيد :

توجد فى القسم الثالث من مجموعة الوثائق التى تضمنها الجزء الثانى من كتاب «حقيقة جمال الدين الأفغانى» رسائل ووثائق تتعلق بجمال الدين ، لانرى داعيا لعرضها كلها واحدة فى إثر الأخرى ، لأن الكثير منها ليس فيه معلومات تفيد فى كشف حقيقة جمال الدين ، أو تظهر أفكاره وخططه التى كان يسير على هداها فى تحقيق أهدافه ، والعمل على إيقاظ همم الشعوب الإسلامية ، وتوحيد صفوفها ، حتى تسير فى طريق التحرر من سيطرة الدول الاستعمارية ، ليتحقق لها التقدم والرفاهية .

ولهذا سنكتفى بعرض الوثائق التى تهم الدارسين والراغبين فى معرفة حقيقة جمال الدين ، وهى الوثائق التى تخدم تاريخ جمال الدين ، وتبين معالم شخصيته دون لبس أو غموض ، كما تخدم تاريخ شعوب الدول الإسلامية التى زارها جمال الدين وارتبطت دعوته الإصلاحية بها ، فعرض هذه الوثائق ـ فى رأينا ـ أجدى للدراسة ، وهو الذى يفيد الراغبين فى الوقوف على حقيقة جمال الدين .

أما الرسائل التى لاتتضمن أخبارا ذات أهمية فلا طائل تحتها ، ولاجدوى من عرضها ، وحشرها بين صفحات كتاب هدفه كشف حقيقة جمال الدين الأفغانى ، خدمة للعلم والتاريخ .

والله نسأل أن يهدينا سواء السبيل وأن يعصمنا من الخطأ والزلل ...

أولا : مكاتبات بين جمال الدين ومحمد حسن ، أمين الضرب :

١ ــ خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب لتأجير بيت يسكن فيه فى مدينة إصفهان .

والخطاب باللغة الفارسية وترجمته كالتالى :

« جناب نزيه النفس، طاهر السريرة ، أمين الضرب السلطانى ، لتكن دائما فى عون الحق.. كما كان مقررا من قبل ، المرجو من جنابكم أن تتحملوا مشقة تأجير منزل لى أسكن فيه بالقرب منكم فى جواركم ، ولا أعلم حتى الآن هل تم إيجاد هذا المنزل أم لا؟!.. فإذا كنتم قد أجرتم منزلا لى ، فأين يقع هذا المنزل؟ .

وأنا الآن أقيم فى محلة شاهزاده عبد العظيم أنتظر الجواب .

لازلت قائمًا بقضاء حاجات العباد .

والسلام .

المحب

جمال الدين الحسينى

٢ ــ خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب يلومه على عدم الرد على خطابه له ويعيب عليه كذبه .

والخطاب باللغة الفارسية وترجمته كالتالى :

«سالك مسلك الحق والصدق جناب الحاج محمد حسن ، أمين الضرب ، لازال محفوظا عن سوء القضاء .

كنت أخبرتنى فى برقية أن الجواب أرسل فى خطاب ، والبريد لايخطىء ولا أريد أن أظن بك ظنا آخر غير الصدق فى القول .. إن الخطاب لم يصل ، فعلى أى وجه أفسر تصرفك مع ميرزا نعمة الله ، لقد كان بعيدا جدا عن طريق العدل والإنصاف ، فإذا كنت تسىء الظن به أو كنت على يقين مما بلغك عنه ، فإنه ينبغى عليك أن لاتحيد عن السنة الإلهية بحال من الأحوال .

بإذن الله تعالى مع علمه الأزلى المحيط بكل شىء يضع الميزان أمام الملائكة والأنبياء ، ويبسط الحساب ، ويقيم الشهود من الجوارح والأعضاء ، ولايعذب نفسا إلا بعد إقامة الحجة عليها ، وليس من السنة الإلهية الحكم بغير دليل ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، وأنت لست معصوما من الخطأ ، فافعل مع الخلق مايعصمك من غضب الله ، وإذا كان هدفك أن تصل المنفعة إليك وحدك ،

ولا تصل إلى شخص غيرك ، فإن هذا السلوك يتنافى مع المروءة لأنك لا تراعى حقوق شخص خدمك سنوات طويلة ، ولا تهتم إلا بمصالح ومنافع أقربائك ، ولابد أن تعرف أنه فوق قدراتنا الضعيفة ، قدرة الله التى لا حدود لها ، فمن الممكن — إذن — أن تدمر قدرة الله كل مابنيته ظلما طوال سنوات عديدة ، لأنك كسرت قلب شخص بدون ذنب .

وإذا كان هدفك أن لاينتفع شخص غيرك ، فماذا أقول لك ؟ ولكن يجب أن تعلم ـ حينذاك ـ أنك تعرض نفسك لسهم غضب الله (أستجير بالله) ومخرج النفس الطماعة ـ دائما ـ فى قبضة قدرة الله فإذا كنت تحسد شخصا تابعا لك (أستعيذ بالله) فينبغى أن تعالج نفسك قبل أن تصير موضعا للسخط ، وأنا أخشى عليك أن يصيبك ماذكرت .

وعلى كل حال أنت أعطيتنى وعدا فى مدينة موسكو ، ولكنك نقضت الوعد والميثاق ، ولم أكن أتوقع منك هذا الغدر ، وقد تكدرت كثيرا من تصرفك ، فإذا لم تعدل عن تصرفك ، فسيصيبك ندم على الدوام .

نعم... حاسب... أظهر الغش والاختلاس...ثم افعل بعد ذلك ماتريد... وحينذاك ستصير برىء الذمة أمام الله والناس ، وإلا فلن تنجو من قسوة الحساب فى الآخرة ، ولن تسلم من لوم الناس فى الدنيا .

قابلت كاثكوف ، وقد سر كثيرا ، وكلفنى أن أتوجه لمقابلة القيصر بعد بضعة أيام ، وقد نشرت جرائد موسكو وبطرسبرج تعريفا لى ، ونشرت جرائد باريس أيضا نفس الشيء عنى .

والســلام ،،،

صديقكم الحقيقى

جمال الدين الحسينى

سلامى إلى الفاضل الطاهر الأمير جعفر وللأمير جواد

٣ ـ خطاب من جمال الدين إلى محمد حسن أمين الضرب ، له صلة بالخطاب السابق ، وهو مكتوب بالفارسية وترجمته كالتالى :

«طيب السريرة حسن السيرة ، جناب الحاج محمد حسن أمين ، لازال محفوظا بعون الله عن غدر كل لئيم ، ومكر كل رجيم ـــ آمين ـــ

وصلتنى رسالتك وأسأل الله أن يصونك من شر الأخِسَّاء ذوى النفس الخسيسة الذين يأكلون ، ويسرقون ، ويدمرون ، ولايتركون شيئا بعدهم .

لقد قلت كلاما من شدة تأثرى ، فإذا لم يكن يصدر منكم غير تمزيق القميص ، وإذا كان الغريب عنكم عاجزا ، فإننى شخصيا لاأستطيع أن أقول إنك على حق ، لأنه من غير الممكن أن تتساوى قوة الضعيف بقوة القوى عند الحكم والموازنة ، ولايمكن أن يتحقق العدل بهذه الصورة ، اللهم إلا إذا نزل القوى إلى مستوى الضعيف ، فالأمر يدعو للأسف .

وإذا كان هناك قوى متسلط يفعل هذا ـــ غيركم ـــ فأنا مستعد أن أحطم قوته بقوة الله حيثما كان وحيثما كنت .

ولن أنسى حقوق فى هذه المدة القصيرة ، وإذا كانت هناك عقدة فبينها

وقد وضح من خطابك أنك ظننت أن مير نعمة الله قد دفعنى إلى كتابة خطاب شديد اللهجة لكم ، ويبدو أنك صرت ضعيف الذاكرة ، فإننى قد كتبت كل ماكتبت فى غياب مير نعمة الله ، وقلت لك شفويا فى غيابه أيضا ، وقلت لك هذا لمصلحتك .

قرأت كتاب فاضل ، المكتوب باللغة العربية ، وسررت منه كثيرا ، وأسأل الله أن يرفع درجاته ، وقد كتبت له ردا منذ عشرة أيام ، وأتمنى أن يظل الصديق مير جعفر مسرورا دائما ، تحت رعايتك ، وأبلغ إليه سلام الأصدقاء .

وسأتوجه غدا إلى بطرسبرج ... والسلام .

صديقك

جمال الدين الحسينى

يوم الأحد ٢٤ من ذى القعدة ١٣١٦هـ (١٨٩٨)

أنا اليوم ضيف فى منزل محمد جواد وسأسافر غدا

٤ ـــ خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب له صلة بما سبق : وهو مكتوب باللغة الفارسية وترجمته كالتالى :

بطرسبرج ... ٩ فبراير ..

الجناب الموقر الحاج محمد حسن أمين دار الضرب السلطانية ، أسأل الله أن يكون دائما فى كمال الاعتدال نفسيا وبدنيا ...

خير إن شاء الله . ماذا دهاك حتى وضعت درع الإسلام أمام وجهك وسحبت سيف الإيمان من غمده .. أسأل الله أن لا يكون ذلك فى وجه الحق .. إن قوة الخيال وإن كانت تعمل ـــ تحت ظل العقل ـــ على تربية الأجساد وتوجيهها ، ولكنها قوة شديدة ، تكون ـــ فى أغلب النفوس البشرية ـــ فى حرب مع العقل ، وتتغلب عليه ، وجميع ضلالات العالم الإنسانى تنشأ منه وهى التى تشوه الحق بصورة الباطل وتظهر هذا الباطل ، وتغلبه وتزينه للعالم ، وهى التى تشوش على الخير المطلق بوساوسها ، وتحيطه بالشرور ، فيبدو أمام الأبصار مهزوزا ، وهى التى تزين الشر وتجعله جذابا ، وترغّب النفوس فيه ، وقد سمى العلماء قوة الخيال شيطان العقل ، ولكن هناك فرقا بعيدا بين الاثنين ، لأن الشيطان المسكين ولو أنه يمنع الإنسان من سلوك سبل الحق والحقيقة ، ولكنه يساعده على التمتع باللذات الدنيوية والشهوات البدنية ، أما قوة الخيال فإنها تحرم الإنسان من سعادة الدنيا والآخرة معا ، فهى تخوّف الأغنياء فى حالة الغنى من الفقر ، وفى حالة السرور تفتح أبواب الأحزان الماضية والأكدار المقبلة ، وتثير الشبهات حول الأعوان والأصدقاء ، والأهل والعيال ، والخدم والحشم ، حتى تكدر الحياة الإنسانية ، وحتى يظل الإنسان معذبا دائما ، فيجب التخلص من شر هذا العدو الداخلى المجنون ، ولو أن التخلص منه نهائيا أمر صعب للغاية ، ومع وجود أمل التخلص من قوة الخيال ، فإنه ليس عندى أمل فى أن تتغلب عليك قوة الخيال ، فقد مدحتك بالهمة والغيرة والجسارة والإقدام ، وهذه الأوصاف هى التى يباهى بالاتصاف بها الأنبياء والأولياء ، مع مالهم من المقامات العالية والمزايا الروحية ، ولا يستنكفون من مدح أعدائهم ، فما اتصفوا بهذه الصفات الكريمة ، ولا تسيطر قوة الخيال إلا على الذين يتصفون بصفات العجزة ، الذين يلجأون إلى الكذب.

هذه واحدة ، أما الثانية فهى أنك ظننت أننى أتحدث إليك وإلى غيركم بالكناية والتلميح دون التصريح ، وأقول : لماذا أتحدث إليكم وإلى غيركم بالكناية ؟ ولماذا أنسب إليكم الكذب ؟!.. هذا عجيب ـ سبحان الله ـ نعم إن العقائد التى أوحت

إليك بهذا يجب أن تزول .. أليس للمخطرات القلبية والهامة أى اعتبار ؟!.. لقد عددت سفركم إلى بلاد الإفرنجة ونيتكم الخيرة من آثار همتكم وجسارتكم ، فأصلح قلبك ، لماذا يجعلك الخيال تضمر هذه الخيالات الفاسدة ؛ لقد كتبت لى أننى أسعى فى بطرسبرج للحصول على إذن ، فأرسلت رسولًا بالخبر ، فأجابوا فكتبت لك ، إذن فماذا تتوهمون أننى كتبت لك بالكناية ؟!..

ياجناب الحاج..أصلح قلبك..إننى أوضح لك بأسلوب صريح كل ماأريده ، لو أن السماوات تتغير ؛ فإننى كذلك أتغير .

أما بخصوص ميرزا نعمة فإننى لست مخالفاً لمير نعمة الله ، لقد كنت أريد أن تكون جميع أفعالكم على نهج الحكمة ، ولهذا قلت لكم شفاها وكتابة ، فيجب أولا أن تقدر الأمور ؛ فتأمل الآن جيدا ... إنك لم تقدر أولا ماإذا كان الحق بجانبكم أم لا ، ولم تستطع أن تثبت بأية وسيلة ماإذا كانوا سيرفعون أيديهم عن الأمر ، لقد قلت إنه أراد أن يظلم ولكنه عجز ولم يستطع أن ينسحب ، وإذا طالبته وسحبته إلى طهران ، سيقولون إنهم يريدون أن يدمروا نعمة الله المسكين ظلما وعدوانا ، وهذه نتيجة أنكم ـ منذ البداية ـ لم تتبعوا نصيحتى ؛ لقد رأيت ميرزا نعمة الله فى منزلكم ؛ ومعاشرتى لكم أكثر بدرجات عديدة من معاشرتى لنعمة الله ، ومع كل هذا فإن خيالاتك جعلتك تقول إننى أعدك أكثر كمالا من أكثر الإيرانيين ، فلا تتخيل خيالا فاسدا ؛ أنت لست خارجا عنهم .. ولنتجاوز عن هذا ، أما فاضل فأمره عجيب جدا ، لماذا لايرسل خطابا كل أسبوع ، هل سيطر عليه الوهم ـــ لاقدر الله ـــ فى مرحلة الشباب ؟! .. يجب أن يكتب خطابا كل حين أحيانا بالعربية وأحيانا بالفارسية ، ولايكتفى بالدعاء والسلام فحسب ، بل يكتب بعض التفصيلات ؛ حتى تزيد قوة كتابته وإنشائه ؛ ويتسع فكره ، ولاينتظر حتى أرسل أنا جواب كل خطاب ، وأنا ـ من غير شك ـ سأرسل بين حين وآخر جوابا لتشجيعه ، ولكن فى الوقت الذى يكون مضمون خطابه رفيعا .

أبلغ جميع الأحباب والأصدقاء لى ولكم السلام ، وأقول لكم مرة أخرى :

أصلح قلبك ، ولا تجعل الخيال يسيطر عليك ، وأسأل الله أن يعينك على فعل الأعمال الخيرة .

والسلام

صديقك

جمال الدين الحسيني

٥ ـ خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب :

وهو خطاب مكتوب بالفارسية فى بطرسبرج فى ٣٠ أبريل (شعبان) وترجمته كالتالى :

«جناب المبجل المكرم الحاج محمد حسن أمين الضرب أسأل الله أن يصونه من المصائب غير المنتظرة ...

السطر الذى كتبته فى حاشية خطابكم السابق يخيل إلى أنه امحى من الخاطر ، لأن الشخص حين يكون شابا يكون دائما مقهوراً بحواسه الطبيعية ، فلا يكون للعقل حكم عليه فى الفرح والحزن والغضب ، ولا للدين ، لأن كمال العقل والتدين الحقيقى يتحققان للإنسان فى سن الشيخوخة ، فينبغى عليه أن يتحرر من سطوة طبيعته ، وأن يجعل حواسه الطبيعية تضعف حتى يكون الفرح والغم والغضب جميعها فى دائرة العقل والدين ، وعن هذا الطريق أستطيع أن أقول إنه لا يليق بك أن تحزن أكثر من هذا على موت الوالدة والكريمة ، بل يجب عليك بعد هذا العمر وبعد كل هذه التجارب ، المعاشرة لجميع أصناف العالم من الصالح والطالح ، أن يكون حزنك على ارتكاب الرذيلة أو اجتناب الفضيلة ، وأن يكون فرحك بإصلاح ذات نفسك وحليتها بالصفات الحسنة والأخلاق الكريمة التى يفخر بها أعاظم أفراد البشر ، لا بغير ذلك ، وإصلاح ذات نفسك ـ مثل التجارة ـ يتوقف على السعى والاجتهاد ـ بعد عطاء الله ـ ويحتاج إلى التفكر ليل نهار ، وإلى المحاسبة ، وأن تكون دائما فى خوف ووجل من أن تخطىء فى الحساب ، والأفكار العقلية والأخلاق النفسية مثل بضاعة التجارة تنبغى تجربتها ، وعرضها على أهل الخبرة ، والاستفسار عنها ، والبحث والتفتيش فيها ، ومما لا شك فيه أن اهتمام الإنسان بتقويم ذاته أشرف من سعيه بعيدا عن ذاته .

ولايعنى هذا أن يسحب الإنسان يده من شئون الدنيا .. لا .. لا ، بل يجب أن يسير الإنسان فى شئون الدنيا على نهج الحق والعدل ، ومراقبة الله ، وأن يفعل مايريده الله ، والله تعالى يريد أن يرى فى العوالم السفلية ــ مثل العوالم العلية ــ جميع الكمالات والحسن والزينة ، وأن يسود الخير فى كل مكان ، وأن تظهر آثار صنعه وبدائع قدرته فى العقل البشرى ، وأن يكون الإنسان فى جميع حالاته مظهرا لكمال الحق بحيث يكون شاهدا على كمالات الحق غير المتناهية ، وبهذه الصورة يعبد الإنسان الله ويسبح بحمده ، لابالسان الذى يكثر من القيل والقال ، ولايفعل غير السوء .

أسال الله أن يساعدك وأن يجعل فطرتك طاهرة نقية ومظهراً للكمال والجمال .

أما ميرزا نعمة الله ، فقد عرض عليكم فى خطابه ثلاثة أمور ، ومما لاشك فيه أنك مستقبل واحدا من تلك الثلاثة على نهج الحق والعدل ، وآمل أن لاتقبلوا ولاترضوا بحال من الأحوال صفة التعدي والإجحاف لأنها صفة الجبارين .

وقد أرسلت خطاب جناب أمين السلطان فى داخل خطابكم بعنوانكم إلى طهران ، وإذا سأل عنى صديق فأبلغوه السلام ،،،

وأسأل الله أن تكون أنت وأهل منزلكم وجميع المحيطين بك فى سلامة .

والسلام

صديقك

جمال الدين الحسينى

٦ ــ خطاب من جمال الدين إلى محمد حسن أمين الضرب :

وهو مكتوب بالفارسية فى مدينة بطرسبورج فى شهر يوليه وترجمته كالتالى :

«بطرسبورج .... يوليه

جناب المبجل المحترم الحاج محمد حسن أمين دار الضرب السلطانية ـ أسأل الله أن يكون مظهراً للعنايات الإلهية الخاصة ــ .

منذ بضعة أسابيع وأنا أريد كتابة جواب خطابكم ، ولكن منعتنى بعض الخطرات ، وهى من ناحية أن الجود الإلهى المطلق يظهر فى كل طبيعة ، وماهية بصورة من الصور ، فالماء الزلال العذب يظهر فى كل بذرة على حسب أصلها بطعم آخر فى المذاق ، وكل إنسان فى عالم الإفاضة والاستفاضة بمنزلة كفتى ميزان ،

ومعاملة الحق للإنسان على حسب معاملته للخلق ، فينبغى أن تجعل نصب عينيك عنايات الحق غير المتناهية ، وقصورك الذى لا حد له ، فتعامل مع الخلق بهذه الطريقة حتى تكون على الدوام موضع استحقاق النعم العظيمة ، والخيرات العميمة . أما أن تطلب الغفران من الله للذنوب الكبيرة والصغيرة ، وأنت تعامل الخلق بخلقك هذا ، وتطردهم من على مائدة نعمتك ، وتعاقبهم عقابا شديدا على الزلات البسيطة ، فهذا أمر يدعو إلى العجب حقاً ، لأن الإنسان ينبغى أن يقول دائماً : ياإلهى إننى أرحم من تحت يدى مع عجزى وضعفى هذا ، فليس عجيبا أن ترحمنى مع مالك من قدرة مطلقة ، ورحمة غير متناهية... وأنا عاجز فتب على واغفر ذنوبى ، واجعلنى موضع عناياتك الخاصة...هذا هو العدل والله تعالى هو عين العدل . فلا ينبغى حبس العاجز الفقير من أجل مائة تومان أو أكثر أو أقل من ذلك وأنت قادر غنى..

فيجب على الإنسان الطالب للكمال أن يسعى هو لإظهار الصفات الكمالية للحق ، والإنسان طالب الرشاد لا ينبغى أن يخسر نفسه ، فإذا كانت الزلة فى طبيعته غير قابلة للغفران . فكيف يطلب الغفران من ربه ؟! ..

وإذا عبد شخص الإحسان الصرف مكروها ، ولم يعط دانقا لشخص بدون عمل سابق ، ثم طلب من الله تعالى أنواع الإحسان الصورية والمعنوية ، فإنه ولا شك يعبث بنفسه أو يتهاون فى حق ربه ، وهذا هو عين النقص ، وهو الأمر الذى يدعو إلى السخرية ، إن ميرزا نعمة الله لم يخرج عن طاعتك ، فينبغى عليك أن لاتفعل شيئاً يؤدى إلى تدميره ، أما إذا كان ميرزا محمد مجذوبا أو مجنونا ، فهو على كل حال مرتبط بك . فلا ينبغى التشدد ، فإذا كان الله تعالى قد أعطاك قوة من قوته فى مملكة إيران ، فينبغى أن تَجْهَد فى قضاء حاجات عباده ، فإن هذا دليل على شكر النعمة ، افعل مع خلق الله ماتريد أن يفعله الله معك .

ماذا حدث لميرزا فاضل.. ماشاء الله.. إنه لايكتب أى خطاب..

أبلغ السلام إلى الحاج محمد إبراهيم وسائر الخاصة المحيطين بك .

والسلام

صديقك

جمال الدين الحسينى

٧ ـ خطاب من جمال الدين إلى محمد حسن أمين الضرب :

وهو مكتوب بالفارسية فى بطرسبورج فى ■ سبتمبر ■ وترجمته العربية فيما يلى :

■ بطرسبورج ■ سبتمبر

جناب المبجل المكرم الحاج محمد حسن أمين الضرب ، أسأل الله أن يكون لابسا دائما لباس الإسلام فى هذا الزمان ـ وهو آخر الزمان ـ فهو زمان الفساد والخراب ... كما أسأله تعالى أن تكون مظهرا لعجائب قدرة الحق .. لن أكتب فى هذا الخطاب إلا بضع كلمات .. إذا لم يكن قلبك قد تغير ، وفكرك قد تبدل ، أرجو أن ترسل فى أسرع وقت ممكن مبلغ الخمسة آلاف من الذى كنت قد حولته قبل ذلك لميرزا على ليوصله إلىّ ، وأنا لم أقبل فى ذلك الوقت فحول الآن بدله مبلغ خمسة آلاف إلى محمد جواد ليعطيها لى فى بطرسبورج ■ وأنا سأرد لك هذا المبلغ لامحالة ، وأقول لك إذا كان لديك قلق أو اضطراب من تحويل المبلغ ■ أو ظننت أن هذا ينقص من قدرك ، فلا تحوله ، فمقصودى أن تحوله وأنت فى غاية السرور وانشراح الصدر

والسلام

صديقك

جمال الدين الحسينى

٨ ـ خطاب من جمال الدين إلى محمد حسن أمين الضرب :

وهو مكتوب بالفارسية فى مدينة بطرسبورج الروسية فى فندق جراند هوتل فى ٣ نوفمبر وترجمته العربية فيما يلى :

« بطرسبورج جراند هوتل ٣ نوفمبر

جناب الصديق الصميم الغيور ، والمقدام الجسور ، الحاج محمد حسن أمين الضرب .. جعله الله فى سلامة ...

وصلت خطاباتك كلها ، وسررت كثيراً من سير وسلوك عقلك الفطرى ، فى عالم الآفاق والأنفس ، ومن ملاحظاتك الدقيقة فى تطورات الوجود ..

ومما لاشك فيه أنه لاينبغى على إنسان يوصف بالإنسانية أن يعيش فى هذا العالم

مثل الحيوان غافلاً عن كل شيء ، وأن لا يقرأ أية كلمة من كتاب الله الذى هو العالم ، أما ماكتبته عن ميرزا نعمة الله فإننى كنت أقبله لو أنك ـ منذ البداية ـ سمعت قولى وحاسبته أولا بأول ، أما الآن فلن أقبل منك أى شيء فى حقه ، أما بخصوص الأشياء الخاصة بالسكك الحديدية ، فإن السفير الموجود فى بطرسبورج يقول إن الحاج أمين الضرب لم يشتر شيئا خاصا بالسكك الحديدية .

وقد حقق وزير داخلية روسيا فى هذا الأمر ، وتأكد من صحته من بلجيكا ، ولهذا فإننى أتعجب كثيرا !...

أرجو أن يبلغ سلامى إلى فاضل كثيرا كثيرا ، وكذلك إلى الحاج محمد إبراهيم ، وسائر المحيطين .

والسلام

صديقك

جمال الدين الحسينى

٩ ـ خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب :

وهو مكتوب بالفارسية فى أول شهر يناير ، فى مدينة بطرسبورج ، وترجمته العربية فيما يلى :

«جناب المبجل المكرم الحاج محمد حسن أمين الضرب .. أسأل الله أن يكون دائماً مظهراً لعنايات الحق الخاصة ، وأن يكون سعيدا ...

إن أى شخص لا يستطيع أن يدّعى فى أى أمر من الأمور أنه يستطيع القيام به ، على الوجه الأكمل ، اللهم إلا إذا ظن أن الاعتراف بالتقصير سيعرضه لضرر لاحق ، أو يضيع عليه مجهودا سابقا... هذه هى فطرة الإنسان ، فالشيء الذى لاثمن له ـ حتى ولو كان ماء الحياة ـ لاقيمة له .

والشخص الأمين ـ مهما كان متدينا ـ لن يهتم كثيرا بصيانة الأمانة كما يهتم بصيانة ماله ، ولن يحزن على فقد مال الغير كما يحزن على فقد ماله ، هذه طبيعة البشر... والخادم ـ مهما كان صادقا ـ لا يحفظ مال سيده كما يحفظه السيد نفسه... نعم... اللهم إلا إذا كان فى عدم الرعاية الكافية ضررا يصيبه.. هذه هى

فطرة بنى آدم.. فإذا أراد شخص أن يبرىء نفسه من نقائص الإهمال والتفريط فى حقوق البشر وينزهها ، وأن يجبر الطبيعة على القيام بهذه الواجبات ، وأن يلزم النفس بالتسابق والمسارعة إلى أدائها ، ويجب أن يقدم الدليل على ذلك.. لهذا ينبغى عليك أن لاتقصر فى تمهيد سبل الحق ، وأن لاتتساهل فى تهيئة الأسباب لأداء هذه الواجبات ، لقد قدمت لى خمسة آلاف من فى صورة رهن ، والحاصل أننى أخذت كذلك مبلغ ألفين من محمد جواد ، فالشكر لكم والجزاء لكم من الله ، فهذا دين فى ذمتى وسيؤدى لكم .

وقد كتبت فى موضوع ميرزا نعمة الله فى خطابى السابق ، ولاشك فى أنه وصلك .

مبروك أقولها لفاضل ، لأنه أرسل خطابا ، فقولوا له كلمة مبروك وأتمنى أن يكون هذا خيرا وبركة له .

وأبلغوا السلام للحاج محمد إبراهيم

والسلام ،

صديقك

جمال الدين الحسينى

كان جناب السيد أمين السلطان قد كتب أنه فى أى وقت يأتى إليه ميرزا أبو تراب الساوجى ، فإنه سينظر إليه بنظر العناية ، وقد كتبت له خطابا يخيل إلى أنه وصله ، فلو طلبت من أحد خدامك أن يذهب إلى ابن المرحوم الحاج سيد صادق ويستفسر عنه ، ويخبره بما ذكرت ، أكون ممنونا جدا وشاكرا جدا .

١٠ ـ خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب :

وهو مكتوب بالفارسية فى ٣ مارس وترجمته العربية فيما يلى :

« ـــــ ٣ مارس

جناب المبجل المكرم الحاج محمد حسن أمين دار الضرب السلطانية

جعله الله ـ دائما ـ سعيدا مسرورا .

وصل خطابكم الذى كنت قد التمست فيه حصول فرصة للعتاب .. ياجناب

الحاج إن كل ماقلته وأقوله وفعلته وأفعله ، جميعه ، خالص وصادق من أجل خدمة الأمة المحمدية وخيرها ، وليست لأنانيتي صلة به ولا دخل فيه ، وإذا كان المنافقون فى إيران عند العمى والصم الذين لم يسمعوا شيئا ، ولم يروا شيئا قد أنكروا على ذلك ، فالأمل أنك بينك وبين نفسك تعترف بأننى صادق فيما أقول ، وحيث إن الله تعالى كان مطلعا على حقيقة فعلى وسلوكى ، لهذا فإن الدولة العثمانية بعد ستة أشهر من المخالفة والصراع معي ، قطعت أذنها وأنفها ، وكسرت ظهرها ـأى استسلمت ـ وبعد أن مزقت ملك خديوى مصر قطعة قطعة ، وضعت قدم الإنجليز على حلقه ، وعما قريب ينقطع نفسه ، وشردت شير على خان وعائلته.. والآن أقول إن إيران لو أصرت على ذنبها ، ولم تتب ، فإن الله تعالى ـ وإن كان قد قطع أذنها وأنفها بسبب ذنوبها السابقة ـ سيقطع رأسها الآن ويجعل لحمها طعاما للنسور والعقبان ، ولن يمر زمن طويل حتى يحدث هذا ، فالله تعالى مستاء من هذه الأعمال الجاهلية ، ومن هذه الرسوم الوحشية التى تضع على رأسها عمامة الإسلام والدين ، لهذا فأنا أقول جهارا وسيرى العالم ـأيضا ـ عن قريب صدق ماأقول .

وقد كتبتم أنه بعد وصولى إلى طهران سيكون الخير جاهزا وحاضرا ، أيها الحاج العزيز.. أى شيء سيكون حاضرا ؟ وأى خير سيكون جاهزا ؟!... أنا لاأريد أن أصير صدرا أعظم.. أنا لاأريد أن أصير وزيرا... أنا لاأريد أن أصير من أركان الدولة... أنا لاأريد مرتبا ومخصصات ، أنا لاأريد وظيفة.. أنا لازوجة لى ولا أولاد.. أنا لاأملاك لى ولاأريد أن تكون لى أملاك.. إذن فأى شيء يكون حاضرا وجاهزا ؟!...

ياجناب الحاج .. إن كثيرا من الأشخاص قد وصلوا ـــ بواسطتى ـــ إلى رتبة البكوية والباشوية ، وكثيرا من الأشخاص ـبواسطتى ـ قد وصلوا إلى مرتبات ومخصصات هائلة ، ولكنى بقيت فى وضع واحد ، وسأبقى فى هذا الوضع ، فليس لى هدف غير النصيحة والإصلاح ، وإن الشيء الذى غير قلب الشاه إذا لم يكن الدرويش الإصفهانى فإنه الدرويش الطهرانى.. إنه ذلك الزنيم الذى حاول إرضاء الشاه ، وذلك العتل الذى أهمل فى أداء واجبه ، والله تعالى يعلم أكثر من أى شخص.. إن الإنسان قد لايستطيع كشف الحقائق وهو حى ، ولكن جزاء

جميع الأفعال في الدنيا وفي الآخرة في يد الحق..

وقد كتبت أن جنابك الأجل الأفخم قد وصل إلى أعلى سلطة يمكن بواسطتها نفع الخلق.. إن هذا أمر يبعث مسرتنا وسعادتنا ، فإذا كان غضبي من أجل خير العباد عموما ، فإنه من غير شك خير وبركة ، لأن يدى إذا لم تتحرك من أجل إسعاد الخلق فخير لها أن تشل ، ورجلي إذا لم تتقدم لإنقاذ الأمة المحمدية فلتكسر ، هذا مذهبي وهذا مشربي ، وآمل أن يتحرك جنابكم الأجل بكل ماأوتى من قوة واقتدار ، ويجتهد في إنقاذ الإيرانيين المساكين البائسين وتحقيق الخير لهم .

أما ميرزا نعمة الله فقد أرسل لي صورة الخطاب الذى كنت قد أرسلته لكم ، وهو لن يقبل ـ قطعا ـ أي عرض من العروض الثلاثة التي كنتم قد عرضتموها عليه ، وأعتقد أنكم لن تحيدوا عن جادة العدل والإنصاف

لم تكتبوا شيئا عن فاضل .

أبلغ سلامي إلى جميع أهل منزلكم والمحيطين بكم والحاج محمد إبراهيم ، وأسأل الله أن يجعل النار المحرقة في برزخ هذه الدنيا بردا وسلاما عليكم بعناية الله القيوم .

بلغ سلاما خاصا إلى جناب ميرزا خليل ، وكيف حال عبد الغفور ؟

والسلام

جمال الدين الحسيني

١١ ـ خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب :

وهو مكتوب باللغة الفارسية في بطرسبورج في يوم ١٠ مايو ، وترجمته العربية فيما يلي :

«بطرسبورج ١٠ مايو

جناب المبجل المكرم الحاج محمد حسن أمين دار الضرب السلطانية... جعله الله دائما سعيدا مصونا محفوظا من المصائب والآلام الفجائية.. إذا كنت تعدني صديقا فإنه يخيل إليك أنني لم أخطىء خطأ عظيما ، (والإنسان ليس خاليا من الخطأ)

وللمحبة لوازم كثيرة ، وحقيقة إن الشخص الذى لا يعد صديقه مثل نفسه ، ولا يجتهد فى مراعاة حقوقه ، فإنه لا يعد صديقا ، بل إن هذا النوع من الأشخاص يسمى معرفة ، لأن الصديق يكون قرينا للصديق ، لهذا أقول إن جناب ميرزا جعفر خان قنصل (مكاريه) صديقى ، وفضلاً عن رفعته فإن قلبه مطهر وأخلاقه مستقيمة ، وأنت تعلم أن مثل هذا الشخص فى هذا الزمان ـ الذى هو آخر الزمان ـ نادر ، وهو فى هذه الأيام مسافر إلى طهران ، ولا بد أنكم ستحترمونه بمجرد وصوله إلى طهران ، وأرجو أن ترسلوا خطاب جناب الأجل الأفخم أمين السلطان إليه ، وهو موضوع فى المظروف مع خطابكم ، وسيكتب فاضل خطاباً مفصلاً

والسلام عليك وعلى أهل بيتك ، وجميع أتباعك الخالصين .

والسلام

صديقك

جمال الدين الحسينى

١٢ ـ خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب :

وهو مكتوب بالفارسية فى بطرسبورج فى يوم ٣ يولية وترجمته العربية فيما يلى

بطرسبورج ...٣ يولية

جناب المبجل المكرم الحاج محمد حسين أمين الضرب .. ظل دائماً موضع العنايات الإلهية الخاصة ، ومظهر الفيوضات الربانية ، ودام مسرورا... آمين .

بعد أن كتبت لك خطابا ، وصلت ورقة منكم ولم يكن الفرق بين إرسال الخطاب ووصول الورقة أكثر من خمس ساعات .

إن خيرات هذه البلاد ـ على اختلاف أنواعها ـ تباع بالبخس ، غير أن هذه البلاد تلوث عقل الإنسان وروحه ونفسه الناطقة ، لأن هؤلاء المساكين يحتاجون إلى الكذب بسبب تضارب الآراء الفاسدة ، وتلاطم أطماع الكاسدة ، وهيجان الأخلاق الرديئة للأبالسة ، ويستعملون التدليس والتزوير والمكر والخديعة ، وينحرفون عن الطريق المستقيم ، ويعملون ما هو ضد فطرتهم الطاهرة ، وجناب الحاج لو نظر فى نفسه لوجد نفس هذه الأشياء له مع أنك طالب للصلاح والفلاح ، وفى أصل

الفطرة أفضل من جميع الإيرانيين فى نظرى ، ولكن (لا توجد وسيلة ، فماذا ينبغى عمله) .

ولكن من الممكن أن حقيقة الحال تلتبس على الإنسان قليلا قليلا ، فيعد القبيح حسنا (نعوذ بالله) .

وكنت قد كتبت أن أذهب إلى مشهد وأعلم الناس العلم (حسن جدا) ولكن فى المملكة التى يروجون فيها الكذب ، ويعدون الكذب إخلاصاً وغنيمةً ، ويباهون بهذه الصفات الشيطانية فى المحافل والمجامع ، ويمتدحون أنفسهم بالذكاء والمهارة .

صعب جداً قول الحق وتعلم حقيقة العلم ، خصوصاً وأنت تلبس لباس العلماء ، وأنت أعمى تظن نفسك بصيرا .

ومع كل هذا أعتقد أنك فى بضعة الأشهر التى كنا فيها معاً ليلا ونهارا ، وفى كل ساعة قد عرفتنى بفطنتك الفطرية ، وبنور الإيمان ، وعلمت أننى حيثما أكون فى هذا العالم فى الغرب أو فى الشرق ، لاهدف لى غير السعى لإصلاح دنيا المسلمين وآخرتهم ، وأقصى آمالى أن يراق دمى فى هذا الطريق مثل شهداء الصالحين ، ولكنى مجبور فى حركاتى ، ولا أستطيع أن أبتعد عن طريق الإرادة الإلهية .

ولنترك هذه المسألة

(فى وقت وصول الموكب السلطانى المبارك) أرسلت إلى أحد الأصدقاء بطاقة على طريق الفرنجة ، وقابلت أمين الدولة ، وفخر الدولة ، واعتماد الدولة كما تعلمون ، فلما حددوا لى وقتا كتبت ورقة لأمين السلطان ورجوته أن يعين وقتا لمقابلته ، وبينت فى الورقة أننى أريد فى هذه الفرصة أن أكشف كذب الكذابين بالبرهان الواضح فقال لرافع الورقة إن الرد بعد ثلاث ساعات ، وكان كلما خرج من حجرته ـ كل نصف ساعة ـ يقول لرافع الورقة : ساعطيك ردى الآن كتابة (وفى النهاية يئس رافع الورقة فرجع) .

إن السبب كثرة الأعمال أو الوساوس الشيطانية ، ومهما يكن من شىء فلك أن تتصور السبب (ويد الله فوق أيديهم) .

وقد كتبت أننى طفت بالعالم من الغرب إلى الشرق ، ومن الشرق إلى الغرب ، ولكن بعض رجال دولة روسيا طلبوا منى أن أقيم بعض الوقت فيها ، حتى تظهر

نتيجة الزيارة الملكية المباركة للندن ، ولهذا بقيت هنا ، وسأبقى فى هذه المدينة بعض الوقت ، ولو كتبت جواب الخطاب وأرسلته إلى هنا (يعنى بطرسبورج) فسوف يصل إلىَّ .

على كل حال أرجو أن تكـون سعيدا مسرورا .

والسـلام

صديقك

جمال الدين الحسينى

كتب الحاج سياح خطابا موجزا جدا ، ولا أعلم ماذا فعل معك ، وماذا قال لك ؟!... ويبدو يقينا أنه كتب خطابه فى صورة سؤال وجواب ، حتى يستطيع أن يستخلص مايريد من المضامين ، ولكن الإنسان مهما عاش فى هذه الدنيا ، حتى ولو عاش ألف عام أو أكثر من ذلك ، فإنه لايستطيع أن يأخذ من الدنيا أكثر من نصيبه ، وأرجو أن تكون حياتك أفضل من حياتى ، وأن تتذكر دائما أن الله جل وعلا جعل تمنى الموت من علامات صدق الإيمان .

١٣ ـ خطاب من جمال الدين إلى الحاج أمين الضرب :

وهو خطاب باللغة الفارسية ، مكتوب فى مدينة كرمانشاه الإيرانية ، وترجمته العربية كالتالى :

« كرمانشاه ...

جناب نير الفؤاد الحاج محمد حسن أمين الضرب ، ثبت الله قلبه على الحق والسلام ...

لقد كانت هذه الواقعة المهولة من أجل أن يعلم المسلمون فى إيران إلى أى حد أنا ثابت ومصمم على إصلاح حالتهم من الناحيتين الصورية والمعنوية (وإن شاء الله الرحمن سأظل ثابتا حتى أصل إلى الهدف المقصود ، وحتى يشاهد ضعيفو الإيمان العدل الإلهى فى الظالمين فيما بعد ، ويبصروا بأعينهم جزاء الظالمين فى المستقبل ، فمن الجائز أن يقوى إيمانهم ، ويرجعوا إلى الحق .

وسأكتب فيما بعد تفصيلاً للحادثة ، وأنواع الظلم التى ارتكبها سلالة أشقياء

الكوفة والشام فيما بعد ، والشيء الآخر أن جناب حسام الملك والى كرمانشان أظهر قدرا كبيرا من الود والرعاية ، مع أنه لم يكن يعرف اسمى بحيث أستطيع أن أقول إننى رأيت فى إيران شخصا مثلكم طاهر الفطرة .

أبلغ ملك التجار سلامى ، ولاتنس إبلاغ سلامى إلى فاضل ، والآن نكتفى بهذا القدر .

والسلام

جمال الدين الحسينى

الحق الحق أن ملا على منذ يوم وصولى وهو فى خدمتى ، أسأل الله أن يوفقه ، وأرجو أن تكرموه .

١٤ ــ خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب :

وهو مكتوب باللغة الفارسية فى مدينة كرمانشاه فى ١٣ جمادى الثانية ، وترجمته بالعربية كالتالى :

«كرمانشاه ... ١٣ جمادى الثانية

جناب نير الفؤاد الحاج محمد حسن أمين الضرب ، لازال ثابتا على سبيل الرشاد والسلام...

فى يوم الخميس فى محلة حضرة عبد العظيم[1] هجم عشرون شخصاً من الجلادين من فراشى عمُر سعد (مختارخان) وكنت من المرض غير قادر على الحركة ، وكنت فى منزل معين التجار ، فسحبونى بعنف وأصابنى غضب وهياج شديد من هذا الأسلوب الذى يعكس حقد وضغينة جند ابن زياد[2] ، وحينما تصورت أن يكون فى قلب أهل محلة عبد العظيم بقية من إسلام تدفعهم إلى حمايتى بفضل غيرتهم الدينية ، كظمت غيظى (بينما هذا التصور باطل ، وهذا الفكر

(١) قرية بالقرب من طهران اسمها الرى فيها قبر أحد أبناء آل البيت واسمه عبد العظيم .

(٢) يشير إلى ابن زياد قائد الجيش الأموى الذى قتل الحسين فى كربلاء وهذه الإشارة تثبت أن جمال الدين شيعى ، فهذا أسلوب الشيعة عند ذكر ابن زياد .

محال ، لأن الإسلام والدين ، والغيرة والحمية ، قد زالت جميعها منذ مدة طويلة كما سبق أن قلت) .

وقد حملونى بسرعة وسحبونى بشدة ، حتى إن زرار قبائى وقميصى قد ضغطوا عليها حتى كاد نفسى ينقطع ، فسقطت على الأرض ، وبعد ذلك لم أشعر بأية صورة حملونى إلى دار الإمارة عند عمر سعد ، وبقيت مدة أربع ساعات لا أعرف أين أكون ، فلما رجعت إلى وعي ، رأيت عمر سعد أمامى وهو عميد من الفرسان كان يراقب المنزل وشهرته حسن خان القزوينى ، وظللت مدة ثلاث ساعات بلا عمامة ولا رداء ، وكنت أشرب الماء باستمرار ، لأن الحرارة اشتعلت فى جوفى بشدة بعد حبس نفسى ، وقد ظلت هذه الحالة عندى حتى وصلت كرمانشاه فكنت أشرب الماء أربعين مرة فى اليوم الواحد ، وطلب منه أن أغادر كرمانشاه ، ولم يكن قد بقى على الغروب أكثر من ساعتين ، وكان يجب على أن أركب وأرحل ، وفى تلك الأثناء قلت لمختار خان أحضروا لى حقيبتى التى بها قليل من المال فثار وذهب ولم يعطوا لى حقيبتى التى بها بعض المال وبعض الكتب والأوراق ، ومهما قلت لجنوده أخبروه ليسلم لى الحقيبة لم يخبروه ، وقالوا فى آخر الأمر : اذهب ونحن نرسل لك الحقيبة إلى قم ، ثم أحضروا لى ربطة فيها ملابسى وأقلامى وأدوات الغليون ولكن أخذوا قلما وبعض أدوات الغليون وعصا أمام عينى فنهبوا هذه الأشياء التافهة فى حضورى ، كما سرقوا بعض أمتعتى ثم أركبونى وسار معى ثلاثون فارسا لمدة نصف ساعة ، ثم سلمونى إلى خمسة فرسان يرأسهم سنان بن عنس وهو عقيد يلقب حميد خان وكنت فى حالة شديدة من المرض وضيق النفس وارتفاع درجة الحرارة . وفى وسط الطريق نمت بدون غطاء ولا سروال بينما كان الجو شديد البرودة كثير الثلوج مع خشونة أخلاق الحراس وعدم إيمانهم وكنت أنام على لوح من الخشب ملىء بالقذارة والروائح الكريهة ، ولكم أن تتصوروا ما حدث لى نتيجة لهذا كله .

ومن العجائب أن جند ابن سعد سلبوا من جيبى ريالات قليلة كانت فيه ، ومن محلة حضرة عبد العظيم حتى كرمانشاه لم أذق طعم اللحم إلا مرة واحدة ، وكانت هذه المرة فى محلة دستكرد فقد كان من المصادفات العجيبة أننى قابلت الحاج ناصر صدفة ، والحق أنه أظهر كمال الصفات ، وكان عنده حصان فأراد أن

يعطيني إياه بنية خالصة ، ولكنى لم أقبل – أسأل الله أن يكون فى عونه – وأنا أكتب هذا لتعلموا المصائب التى أصابتنى وحطت على بدنى ، ولكن روحى كانت سعيدة – برغم كل هذا – وستظل سعيدة ، ومن غير شك فإن بعض الإيرانيين العقلاء يعلمون أننى ما جئت إلا لإصلاح أحوالهم الصورية والمعنوية ، وسأتحمل وأثبت إلى أقصى درجة ممكنة ، وأنا أقول هذا لا لكسب الوقت ولكنى أسأل الله أن يجعل هذه الحادثة المهولة من أسباب فوزى ، وأن يحقق أهدافى العالية وأن يضيء القلوب الطاهرة بنور الإيمان .... آمين .

وقد قرأت الخطاب الذى كنت قد أرسلته إلى محمد علي ، ولم أشك وقتا ما فى صفاء روحك ، وفى نقاء نفسك ، وفى علو سجاياك منذ أول يوم قابلتكم فيه ، وجزاء شكركم وثوابكم من الله . أبلغ محمد على أنه مادام ملا على – دائما – جاهزا للخدمة فإن كل شيء يلزم سيؤخذ منه .

ومازال جناب حسام الملك حتى الآن مجاملا ، والحق أن هذا عجيب أيضا .. وأنا الآن مريض ولذلك لم يتحدث عن رحيلى ، وأدعو الله أن لا يصيبكم نقص فى عزمكم أو فى إيمانكم ، بل يجب أن تحدث مثل هذه الواقعة المهولة بعد ذلك مرة أخرى لأن عجائب القدرة الإلهية تشاهد على الدوام من أعداء الدين والدولة وهى تزيد فى درجات إيمانى وتجعلنى أشاهد عدل الله بعين التحقيق .

جاءنى وكيل الدولة وقال : إن كل ما تريده من الخيل والنقود أنا على استعداد لتقديمه .. فشكرته .. .

أخبر (محمد على) أنه كان يقول إن أمين الدولة كتب إلى مدير البريد أن يجهز لي كل ما يلزمنى ولكن كتابك لم يصلنى حتى الآن .

أبلغ الحاج ملك وفاضل سلامى .

والســـلام ....

جمال الدين الحسينى

١٥ – خطاب من جمال الدين إلى الحاج أمين الضرب :

وهو مكتوب بالفارسية فى يوم ٢٠ رجب وترجمته العربية فيما يلى :

« ٢٠ رجب
إلى نير الفؤاد جناب المبجل المكرم الحاج محمد حسن أمين الضرب .. جعله الله ظهيرا للحق حيث ظهر ، وأنّى برز .

متى رحم ابن زياد آل الرسول ؟! .. إن الذى يقطع رأس إنسان هل ينشغل بدفنه بالكفن ؟! .. إن الشخص الذى يقطع سلالة على ــ عليه السلام ــ وينصر مجنونا يعطى زادا وراحلة لذريته ؟! .. ﴿ ألا لعنة الله على الكاذبين ﴾ نعم .. إن وقائع الماضى تشبه أحداث الحاضر ، لأن الأشرار جميعا ــ ولو جاءوا إلى الدنيا فى أزمنة مختلفة ــ يخرجون من شجرة خبيثة ، وأعمالهم وأقوالهم تكون متشابهة متماثلة دائما ، والسنة الإلهية فى عالم الخلق تكون على نهج واحد دائما ، وستظل هكذا إلى الأبد .

والآن ينبغى أن ننتظر عجائب قدرة الله .. لقد قمت بأداء حق النصيحة الدينية ، وطرحت الخوف والجزع فى سلوك طريق الحق ولم أجعل لهما طريقا إلى نفسى ، ولم أتوقف عن إبداء النصح وقد فعل الأشقياء كل مايقدرون عليه ، يجب أن نرى ماذا سيفعل الله ، ومما لا شك فيه أن كل إنسان تكون نفسه ضعيفة وإيمانه واهنا يستطيع أن يتخيل أى نوع من الخيال ، ويستطيع أن يقول أى لون من الكلام ، ويستطيع أن يعطى أى نوع من التفسير كما فعل السابقون ، وكما قالوا وكما أعطوا ، ولكن واجب على رب العالم أن يزيل الباطل ويثبت الحق ويظهره ويعلنه بحجته القاطعة .. .

نعم إن الفتن والامتحانات كانت على الدوام بهذه الطرق ، وإلا كيف يكون تمييز الخبيث من الطيب ، وقد كانت المصاعب والمخاطر والمهلكات دائما فى سبيل تقويم البشر وتعديلهم ، وإلا فأى فضل للمعدلين ؟! ومما لا شك فيه أن الأشخاص الذين يقنعون من الإيمان بالألفاظ وقلبهم لا علم له بحقيقته ، ولا شغل لهم إلا بظاهر الحياة الدنيا ولذائذها يعدون هذا النوع من الأعمال جنونا ، ولكن إذا توهج نور العقل يوما ونوّر الإيمان الحقيقى الجوهرى منزل قلبهم فسوف يعلمون أن ذلك الخيال لم يكن سوى خطوات فى طريق أبى لهب وأبى جهل إلى حين موت هذا النوع من الخيال وأرجو أن يتحقق اللقاء .

سلامى إلى ملك التجار وسائر المتصلين بك .. والسلام .

جمال الدين الحسينى

أنا الآن فى بغداد فى باب الله أغا (عقد الصفافير) فى خان الحاج عبدالصمد الإصفهانى .

١٦ - خطاب من جمال الدين إلى أمين الضرب :

وهو مكتوب بالفارسية فى شهر شوال وترجمته العربية فيما يلى :

« شوال ....

نيّر الفؤاد الجناب المبجل المكرم الحاج محمد حسن أمين الضرب
نجاه الله من شرك الأوهام .... آمين

كما أن كل إنسان يستعمل حذقه فى مصالحه الدنيوية الخاصة ولا يتوانى فى التفكر فى دراسة أطراف الأمور وجوانبها ، ويجعل نفسه هدفا لجلب المنافع ودفع المضار وأصناف المصائب والبلايا ، ويتحمل أنواع الإهانات وألوان التحقير حتى يصل إلى هدفه المقصود أولا يصل ، فإن الإنسان ينبغى عليه كذلك أن يتذوق حلاوة الإيمان وأن يكون عنده يقين بحق الحقيقة ، وألا يقصر فى أداء الفروض الإلهية والواجبات الدينية حتى يدفع الآلام والأسقام عن نفسه ويبادر بتأدية كلمة الحق والقيام بأداء الأوامر الإلهية ، وأن لا يفكر فيما قد يصيبه من النكبات ومن كوارث الدهر ، فإذا آمن بالتفويض فى البداية وأحال الأمر إلى القضاء والقدر بعد ذلك نجا ، وإذا تواكل فإنه ينحرف عن صراط الله المستقيم ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ﴾ فإذا نظر الإنسان بنور البصيرة ، فإن الخسارة على رقعة الشطرنج هى عين الكسب والهزيمة مثل النصر (درع الأنبياء الأعلام الابتلاء والألم) وإن شاء الله الرحمن سوف تستفيد من كلمات العظماء أكثر من السابق .

وأحب أن أقول لك بعد ذلك إن أشقياء إيران لم يدعونى أعيش فى بغداد ، فأنا الآن فى البصرة ، وطريق نجد ومكة والمدينة مفتوح أمامى ، وعربان نجد يدعوننى إلى أن أذهب إلى نجد ويتحدثون عن طاعتهم لى ، ولكن المشورة لازمة ، وأرجو أن تكتبوا لى رأيكم وأن تكون كلماتكم من القلب ، وأنا على العموم مسرور وسعيد .

وإذا كنت قد أصلحت شأن معين التجار ونظرت إلىّ بعين العناية فأرجو أن تخبرنى بذلك فى ردك على خطابى ، حتى أسر بذلك .

بلغ سلامى لملك التجار والذين حوله ، واكتب لى آراءك وأفكارك وإذا كان أحد فى طهران له رأى فاكتبه لى ، وأنا لا أنسى (فاضل) ، جميع الطرق مفتوحة والبعض يرجون أن أذهب إلى الغرب .

جمال الدين الحسينى

نقد وتعليق :

بعد هذه الخطابات العديدة التى كتبها جمال الدين للحاج محمد حسن أمين الضرب ، والتى بلغت ستة عشر خطابا ـــ كما وردت فى هذه الوثائق ـــ اتضحت حقيقة جمال الدين اتضاحا جليا ، فلم يعد هناك لبس أو غموض يحيط بشخصيته أو بجنسيته أو بمذهبه الدينى .

فكما بينا – فى الجزء الأول من هذا الكتاب – كان أمين الضرب أحد كبار الموظفين الإيرانيين فى وزارة الخزانة ، وكان وثيق الصلة بناصر الدين شاه ملك إيران فى ذلك الوقت ، كما كان على صلة بجمال الدين إلى درجة أن جمال الدين كان ينزل ضيفا عليه .

ويستطيع الدارس لهذه الخطابات أن يستخلص منها مايلى :

أولا : أن جمال الدين إيرانى ما فى ذلك من شك – فقد ذكر فى أحد خطاباته أنه لا يطمع فى أن يكون صدرا أعظم أو وزيرا أو من أصحاب السلطان فى إيران ، أو أن يكون له مرتب ضخم ومخصصات كثيرة وإنما هدفه الإصلاح فقط وتحسين أحوال أفراد الشعب .

ومما لا شك فيه أن إنسانا لا يستطيع أن يتحدث بهذه الطريقة وبهذا الأسلوب إلا فى وطنه ، فلا يعقل أن يقول شخص غير إيرانى مثل هذا الكلام أو أن يتحدث بمثل هذا الأسلوب .

ثانيا : أن جمال الدين شيعي ، لأنه يذكر حادثة كربلاء واستشهاد الحسين بنفس الأسلوب الذى يتحدث به الشيعة ، فالحسين سيد الشهداء ، والاعتداء

على آل على اعتداء على الدين ، ويقول بعد ذكر الحسين أو علىّ عليه السلام كما يقول الشيعة .

كما يذكر يزيد بن معاوية وقواده باللعنة ، ويصفهم بأقبح الصفات كما يفعل الشيعة سواء بسواء ، وقد تحدث جمال الدين بهذا الأسلوب فى أكثر من خطاب مما يثبت أنه شيعى ، وأن توقيعه بجمال الدين الحسينى نابع من هذا الاعتقاد .

ثالثا : أن جمال الدين لم يكن على وفاق دائم مع محمد حسن أمين الضرب ، أو مع غيره من المسئولين الإيرانيين ، فقد انتقد جمال الدين فى كثير من خطاباته تصرف أمين الضرب مع ميرزا نعمة الله ، وطالبه بأن يحكم فى أمره بالحق والعدل ، وأن يراعى الله فى حكمه ، وأن يراقب الله فى كل أعماله ويخشى عقابه ويرجو ثوابه .

وواضح من لهجة جمال الدين فى خطاباته أن شخصيته قوية ، وأنه يستطيع أن يجهر برأيه فى الأمور التى تجرى فى داخل وطنه ، حتى ولو كان بعيدا عن الوطن .

رابعا : أن جمال الدين كان يتعرض للاضطهاد والإيذاء كلما زار إيران ، لأن بعض المنافسين له الحاقدين عليه كانوا يدسون له عند الشاه ، فيتغير رأيه فيه ويأمر بإخراجه من إيران ، وهذا – أيضا – يبين أنه إيرانى لأنه من غير المعقول أن يخشى المسئولون فى إيران رجلا أجنبيا ، ثم يسمحوا له بدخول إيران أكثر من مرة ثم يكشفوا حقيقته للسلطان العثمانى بعد ذلك ، كما اتهم بالاشتراك فى مؤامرة قتل ناصر الدين شاه – كما ذكرنا ذلك فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

خامسا : أن جمال الدين كان يقترض من أمين الضرب أحيانا ويعده بسداد ما اقترض ، وهذا دليل على أنه إيرانى ، لأنه لا يعقل ولا يتفق مع المنطق أن يطلب إنسان قرضا من موظف كبير فى بلد ما إلا إذا كان من أهل البلد نفسه ، ولا يعقل ولا يتفق مع المنطق السليم – كذلك – أن يرسل مسئول إيرانى مبلغا من المال إلى رجل أجنبى إلا إذا كان عميلا له ، ولا يبدو من أسلوب الخطابات أن جمال الدين كان عميلا ، لأن العميل الذى يقبض ثمن عمالته لا ينتقد ولا يوجه ، وينصح ولا يعترض على تصرفات المسئولين ، وإنما يتلقى الأوامر والتعليمات وينفذها .

ولهذا لا يمكن أن يكون جمال الدين عميلا يعمل لحساب أمين الضرب ويقبض أجر عمالته ، بل من الثابت أنه إيرانى ، لأن خطاباته إلى أمين الضرب تثبت أنه أكبر حجما وأقوى شخصية من أمين الضرب . ولهذا كان أسلوبه فى الخطابات – التى عرضناها – أسلوب رجل أعلى يخاطب رجلا أدنى .

سادسا : أن جمال الدين كان يقوم باتصالات فى روسيا القيصرية ، ويقابل المسئولين فيها ويتباحث معهم فى الأمور السياسية ، ولا يعقل أن يقوم بهذه الأعمال من تلقاء نفسه أو بدون أن تكون له صفة مايتعامل بها ، ولابد أنه كان مكلفا بالقيام بهذا النشاط السياسى .

ومن المرجح أن المسئولين فى إيران كانوا يحاولون الاستفادة من شخصية جمال الدين العالمية ، بأن يكلفوه بالتوسط لدى الروس أحيانا ولدى الإنجليز أحيانا أخرى ، لحل بعض الأمور المعقدة التى تهم إيران .

ونعرض الآن رسائل جمال الدين إلى شخصيات أخرى حتى تزداد الحقيقة وضوحا وجلاء والله ولى التوفيق .

ثانيا : خطابات جمال الدين إلى محمد جواد :

١ – **الخطاب الأول** : وهو مكتوب باللغة العربية فى ٣٠ أبريل – الموافق شهر شعبان – ونصه كالتالى :

«حبيبى الفاضل ....

جاءنى منك كتاب سلكت فيه المسلك القديم ، كأنك أخذت على نفسك أن لا تغير عادة ولا تبدل مشربا ، فما كان عليك أن تبث فيه خطرات قلبك ، وتنوعات حالات نفسك ، وتحولات قوى عقلك ، حتى يكون كتابك مرآة تحاكى ما تمثلت به فى طى قناطر الحوادث التى طرأت عليك فى مدارج السن ، أفما كان عليك أن تبسط ما ترى عليه عالم دهرك بعد رشدك ، هلا تغير نظرك ؟!.. هلا رأيت من الناس ماكان مخفياً عليك من قبل ؟! وكيف ذهلت عن

بيان أفكار ساكنيك فى موطنك ؟! .. وكيف صمت عن ذكر وقائع الدهر وحوادث الزمان .. وأنا كنت أعلمك طرز تحرير الوقائع ليوم كهذا ، تبين فيه ماأنت عليه ، وما عليه عالم دهرك وتسلم على والدتك المحترمة .

والســـــلام

جمال الدين الحسينى

٢ - **الخطاب الثانى** :وهو مكتوب باللغة الفارسية فى فندق جراند هوتل فى مدينة بطر سبرج الروسية ، وترجمته العربية فيمايلى :

« بطرسبورج .... جراند هوتل

حبيبى اللبيب جناب السيد محمد جواد ... دام سالما

وصلت بحمد الله إلى مدينة بطرسبورج وبعد أن مكثت يومين فى فندق يورب انتقلت إلى فندق جراند هوتل ، وقد قابلت « بابادانوف » وزير الدين والأمور الخاصة بالقيصر ومحل أسراره .

أبلغ سلامى الكثير إلى الحاج محمد مهدى وكذلك إلى الحاج نصر الله وإلى ميرزا حسين والحاج أبى طالب .

والســـــلام

صديقك

جمال الدين الحسينى

٣ - **الخطاب الثالث** : وهو مكتوب بالفارسية فى ٢ أكتوبر ١٨٨٨ م الموافق ٢٦ المحرم ١٣٠٦ هـ وترجمته العربية فيما يلى :

« ٢ أكتوبر ١٨٨٨ م

حبيبى .. لتكن دائما مسرورا سعيدا ...

وصلنى خطابك .. ولكن الخطاب الذى أعطيتك لترسله إلى جناب الحاج أمين الضرب لم يصلنى رده حتى الآن . وعلى كل حال فقد سعدت بأن مسألة السكك الحديدية قد سويت بصورة ما - الحمد الله رب العالمين - لأنه بدون هذا

كانت الأعمال تتعقد كثيرا .

أبلغ سلامى إلى الحاج ، وقل له إننى أقضى أيامى فى غاية السرور والسعادة ، وجميع أمورى بحول الله ميسرة وستسمع نتائج هذا فى طهران ، لأننى ليس لى صديق كما تعلمون حتى أثنى على نفسى أمامه وأقول إننى فعلت كذا وسأفعل كذا ، ولن أكتب خطابا .

أبلغ سلامى إلى جميع الإيرانيين فى موسكو واحدا واحدا .

والســـلام

جمال الدين الحسينى

نقد وتعليق :

واضح من خطابات جمال الدين إلى محمد جواد الإصفهانى – وهو ابن خال الحاج محمد حسن أمين الضرب – أن جمال الدين كان يكلف بالقيام ببعض المهام ، فقد قابل أحد وزراء الروس المقربين إلى القيصر ، كما أظهر السرور بتسوية مسألة السكك الحديدية ، وقال إنه بدون هذه التسوية تتعقد الأمور كثيرا ، ثم قال إنه لايفتخر بأنه فعل كذا وسيفعل كذا وكذا حتى يظهر أهميته لأمين الضرب .

وهذا كله يدل على صلة جمال الدين بالمسئولين فى إيران واهتمامه بأمور وطنه الأصلى ، وحرصه على تسوية الأمور وحل المشاكل المعلقة بين وطنه إيران وروسيا القيصرية ، أو بين إيران وتركيا ، أو بين إيران وانجلترا ، كما لاحظنا فى خطاباته الكثيرة السابقة التى عرفناها من قبل .

وليس معقولا أن يهتم رجل مثل هذا الاهتمام بقضايا بلد غير بلده ، أو أن يتحمل الأذى والاضطهاد ليخدم بلدا غريبا عن بلده ، ولايمنعه الأذى عن مواصلة الاهتمام والاشتغال بقضايا هذا البلد .

ونعرض فيما يلى خطابات جمال الدين إلى شخصيات أخرى ، فلعل فيها مايزيد حقيقته وضوحا وثبوتا والله اهادى إلى طريق الرشاد .

خطابات جمال الدين إلى ملا محمد على :

١ - الخطاب الأول : وهو مكتوب بالفارسية فى بغداد فى ٢٠ رجب ١٣٠٨ هـ (١٨٩١ م) وترجمته العربية فيما يلى :

« ٢٠ رجب ....

إلى المحب ملك أهل الذوق والشهود جناب السيد محمد على - دام سالما -

لا تظن أننى لا أعرفك ، ولا أعلم خلوص قلبك وصفائه لا .. ليس الأمر هكذا .. فأنا بيقين أحبك ، وأستحسن استقامتك فى الأعمال ، وكم يتمنى قلبى أن يكون كثير مثلك من أصحاب القلوب الصافية فى دائرة جناب الحاج الذى هو فى الواقع الخادم الحقيقى للشعب والأمة .

والآن جواب خطاب الحاج لم أرسله إليك ، لأن الحاج نفسه كان قد كتب لى بأن أسلم على ملا على ، فأردت أن أرسل خطابا مستقلا إلى جناب الحاج وأن أرسله إليه وأن أبين فيه خدماتك الحسنة بالتفصيل ، ولكن نظرا لأننى كتبت خطابات كثيرة ، فلم تكن لى طاقة على كتابة المزيد ، فالتمس العذر ، وإن شاء الله الرحمن سأكتب فى البريد القادم ، وسأرسله إليك بأخبارى ولتعش سالما .

والســـــلام

بغداد درب باب الأغا سوق الصفافيرى - وأنا أقيم فى خان الحاج عبدالصمد الإصفهانى .

جمال الدين الحسينى

٢ - الخطاب الثانى : وهو مكتوب بالفارسية فى ١٥ من ذى الحجة سنة ١٣٠٨ هـ (١٨٩١ م) وترجمته الفارسية فيما يلى:

« ذو الحجـة ...

جناب المبجل المكرم الصديق ملا على صاحب دام فى سلامة .. .

وصل خطابك فسبب اضطراب خاطرى كثيرا .. إنك لم تكتب سبب قتل

ميرزا محمد رضا .. وقد سمعت فى هذا المكان أيضا أنهم قتلوا الحاج سياح .. وأنهم وجهوا التهمة إلى الحاج .. وأنهم وضعوا الكثيرين غيره فى السجن أرجو أن تكتب بسرعة تفصيل هذه الوقائع وأن تشرحها جيدا ، وماذا وقع فى دار الخلافة .

ولا شك فى أنك ستكتب – قطعا – تفصيل هذه الأحداث بسرعة .

والســـلام

جمال الدين الحسينى

نقد وتعليق :

واضح أن ملا محمد على الذى كتب له جمال الدين الخطابين المذكورين كان أحد رجال الحاج محمد حسن أمين الضرب المقربين ، مما جعل جمال الدين يوثق صلته به ، ويحاول أن يعرف منه تفاصيل بعض الأحداث .

وقد هزت جمال الدين أحداث القتل التى وقعت فى بلاده وعلى رأسها قتل الشاه ناصر الدين القاجارى ، فأراد أن يعرف تفاصيل هذه الأحداث ، خاصة وأن شائعات راجت بأن جمال الدين هو المدبر لاغتيال الشاه ناصر الدين .

وكان جمال الدين – كما يبدو من الخطاب الثانى – يريد أن يعرف وقع هذه الأحداث فى دار الخلافة حيث يوجد السلطان العثمانى خليفة المسلمين وأمير المؤمنين فى ذلك الوقت .

وقد وضحنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب أن جمال الدين انكشف أمره لدى السلطان العثمانى الذى عرف يقينا أنه إيرانى الأصل شيعى المذهب ، فكان هذا إيذانا بنهاية جمال الدين .

خطاب من الشاه إلى أمين السلطان :

تضم الوثائق التى نعرضها فى هذا الجزء من كتاب « حقيقة جمال الدين الأفغانى » خطابا من الشاه ناصر الدين القاجارى إلى أمين السلطان ، وهو خاص بجمال الدين .

والخطاب مكتوب بالفارسية بخط الشاه وترجمته العربية كالتالى :

« تحريرا فى ٢٣ من ذى القعدة الحرام سنة ١٣٠٧ هـ

جناب أمين السلطان

تقرر أن ترسلوا جمال الدين إلى الحاج محمد حسن فى قم ليقيم هناك ، فإذا كان لايزال موجودا فى طهران حتى الآن فاكتبوا ورقة إلى الحاج محمد حسن حتى يرسله إلى قم فورا . » .

نقد وتعليق :

هذا الخطاب الموجز الذى أرسله الشاه ناصر الدين إلى أحد رجاله لإبعاد جمال الدين إلى قم بعد أن خاف الشاه من وجوده فى العاصمة ، دليل على قوة نفوذ جمال الدين فى وطنه ، إذ من المستبعد أن يكون لشخص غريب فى دولة ما نفوذ وقوة يخشاهما رئيس هذه الدولة ، كما أن إرساله إلى قم بالذات دليل على أن جمال الدين شيعى ، لأن هذه المدينة تعد العاصمة الدينية لإيران ، حيث يقيم فيها الزعيم الدينى ، الذى يعد شيخ الإسلام فى إيران ، ومازال الزعيم الدينى للشيعة فى إيران يقيم فى قم إلى الآن بدليل أن آية الله الخمينى الزعيم الدينى فى الوقت الحاضر يقيم فى هذه المدينة

بقى أن نذكر أن الوثائق تتضمن فى الصفحات الأخيرة منها رسائل متبادلة بين رجال الشاه ناصر الدين القاجارى فيها إشارات إلى جمال الدين تدل على أنه كان شخصية لها وزن كبير فى إيران ، مما جعله هدفا للحساد والواشين الذين يخشون من وجوده ، فدسوا له عند الشاه ناصر الدين ، حتى اقنعوا هذا الملك بأن وجود جمال الدين فى طهران خطر على ملكه ، لأن جمال الدين قريب إلى قلوب أفراد الشعب الإيرانى ، مما يجعله شديد التأثير فيهم ، ولهذا فإن جمال الدين كان كلما زار إيران لا يستقر فيها طويلا ، ثم يخرج منها مطرودا بأمر الشاه ، وظل الأمر على هذا المنوال حتى قتل ناصر الدين ، فاتهم جمال الدين بالاشتراك فى مؤامرة قتل الشاه ، وكان هذا الاتهام كافيا لوضع نهاية لحياة جمال الدين ، فقد كشفت حكومة إيران حقيقة جمال الدين أمام السلطان العثمانى وأقنعته بأنه شيعى إيرانى يتخفى فى زى سنى أفغانى ، فدس رجال السلطان لجمال الدين السم فى الطعام وتخلصوا منه كما وضحنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

خاتمـــــة :

لعلنا وفقنا فى نشر هذه الوثائق الخاصة بجمال الدين الأفغانى ، وعرضها على المهتمين بدراسة هذا الرجل ، الذى لمع نجمه فى سماء كثير من الدول العربية والإسلامية ، وذاع صيته فى الشرق والغرب ، وقام بأدوار سياسية برغم أنه كان يبدو فى زى عالم من علماء المسلمين ، وداعية من كبار الداعين إلى الوحدة الإسلامية من أجل دفع الشعوب الإسلامية إلى التقدم فى طريق الحرية والرقى والازدهار .

وقد حرصنا على عرض الوثائق كما هى فى أصلها بخط صاحبها ، ثم عرض ترجمتها العربية ، حتى يستطيع أى دارس أن يستفيد منها ، كما أتبعنا الوثائق بالنقد والتعليق حتى تتضح معالمها ، ويتنبه الدارسون إلى مافيها ، ويشترك المهتمون بمعرفة حقيقة هذا الرجل فى دراسة الوثائق بتعمق ووعى للوصول إلى الحقيقة العلمية التى يمكن الاطمئنان إليها .

ونستطيع بعد كل ما قمنا به من عرض للوثائق ودراسة لها – ثم نقدها والتعليق عليها – أن نقول إن هذا كله جعلنا نصل إلى النتائج التالية :

أولا :أن جمال الدين كان إيرانى الأصل ، وأنه عبر عن هذا بوضوح فى أكثر من وثيقة واعترف بأن إيران وطنه ، وكان اهتمامه بمتابعة سير الأمور فى هذه البلاد ، وحرصه على الاتصال بكبار الرجال المحيطين بالشاه من أوضح الدلائل على أنه إيرانى ، لا ينسى بلده مهما اضطرته الظروف إلى تغيير شكله الظاهرى .

ثانيا : أن جمال الدين كان شيعيا إماميا ، وقد وضح مذهبه فى عدد من هذه الوثائق عند إشارته إلى مقتل الحسين بن على – رضى الله عنهما – وكذلك عند ذكره للأمويين ، مما جعله يحرص على أن يكون توقيعه : « جمال الدين الحسينى » .

وقد حاول جمال الدين أن يخفى هذه الحقيقة ولكن أمره افتضح فى النهاية .

ثالثا : أن أسلوب كتابة جمال الدين واللهجة التى استعملها من الأمور الدالة على أنه إيرانى ، لأن كل بلد لها لهجة تستعملها فى لغة الحديث ، وهذا أسلوب

تستعمله فى لغة الكتاب ، وقد استعمل جمال الدين بعض عبارات وأمثلة عامية فى خطاباته تدل على أنه إيرانى .

رابعا : أن حياة جمال الدين كانت حافلة بالأسرار ، مما جعل علامات الاستفهام تظهر فى كثير من مراحل حياته ، وقد ساعدت هذه الوثائق على معرفة هذه الأسرار والإجابة على الأسئلة التى كانت تثار فى أثناء مراحل حياة جمال الدين المختلفة .

والأمثلة على ماذكرناه كثيرة : منها عدم مهاجمته للإنجليز برغم أنهم كانوا أكثر المستعمرين خطرا على الدول العربية والإسلامية ، ومنها صداقته للمسئولين الإنجليز وبخاصة من حزب المحافظين ، ومنها عدم تعاطفه مع الزعيم المصرى أحمد عرابى ، ومنها القيام بمهمات معينة فى الهند وبلاد الأفغان بتكليف من المسئولين الإنجليز أحيانا ولولا الوثائق التى عرضناها ما اتضحت هذه الأمور جميعا .

خامسا : أن جمال الدين كان ماسونيا ، وكان حريصا على الالتحاق بطائفة الماسونية ، وكان عنده استعداد للتقدم تحت مظلة الماسونية حتى أصبح رئيسا لهذه الطائفة فى مصر ، مما يرجح أنه اتخذ الماسونية وسيلة لتحقيق مآربه والتوجه إلى الدول الأوربية ، وممارسة ألوان من النشاط السياسى فى هذه الدول .

ومن المعروف أن الماسونية من المذاهب الهدامة التى صدرها المستعمرون إلى بلاد المسلمين لبلبلة أفكارهم ، أى أنها كانت نوعا من الغزو الفكرى الذى أصاب بلاد المسلمين .

ولا شك أن فى انضمام جمال الدين إلى الماسونية ووصوله إلى أعلى المناصب فى هذه الجماعة يدل دلالة واضحة على أن جمال الدين كان له دور سياسى يفوق دوره الدينى فى ميدان الدعوة إلى توحيد صفوف المسلمين .

سادسا : دلت الوثائق كذلك على أن جمال الدين كان قوى الشخصية شديد التأثير على الذين يتصلون به من الأصدقاء والتلاميذ ، حتى إن المتصلين به كانوا يخطبون وده دائما ، وينافقونه ، ويراعون إذا غضب جمال الدين عليهم .

وقد استطاع جمال الدين بهذه الوسيلة أن يحقق نجاحا كبيرا فى نشر مبادئه وأفكاره وإقناع الناس بها .

سابعاً : كشفت الوثائق حقيقة بعض الشخصيات التى كانت لها صلة وثيقة بجمال الدين فى مصر مثل إبراهيم اللقانى والشيخ محمد عبده ورفاعة الطهطاوى .

فقد كان إبراهيم اللقانى والشيخ محمد عبده يشاركان جمال الدين أفكاره ، وانتسابه إلى الماسونية . ويخاطبان جمال الدين كما يخاطب العبد ربه ، بأسلوب كله نفاق ومداهنة لا تليق بهما ، فلا يتورعان عن الذم فى وطنهما مصر ، إذا تغير رأى جمال الدين فيها أو خرج منها مطروداً ، لافتضاح أمره بين طائفة الماسونية ، أما رفاعة الطهطاوى فقد أثبتت الوثائق أنه كان يستعمل الموظفين فى تأليف كتب أو تحقيقها ثم ينسب هذا العمل إلى نفسه ، وينشر الكتب على أنها من تأليفه وتحقيقه ، مما يعيب رفاعة الطهطاوى الذى مازال يتمتع بشهرة وسمعة طيبة بين المصريين على أنه من رواد النهضة العلمية الحديثة فى مصر .

ثامنا : كشفت الوثائق أن الأجانب الذين كانوا يعملون فى مصر فى أثناء وجود جمال الدين فيها لم يكونوا مخلصين لمصر ، فسواء أكانوا صحفيين أم تجارا أم يمارسون وظائف حساسة فى الدولة فإنهم كانوا ممالئين للخديوى إلى جانب كونهم عملاء للمستعمرين أى أنهم كانوا يراعون مصالحهم الشخصية ، ويفضلونها على مصلحة الدولة التى يعيشون فى كنفها ، ويكتسبون جنسيتها .

وصفوة القول أن الوثائق التى وفقنا إلى عرضها على المهتمين بدراسة جمال الدين المعروف بالأفغانى ، والراغبين فى معرفة حقيقته معرفة يقينية ، قد كشفت أمورا عديدة ، وألقت الأضواء على أحداث فترة من فترات تاريخ الشرق الإسلامى الحديث كانت زاخرة بالأحداث العالمية ، لأنها شهدت تنافسا واضحا بين انجلترا وفرنسا أكبر دولتين استعماريتين فى ذلك الوقت ، إلى جانب محاولات مستمرة من روسيا القيصرية للسيطرة على أفغانستان وإيران والوصول إلى المياه الدافئة .

ومازال الصراع قائما بين الدول الطامعة فى بلاد المسلمين إلى يومنا هذا ، مما يحتاج إلى يقظة إسلامية واعية تنقذ بلاد المسلمين من كيد الطامعين ، مع تأييد من رب العالمين .

ونرجو أن نكون قد وفقنا ـــ بعد عرض هذه الوثائق ـــ فى كشف حقيقة جمال الدين الأفغانى .

ونحن نرحب بكل نقد بناء يزيد الحقيقة وضوحا وجلاء ، حتى نصل جميعا إلى الهدف المنشود .

والله ولى التوفيق

وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

ملحق
مجموعة الصور والوثائق
المترجمة بالكتاب

(أ) ترجمة هذا الخطاب من ص ١٤ إلى ص ١٩ فى القسم العربى

(أ) ترجمة هذا الخطاب من ص ١٤ إلى ص ١٩ فى القسم العربى

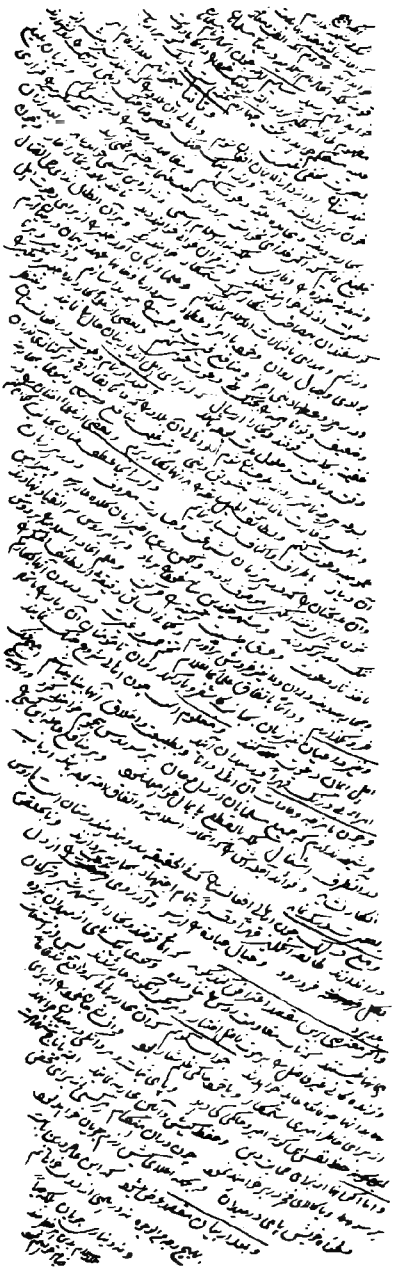

(ب) ترجمة هذا الخطاب من ص ٢٢ إلى ص ٢٧ من القسم العربى وهو يضم التصاوير من ٢٨ إلى ٣١

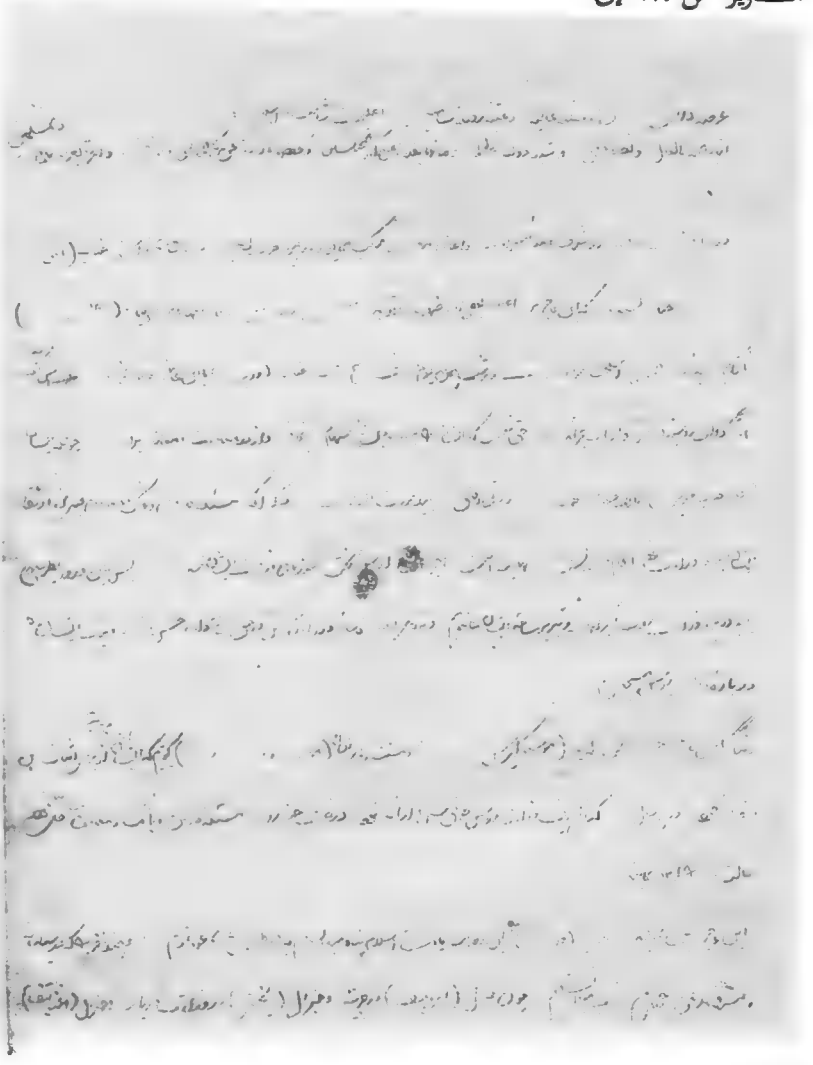

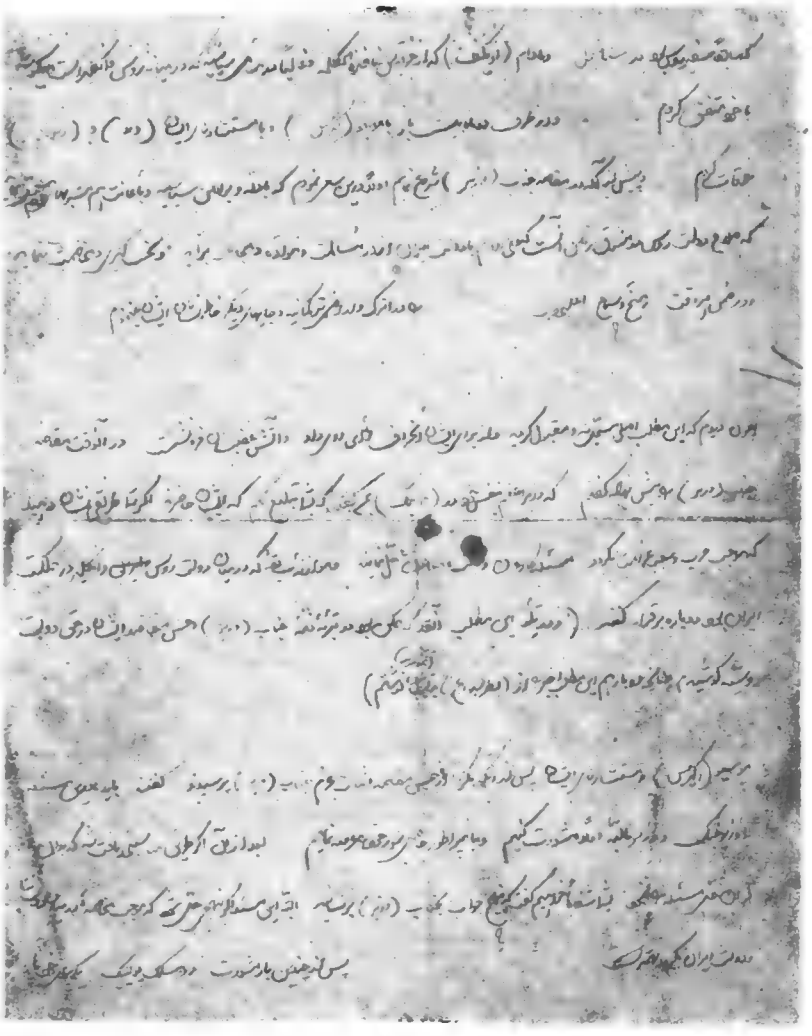

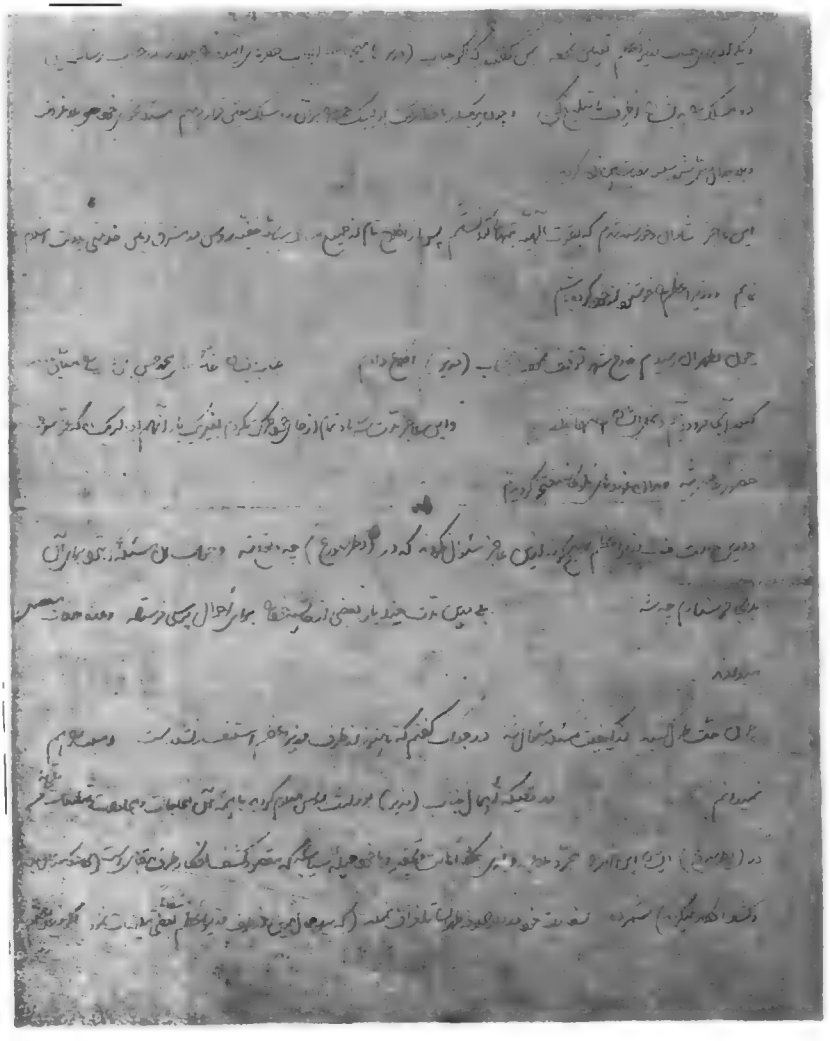

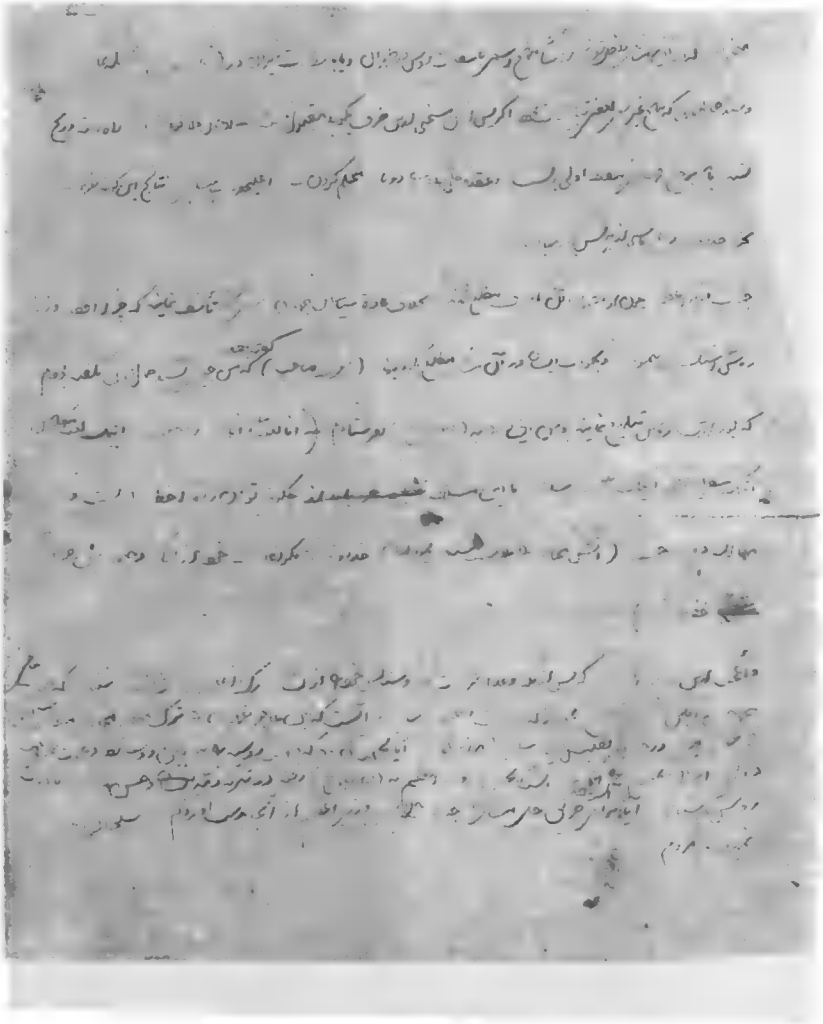

(جـ) نص الخطابات العربية المكتوبة بخط جمال الدين وهى موجودة بالقسم العربى من ص ٣١ : ٤٥

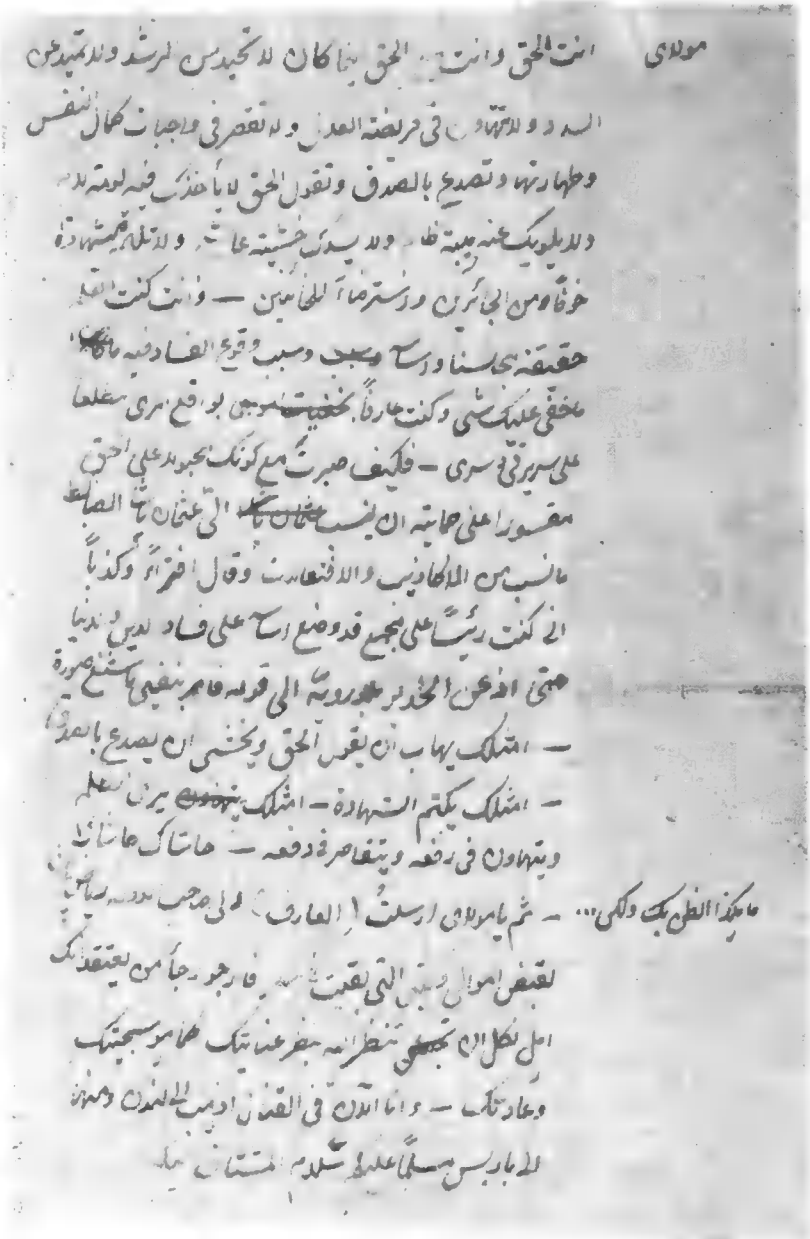

مولاى

انت الحق وانت [illegible] الحق [illegible] كان لا تحيد عن الرشد ولا تميد عن
السداد ولا تتهاون فى فريضة العدل ولا تقصر فى واجبات كمال النفس
وطهارتها وتصدع بالصدق وتقول الحق لا يأخذك فيه لومة لائم
ولا يلويك عنه هيبة ظالم ولا يسدك خشية عاشر ولا تلتزم الشهادة
خوفاً من الجائرين واسترضاءً للخائنين — وانت كنت [illegible]
حقيقة مجالسنا واساس [illegible] وسبب وقوع الفساد فيه [illegible]
ما خفى عليك شىء وكنت عارفاً [illegible] بواقع امرى مطلعاً
على سريرتى وسرى — فكيف صبرت مع كونك محبوباً على الحق
مقسوراً على حمايته ان ينسب [illegible] الى عثمان باشا الضابط
ما نسب من الاكاذيب والافتعالات وقال افتراءً وكذباً
انى كنت رئيساً على مجمع قد وضع اساساً على فساد الدين والدنيا
حتى اذعن الخديو [illegible] الى قوله فامر بنفيى ما شنع صورة
— امثلك يهاب ان يقول الحق ويخشى ان يصدع بالصدق
— امثلك يكتم الشهادة — امثلك [illegible] يرى الظلم
ويتهاون فى رفعه ويتقاصر فى دفعه — حاشاك حاشاك
ما هكذا الظن بك ولكن... — ثم يا مولاى ارسلت (العارف) الى صاحب [illegible]
لقبض اموالى [illegible] التى بقيت [illegible] فارجو رجاء من يعتقد انك
اهل لكل ان [illegible] تنظر اليه بنظر عنايتك كما هو سجيتك
وعادتك — وانا الآن فى القنال اذهب الى لندن ومنها
الى باريس مسلماً عليكم سلام المشتاق [illegible]

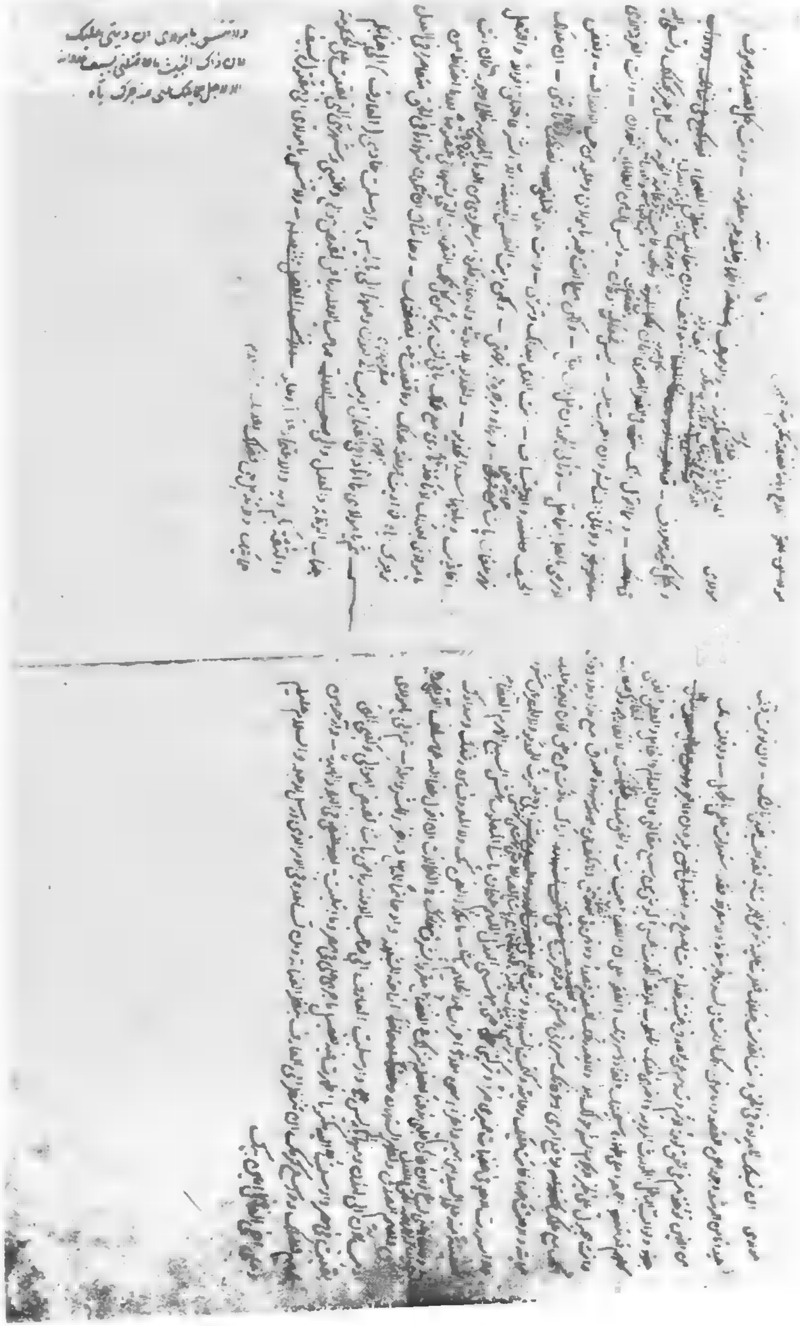

مولاي ... هذا اليوم في القتال ... الى لندن ... باريس ... [illegible] ... ايامكم ... [illegible]

وكفى ... [illegible] ... في ... النفس ... [illegible] ... من حقائق الصفات وكرائم الاخلاق ... [illegible]

التي ... [illegible] ... بالعقل ... [illegible] ... جبلة تأبى ان تقصد الى الظلم

دون ان تقطع ... [illegible] ... الآن ... [illegible] ... ان المصيبة العظمى التي ... [illegible]

الكبرى التي ... [illegible] ... قد ... [illegible] ... خفيتها

وحقائق ... [illegible] ... حقيقتها ... [illegible] ... الآن تحت ... [illegible]

محجوبة عن بصير ... [illegible] ... في طرق الحق المطلق ... [illegible] ... عقلا

محضا ... [illegible] ... الى ... [illegible] ... قول ... [illegible]

... [illegible] ... في الوقت الا ... [illegible] ... سبيل الحق ... [illegible] ... لانه يعلم ان

من يأخذ بالظاهر ... [illegible] ... كل ناعق ... [illegible] ... الحق بلباس الباطل وكم ظهر الباطل

بمظهر الحق ... [illegible] ... العدل ... [illegible] ... من الذين ... [illegible]

... [illegible] ... في ... [illegible] ... يعتقدون

ما يقولون ويقولون ما يسمعون ... [illegible] ... لله ... [illegible] ... ولا ... [illegible]

من سوء ... [illegible] ... ولارباب ... [illegible] ... الفطرة ... [illegible] ... والطينة ... [illegible] ... المزية

التي ... [illegible] ... من استعظم مصيبة ... [illegible]

لا يأبى ان ... [illegible] ... ولا يبالي ان يكون ... [illegible] ... العقل وقسوة القلب

واذا ... [illegible] ... في رجل ... [illegible] ... العدل ... [illegible] ... النصف ... [illegible]

... [illegible] ... فما ... [illegible] ... المصيب ... [illegible]

... [illegible] ... على ... [illegible] ... الزهد ... [illegible]

هذا ... [illegible] ... الجهل والقسوة ... [illegible] ... على ... [illegible]

... [illegible] ... بعقله ... [illegible] ... قلوب الذين لا يعقلون

لان ... [illegible] ... على المظلومين ... [illegible] ... العدالة ... [illegible] ... العدوان وكراهة الجور

... [illegible] ... تعالى ... [illegible] ... الاعلى في العدالة والقدح المعلى في النصفة — ومع هذا ... [illegible]

... [illegible] ... ان اخبركم بحقيقة هذه البلية ... [illegible] ... ان الخديو

... [illegible] ... قبل ان ينال الملك ... [illegible] ... ولا ... [illegible]

... [illegible] ...

... [illegible] ... باشا ... [illegible] ...

... [illegible] ...

... [illegible] ... بقايا ... [illegible] ... الذين ... [illegible] ... باشا ... [illegible]

في ... [illegible] ... لعبد الحليم باشا ... [illegible] ... الخديو ... [illegible] ... الحضرة ... [illegible]

... [illegible] ... الخديو ... [illegible]

وكانوا ... [illegible] ... المسلمين من الافرنج ... [illegible]

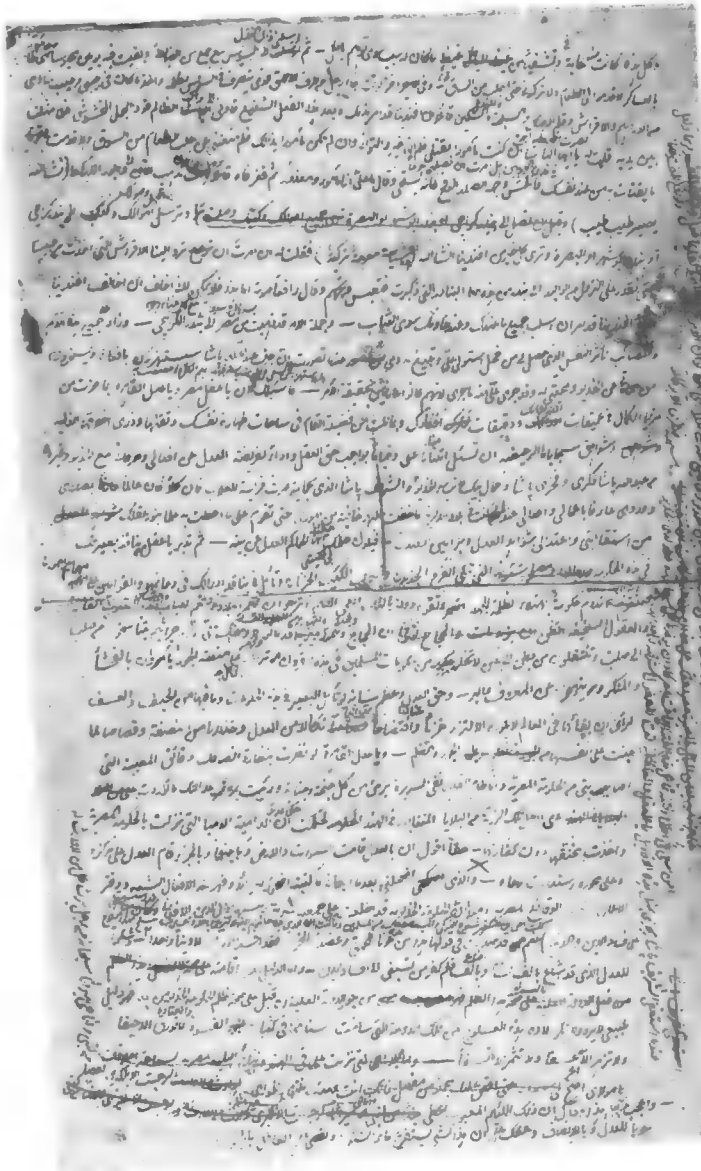

[illegible] الى (نيويورك) فقنصل [illegible] المصريين ضد عبد الحليم باشا [illegible] ان [illegible] الى غيره

[illegible] المعنى هذا [illegible] المصريين [illegible] الى القنصل [illegible] وكشفت القناع

[illegible] مع [illegible] الذي [illegible] المسائل [illegible] الآن [illegible]

[illegible] [illegible] الرجوع [illegible] على [illegible]

[illegible] على هذا [illegible] الباطل [illegible] عبد الحليم باشا [illegible] المصري [illegible]

[illegible] الى [illegible] وباتفاق [illegible] على قتل [illegible] والقتال

[illegible] بالعقل [illegible] الجيوش التي [illegible] بهذه الامور [illegible] في مصر [illegible]

[illegible] هذه الاباطيل [illegible] ولكن [illegible] للملك [illegible]

احزاب عبد الحليم باشا [illegible] الى [illegible]

[illegible] ان الخوف من [illegible] في جميع الجرائد

المصرية [illegible] الحكومة [illegible]

[illegible] احزاب عبد الحليم باشا [illegible]

[illegible] والرجل [illegible] عثمان باشا [illegible] البلاد [illegible]

[illegible] جريدة [illegible] عثمان باشا [illegible] البلاد [illegible]

[illegible] ذلك [illegible] الاستاذ [illegible] احزاب عبد الحليم [illegible]

[illegible] ذلك الشريف باشا [illegible]

[illegible] الشريف باشا [illegible] ذلك [illegible]

[illegible] الشريف باشا [illegible] في ليلة [illegible] الان في [illegible]

[illegible] بالنار [illegible] الشريف باشا [illegible]

[illegible] ذلك [illegible] هذه [illegible] احزاب عبد الحليم [illegible] كل يوم

[illegible]

[illegible] وانا [illegible] اعتقادي [illegible] هذه [illegible]

هذه الاكاذيب في حق رجل [illegible] بلاده [illegible]

[illegible] عن [illegible] الى [illegible] المصرية [illegible]

عن ذلك [illegible] من الليلة [illegible]

[illegible] الصحيفة [illegible]

[illegible] من سبب هذه [illegible]

ان [illegible] مصر ومرة قال ان [illegible] الدول [illegible] ومرة قال ان [illegible]

[illegible] هذا الخبط والخلط [illegible] حتى [illegible]

[illegible] شريف باشا [illegible] ولكن

يجب عليك ان تذهب الى [illegible] من طريق [illegible] بلاد الهند [illegible]

[illegible] او الى باريس [illegible] الا [illegible]

[illegible] ان [illegible] حتى [illegible]

[illegible] ان تعفو [illegible] حتى [illegible]

[illegible] ما زال [illegible] في الهند [illegible] البلية المصرية [illegible] وصول [illegible]

ثاني يوم من بلوغ خبر قتل [illegible] قنصل الانكليز [illegible] كنت تحت الحفظ [illegible] ساعة [illegible] الاستجواب سؤال [illegible]

[illegible] كل يوم [illegible] من [illegible] الحكم [illegible] التفتيش والتجسس [illegible] الانتقال من بلد الى بلد [illegible]

[illegible]

[illegible] الانكليز [illegible]

[illegible] والضيق والقلق والانفراد [illegible] من الهدى [illegible]

[illegible]

[illegible] العربية [illegible]

[illegible] الحكومة الانكليزية [illegible] الفتنة في الهند [illegible]

[illegible]

[illegible] السؤال والجواب [illegible] الحكومة الانكليزية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

حاكم الهند [illegible] فطلبت [illegible] الجواب [illegible] في الطلب والعقاب الآن [illegible] الفتنة [illegible]

مع مراجعة [illegible] ليلاً ونهاراً — فلا ريب ان [illegible] البلاء [illegible]

في الرزايا التي جبلتها على الضعف والقسوة [illegible] في العين [illegible]

[illegible] عصمتي [illegible]

[illegible] واحدة [illegible] في الطبيعة

[illegible]

[illegible] البدن [illegible] الى بلاد [illegible]

[illegible]

[illegible] هذه الامور التي

انقضت [illegible] من فضل الدنيا [illegible]

الى بلاد الافرنج — وقد ارسلت يا مولاي الى [illegible] جنابكم خادمي (العارف) لقبض اموالي وكتبي التي تخلفت في مصر [illegible]

[illegible] الباقية [illegible] والنفقة في كل هذه [illegible]

واذا حنوكم على الضعفاء والشفقة منكم ليست ببعيدة والرحمة [illegible] — وارجو من [illegible] واسع حلمكم وسماحة اخلاقكم

ان تظللنا العوارف بظلال شجرة رحمتكم [illegible]

— ثم [illegible] الى [illegible]

خصوصاً الشيخ محمد عبده والسيد ابراهيم اللقاني [illegible] في هذه الفتنة المشؤومة [illegible] فاعفو عنهم [illegible]

رحمتكم وتجاوز عن سيئاتهم بكريم عفوكم ولا تؤاخذهم يا مولاي [illegible] فانك انت العفو الكريم والبر الرحيم

— ولقد نسخت مكتوباً الى الشريف باشا ومكتوباً آخر الى عبد الله باشا فكري [illegible] الشهادة [illegible]

(د) نص هذا الخطاب فى ص ٤٦ من القسم العربى

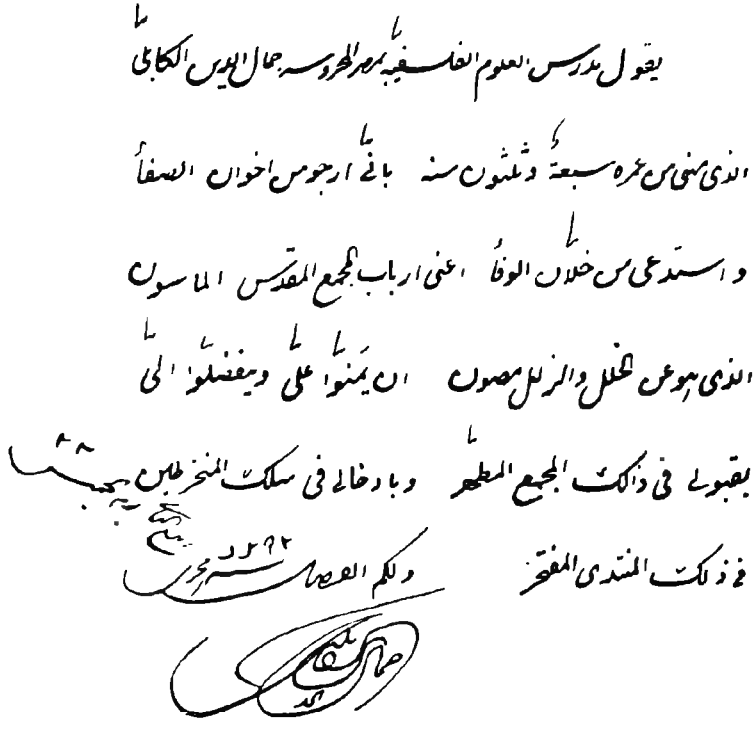

يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين الكابلى

الذى منى من عمره سبعة وثلثون سنة بانى ارجو من اخوان الصفا

واستدعى من خلان الوفا اعنى ارباب المجمع المقدس الماسون

الذى هو عن الخلل والزلل مصون ان يمنوا على ويتفضلوا الى

بقبولى فى ذلك المجمع المطهر وبادخالى فى سلك المنخرطين

فى ذلك المنتدى المفتخر ولكم الفضل سنة ١٢٩٢ هجرى

جمال الدين الكابلى

في القاهره بمصر في ٧ جنايو ١٨٧٨ / ٥٨٧٨

الى الاخ جمال الدين محترم

انه لمعلوم لديكم بان في جلسة ٢٨ الماضي وباغلبية الارآ صار انتخابكم رئيس محترم لهذا اللوج لهذا العام ولذا قد نهنيكم ونهني زواتنا على هذا الحظ العظيم وعن امر الرئيس محترم الحالي ادعوا خوتكم للحضور يوم الجمعه القادم ١١ الجاري الساعه ٢ عربي بعد الغروب الى محل هذا اللوج لاجل استلامكم القادوم بعد اتمام ما يجب من التكريز الاعتيادي ثم سيصير يوم الخميس ١٠ الجاري الساعه ٦ افرنكي مسا تكريز رئيس محترم لوج كونكورديه فالرجا حضوركم في اليوم المذكور للاشتراك في الاشغال وفي الحالتين ملابسكم تكون سودآ ورباط الرقبه والكفوف بيضا واقبلوا منا العناق الاخوي :. كاتب سر

نقولا

سكروج

م

(ه) نص هذا الخطاب في ص ٤٨ من القسم العربي.

(١ : ٢) ترجمة هذه المذكرة فى الصفحات من ٥١ إلى ٥٤ من القسم العربى

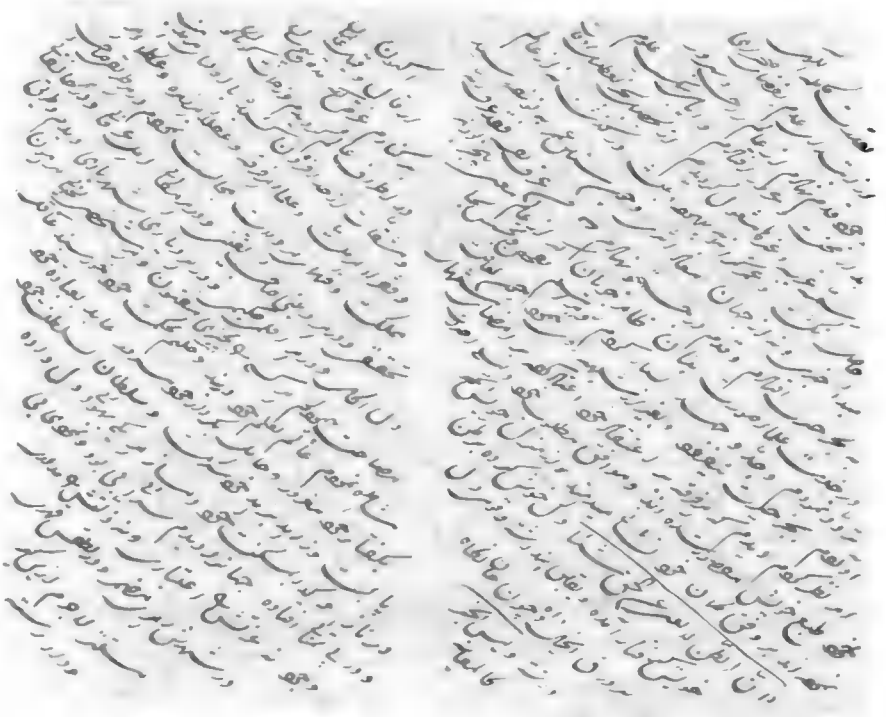

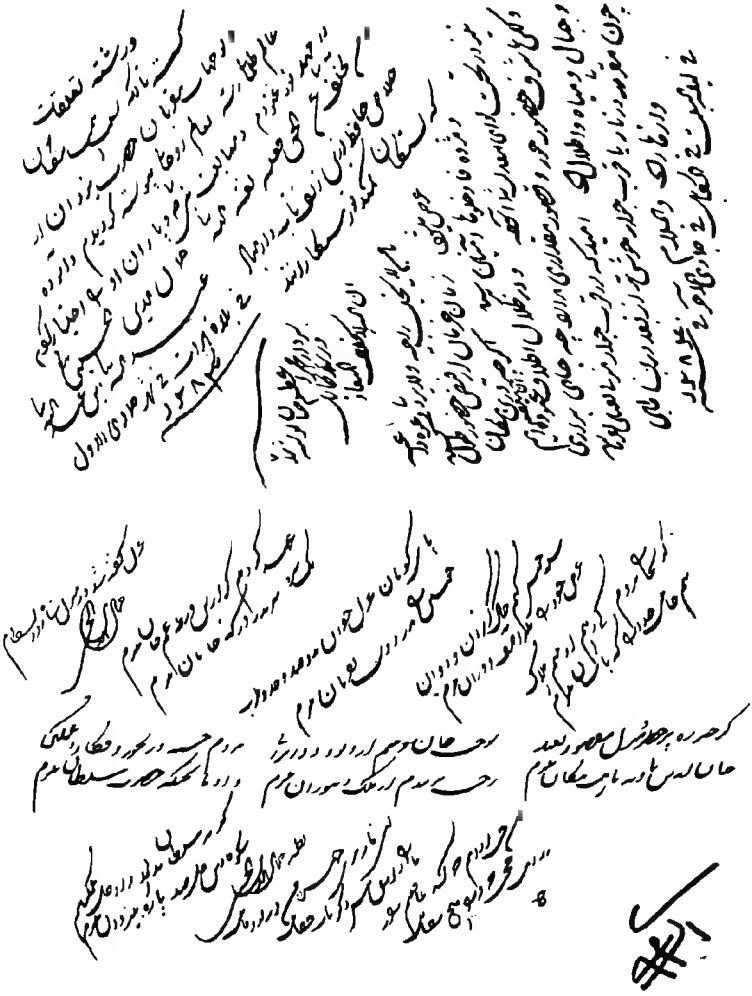

(٣) ترجمة هذه المذكرة في ص ٥٥ وص ٥٦ من القسم العربي

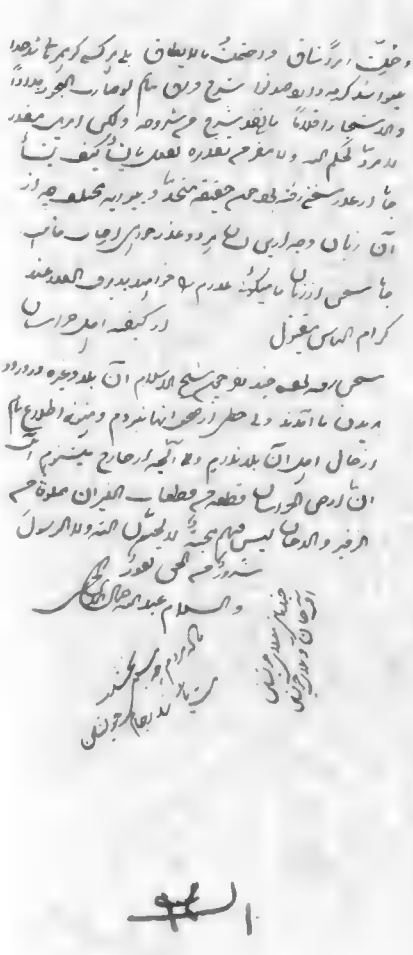

(٤) ترجمة هذه المذكرة فى ص ٥٧ من القسم العربى

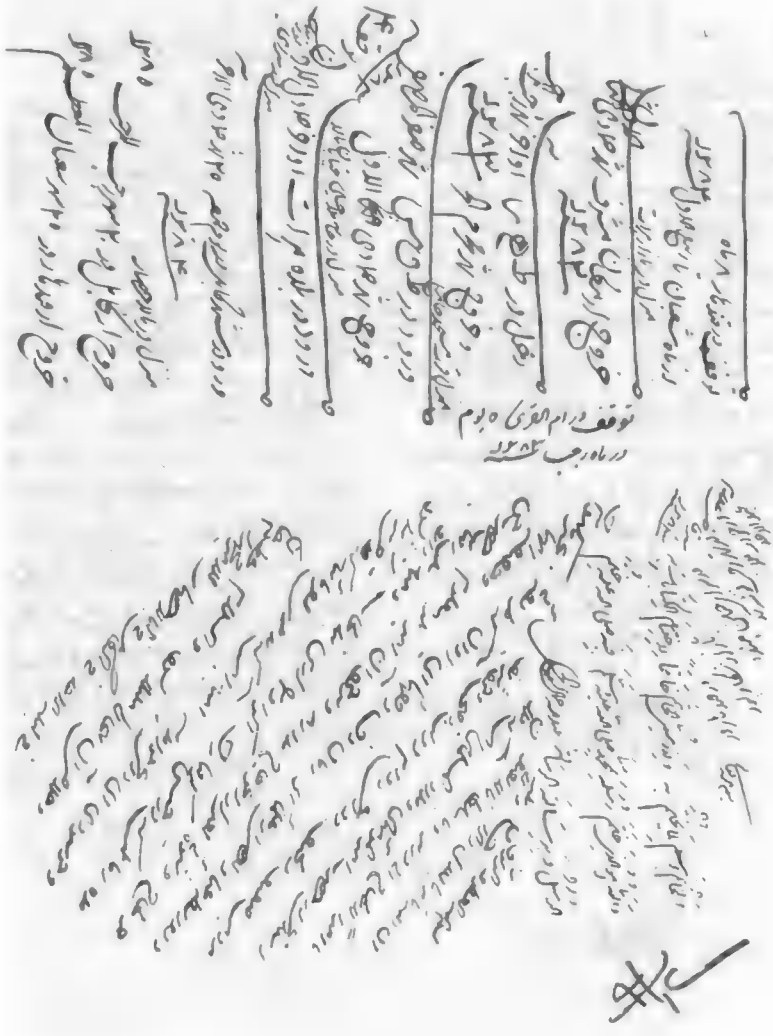

(٥) ترجمة هذه المذكرة فى ص ٥٨ من القسم العربى

(٦) ترجمة هذه المذكرة في ص ٥٩ من القسم العربي

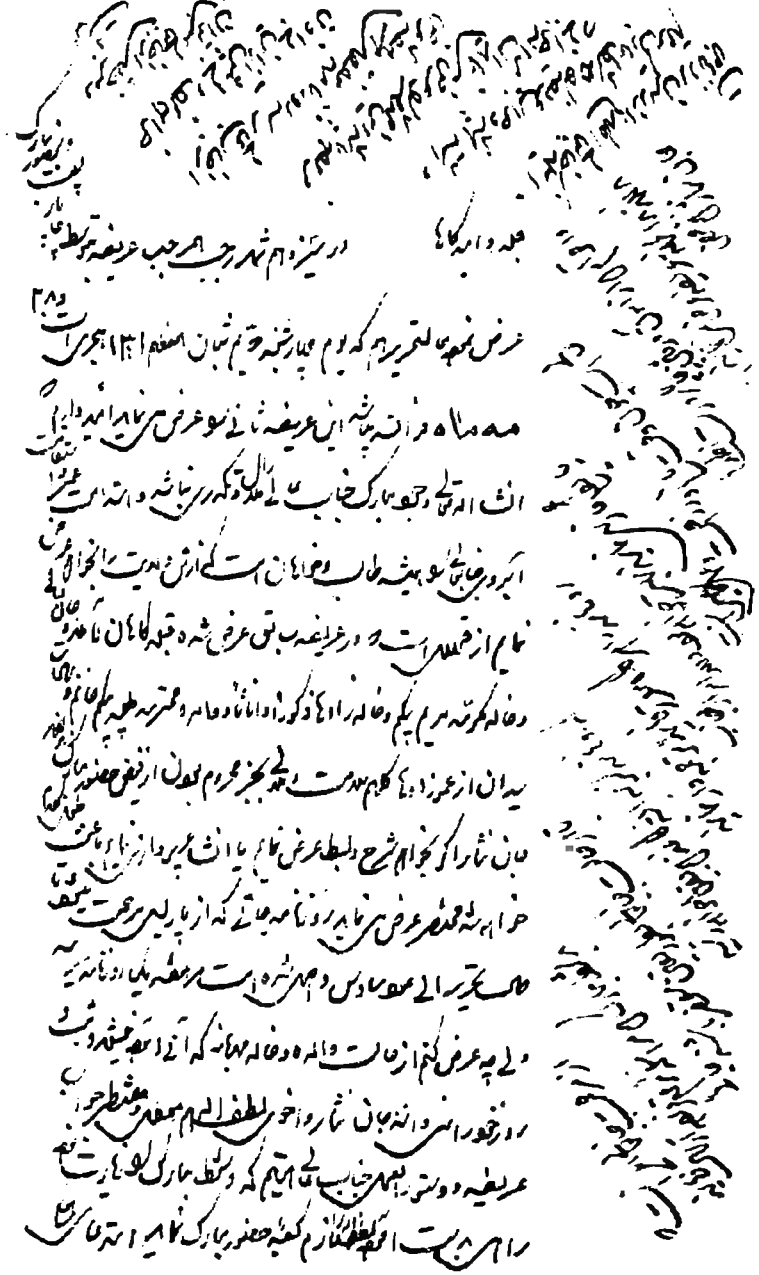

(٧) ترجمة هذه المذكرة فى ص ٦٠ من القسم العربى

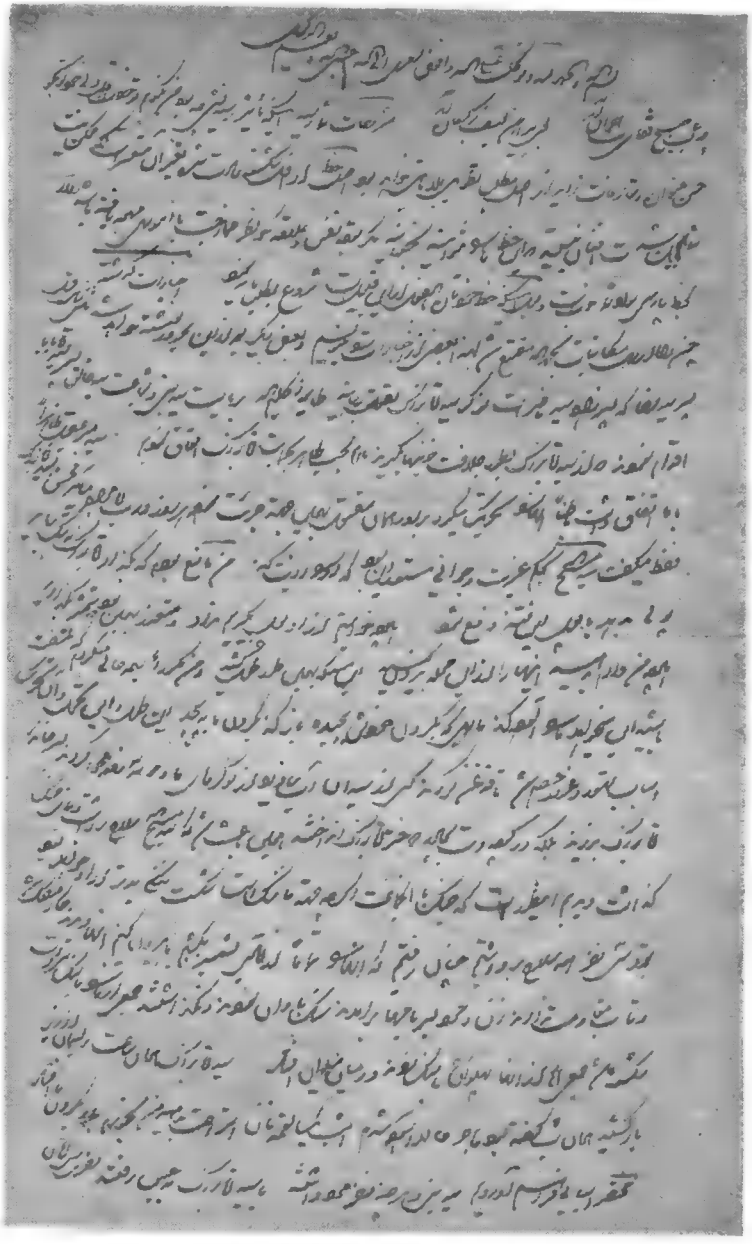

[illegible] [illegible] دو روزه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] همه [illegible] [illegible] از [illegible] [illegible] همه [illegible] نموده [illegible]

[illegible] [illegible] دست [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] از این طرف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

با [illegible] [illegible] [illegible] از [illegible] [illegible] از [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

که داشت من جمله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] داده [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] دفعه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] آمدند [illegible] [illegible] از [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

گشته شده بود همه جواهرات [illegible] [illegible] [illegible] همان [illegible] [illegible] [illegible]

بود [illegible] [illegible] زخم [illegible] [illegible] خوب شد کمال [illegible] بود [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

خلاف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] از [illegible] تا شب [illegible] [illegible] حضرات بود [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عید [illegible] [illegible] رسید [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

این طرف آمده من و [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] در [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] که حضرات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

برکت سید [illegible] سید عبدالله شیرازی [illegible] که اینها [illegible] جمع شوند که [illegible]

[illegible] جمعیت [illegible] از روز [illegible] وزیر [illegible] کرده [illegible] حفظ کرده

[illegible] در این [illegible] مطلع شدم وقتی [illegible] که [illegible] جمعی [illegible] سید [illegible]

[illegible] سید عبدالله سید [illegible] که [illegible] دارد [illegible] جمع کرد [illegible]

سید [illegible] ساعت رفت [illegible] میرزا [illegible] سید [illegible] خانه [illegible]

[illegible] که [illegible] میرزا [illegible] رفت [illegible]

[illegible] مضمون [illegible] که جمعی [illegible]

سید [illegible] در [illegible] عزت [illegible] جمعی دیگر [illegible]

[illegible] سلطان [illegible]

[illegible] این [illegible] را [illegible]

[illegible] سلطان [illegible] میرزا [illegible]

[illegible] در [illegible]

[illegible] سلطان [illegible] در [illegible] سلطان [illegible]

[illegible] سلطان رفته [illegible]

[illegible] سلطان [illegible] که [illegible]

[illegible] که [illegible] سید [illegible]

سید [illegible] جمع کرده [illegible]

[illegible]

[illegible] سید [illegible] در [illegible]

(١) نص هذا الخطاب فى ص ٦٣ من القسم العربى

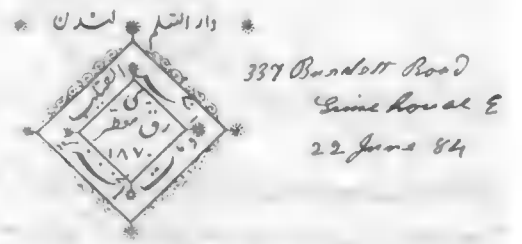
دار القلم لندن
337 Burdett Road
Limehouse E
22 June 84

الى مدير السياسة جمال الدين الحسينى الافغانى
دام فضله العالي

مرحبًا بمن هداه اللهُ تعالى الى سبيل الرشاد والبسه درع الغيرة والانتصار دفعًا لاصحاب العناد ومنحه من العلم والفضل ما يحسن به حال العباد ويصلح بالهم للتقوى وهى لعمري خير الزّاد :

ما احسن يومًا رايتُ في لندن العدد الحادي عشر من العروة الوثقى لا انفصام لها، شُدّ به ازري. ووُضع عنى وزري. الّذى انقض ظهري. وعلمت علم اليقين ان الله ما ودّع المسلمين وما قلى وللاخرةُ خيرٌ لهم من الاولى

طوبى لامّةٍ يدعو بعضهم بعضًا الى الخير والصلاح ويتواصون بالحقّ ويتواصون بالصبر ولهم امل النجاح : بُورك من اوصلك لهذا الباب وعلّمك الكتاب واتتك الحكمة وفصل الخطاب : ارى بادي الرّاي كلّ ما تقول وارجو من الله ما ترجو حتى يقول الرّسول

العبد الجانى

محمد باقر البواناتي الايراني

In Rulers of Persia

(٢) ترجمة هذا الخطاب فى ص ٦٤ من القسم العربى

دار السلم لندن

337 Burdett Rd.
Simehouse E
9. July 84

حبیب لبیب من نامهٔ گرامی آن دوست امین وخیرخواه جمهور مسلمین مع جریدهٔ فریدهٔ
مسماة بعروة الوثقی که بسرافرازی کمترین گسیل شده بود رسید و از اطلاع مضامین
آنها دل وجان را کمال نشاط وانبساط حاصل گردید الحق حال بنهجیست که
در اظهار آن اجتهاد بلیغ شده و در ابلاغ آن جد جهید بظهور آمده ولی خلق در خواب
وبنیان امر در شرف خراب معلوم میشود مگر اینکه عون سرمدی دستگیری
کند وسوابق غفلت بلواحق انتباه مبدل گردد :

چون این هیچ جملت جری را بی اختیار شوق ملاقات آن پیک سلام در سر
وفریضهٔ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ نیز اهل اسلام را امری مهم ومطلبی معتبر است
استدعا از مرحمت عالی آنکه اطلاع داده شود که چه وقت درک صحبت آنجناب
ممکن است تا بعزم فیض یابی روانهٔ آن صوب گردیده دو سه روزی هم پاریس را
دیده باشد وهم بفیض ملاقات رسیده باشد

العبد الجانی
محمد باقر ایرانی

M. Baker
of Persia.

ترجمة هذا الشعر فى ص ٦٥ من القسم العربى

هرکجا عقلی بعقلی یار شد
گلخن آنجا روضه و گلزار شد
هرکجا یاری زیاری دور شد
گلشن آنجا خود نه گلخن گور شد

ای جمال الدین خدا را همتی
بو ز سعیت زنده گردد ملتی
ورنه از اسلامیان جز نام نیست
خلق در لهوند و لهو اسلام نیست
تیشه بر بیخ درخت دین رسید
وآن درخت آسوده کم تمکین رسید

برگ برگ این شجر در اضطراب
شاخها لرزان ز بیم انقلاب
وآن شجر غافل ز اصل و فرع خویش
گوید آسایم اگر بر هم زکیش
گرنه عون حق خبردارش کند
پس سقوط صرف بیدارش کند

(٣) ترجمة هذا الخطاب فى ص ٦٥ وص ٦٦ من القسم العربى

337 Burdett Road
Gine house E
18 July 1884

خليل جليل من ■ هادي سبيل حضرت ذو المنن را مدام از شش جهت سلام باد
آنچه فرمودي احسان نمودي و بر مقدار ممنونيت من افزودي قلبم را شاد
و فؤادم را از اندوه زياد آزاد كردي - گفته هايت اميدواري داد -
مقصدت طرح محمدت نهاد - گر خدا خواهد آنچه ما خواهيم - يك بيك
مهدي هدى اللهيم - هادي جمله واحد قهار - بكتاب محمد مختار - عيسى و
موسى و جميع رسل - بار بندان اين حمولهٔ كل - همه تازان بسوي ابراهيم -
همه شايان سلام رب رحيم - همه را احمد احمدي بولب - همه را فيض سرمدي
مطلب - متمسك بعروة وثقى - وصف اين عروه لا انفصام لها - من
رآهم رأى البقا فيهم - زاد حرصا لدرك ما فيهم - من هدوه الى الذي
وجدوه - وجدوه هدى الذي عبدوه - من رضوا عنه طالبين رضى -
رضي الله عنهم بعوضا - جمله مطلوب و طالب يك ياد - ليس في الدار غيره
ديار - پارسي گوي و تركي و تازي - مست صهباي سر همرازي - از زبان
سوي بيزباني راه - بيزباني ز هر زبان آگاه - آگهي زندگي جاويدان - زندگي
جان جان آگاهان - زندهٔ آگه آگه زنده - من بيچاره هر دو را بنده -
چون نه اين و نه آن و نه خويشم - گرچه از بهر هر سه دلريشم - هيچم و آرزوي كل
دارم - زانكه در كل نهان بود يارم - كار من اين و بار من هم اين - تو بگو
چوني اي جمال الدين

العبد الجاني
محمد باقر ايراني

على آقا و ساير ياران ايراني تحيت و ثناي فراوان ميرسانند
م ب

هو الله تعالی سبحانه

خدمت جناب عالم ربانی و مؤید آسمانی نادره دهر و باقعه عصر ادیب محقق و لبیب مدقق منبع
دانش و مربع بینش سراج وهاج علم محیط مواج فضل شمس فلک معالی فیض بخش ادانی و اعالی لسان
الحق و منطق الصدق ذو النسب الشریف و الحسب المنیف سید جمال الدین الحسینی مدیر جریده فریده عروة
الوثقی ایده الله تعالی پس از تقدیم تحیت و سلام و اهداء درود مالا کلام از زبان ملت ایران و اهالی این
سامان بلکه از لسان کافه مسلمین و سکنه مشرق زمین که برادران دین و اخوان وطن آن جناب سامی
هستند با هزاران شکر و شرف و شادمانی و شعف از ظهور صحیفه شریفه و وجود جریده فریده عروة الوثقی
که آفریده فکر آن خلاق معانی و نسیج خاطر آن نقاد سخن سنج است تبریک و تهنیت میگوید الحق عالم
اسلام بلکه ما در ایام را از این مولود فخرها سزاست و امت خیر الانام را بدین بلیغ بلیغ شکرها روا
الیوم انجزت الآمال ما وعدت و ادرک المجد اقصی ما تمناه و الیوم ردت علی الدنیا بشاشتها
و ارضی الملک و الاسلام و الله الحق این مبارک نامه کانی است از جواهر نفیسه حکمت و بحری است
از لآلی ناسفته موعظت محیطی است بی پایان که هرگاه موج زند توده توده گوهر بکنار ریزد
و غمامی است متراکم که چون متقاطر شود از هر قطره سیلها انگیزد با آنکه این جریده بالفاظ کمنظوم
اللئالی و معنی کان کالسحر الحلال این سیاقت عبارت الیاقت نسبت سحر حلال است و این

سلاست الفاظ را به شباهه آب زلال. الحق درین قرون قریبه و اعصار اخیره از سلاطین عرب و عجم
هیچکس نسج چنین عبارات و الفاظ نکرده و در حسن اطناب و لطف ایجاز بدین گونه به مقام اعجاز
و اعجاز نگذشته و تا بدین پایه گوهر بلاغت نسفته و تا بدین پایه سخن از در براعت نگفته. اما لآلی
لآلی معانی در تشعشع از درر بیان ترشح از قالب رقیق الفاظ و مشکوة صافی عبارات نشر و نمایش
دارد چنانکه اعین و ابصار را خیره کرده است که دلکشی الفاظ ساده و سلیس و عبارات سهل و ممتنع
کما هو حقه تعریف کند الحق چندین قرن گذشته است که خفتگان خواب غفلت را زمانه
بستر علت ملت اسلام را چنین موقظی مجدد و منبهی جاهد و خادمی صادق و طبیبی حاذق و ناصحی شفیق
بستر وقت نیامده بود جزاک الله فی الدارین خیراً خداوند تعالی همه را گوش شنوا و دل آگاه
مرکبی و شبابک هر او هوس و خواب غفلت و دام ذلت برهاناد الحق شخص سلطانی که از هر جهت
فی سبیل الله و از ذات حضرت جزوه اسلام تیران گفت ها ان سلاست تقریر از صرامت شمشیر کمر زینت ملکه
ل ل از ذلاقت سنان کارگرتر و مؤثرتر است و نهایت که قلوب و ابصار کافه مسلمین را
موجب تنبه و آگهی و باعث بصیرت و بینائی تو لکن العیاذ بالله مرتکبانه از فرط غرور و غفلت مصداق
کریمه ان الذین کفروا سواء علیهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا یؤمنون ختم الله علی قلوبهم و علی سمعهم
و علی ابصارهم غشاوة و لهم عذاب عظیم گردیده باشند بالجمله این نسخه که به روزنامه نگاران

نگاران عالم شرف سلکیت دارم و بر حسب صورت و معنی چاکر دولت ایران و خادم ملت
اسلام و از صمیم دل طالب و هواخواه و آرزومند ترقیات این امت مرحومه هستم عالم اسلام را
بدین جریده شریفه هزاران تبریک میگویم و از خدای تعالی طول بقا و مزید توفیق شما را با دوام
و عدم انفصام عروة الوثقی که فی الحقیقه امروز بهترین متمسکات و وسایل برای دستگیری و رهانیدن
این ملت سینه از گردابهای هایل حادثات روزگار است مسئلت میکنم لله در مدیرها و محررها
والسلام علیکم و رحمة الله و برکاته
العبد الباقی محمد حسن ابن علی المراغی مشهور بصنیع الدوله

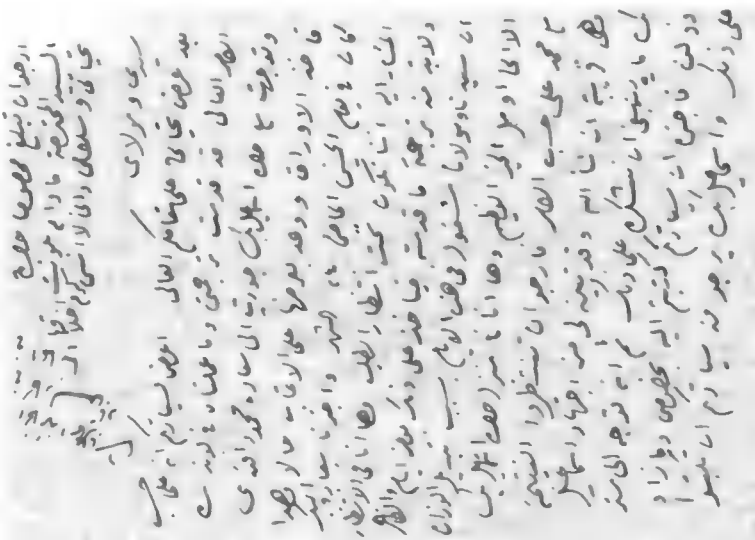

له التعليمات اللازمة التي يسلك بها مع المومى اليه فانه لا يمكنه ان يقابله الا بعد
ما تكتبون له اما انا فارى من الموافق بالنسبة لمركزي الحالي ان لا اقابل
احدا مطلقا حتى يصدر عنه سيدنا ومولانا السلطان ما يصدر وارجو ان تبلغوا
مستر بلونت تحياتي وسلامي وتجزوه ان اسمعيل بك جورت وفي له صادق الصحبة
كما حققت ذلك اما ما كتب في جرائد الاستانة بخصوصه فانما كان باغراء حليم
باشا لحسن حسني الذي يكتب في جريدة الاعتدال هذا ما وقفت عليه بالتحقيق
الذي لا يدخله شك وقولوا لمستر بلونت كما قلتم له سابقا ان مصريا حرا مثل
اسمعيل بك لا يصدر عنه الا كل فضيلة وليعتمدني في هذا ثم اني اعرض على مولاي
اني وقفت على كتابات كانت بين حليم وبين الشوباشي والشيخ عبده بنسختها
لسيادتكم وها هي مرسلة صحبة هذا فلا حول ولا قوة الا بالله وكذلك ابو نظارة
الخبيث ومع كل ذلك ربنا سبحانه وتعالى يوفق لنا الامور وذلك يكون كافيا في تحرم

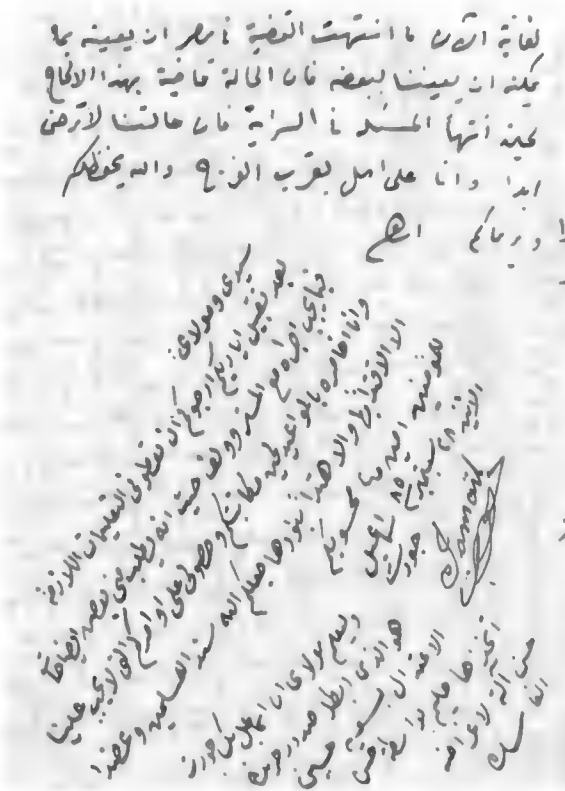

(٢) نص هذا الخطاب فى ص ٦٩ و ٧٠ و ٧١ من القسم العربى

(٣) نص هذا الخطاب فى ص ٧١ من القسم العربى

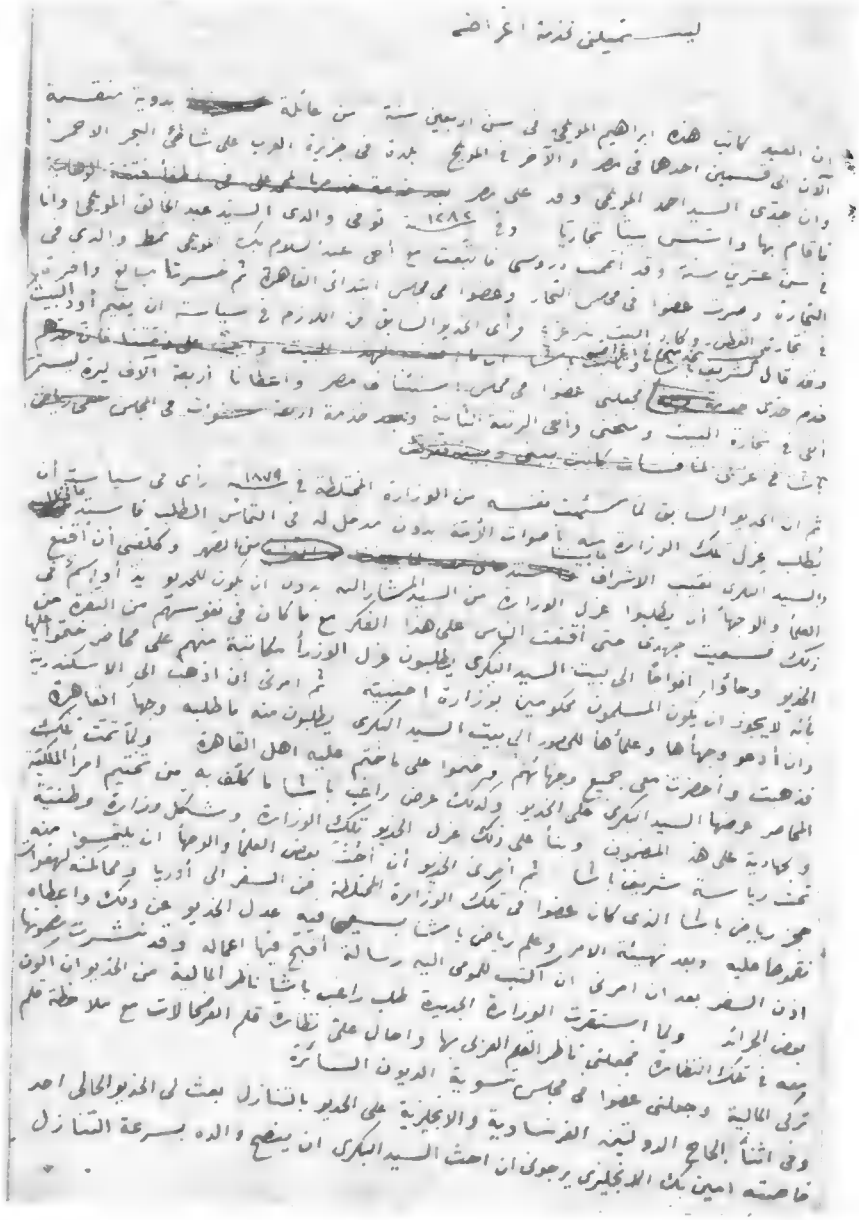

مع ما في هذا من الاجحاف بحقوق الدولة العلية التي هي مالكة
تلك المملكة

خوفا من الخطر على الوراثة فاظهرت للرسول ما في تنازل الخديو من الاخطار على القطر المصري
بتداخل الدولتين في داخلية البلاد فحمدها على توفيق باشا ولما تولى الخديوية واستعفى
وزارة شريف باشا الزمني اسماعيل ايوب باشا بناء على امر الخديو الحالي بالاستعفاء من تلك
الوظائف ثم عين رياض باشا من اوربا مترشحا لرياسة الوزارة فحسن لي شاهين
باشا وراغب باشا الخروج من مصر والالتحاق بالخديو السابق واخبرهما بان بقائي في مصر يعقب
انتظام رياض باشا في فاخذت الخديو الحالي بواسطة عزيز باشا في السفر لتبديل الهواء
فوجهت من مصر وجئت الى نابولي عند الخديو السابق الذي تعجب عند كل هذا فوجدت
عنده خلاف ما كنت اؤمله وعلمت ان الزمام السابق في ما كان طبيعيا ان يزال بزوال
الحجة فبقيت تلك المدة على مضض حتى لزم له ان يكتب الى شيخة الاسلام بخلع ولي
حرمه الاستانة فاشتغل لي واستكتبني شكاية عالية عن مقام المشيخة الاسلامية ولما احيلت
بالياس وعلم ان لا امكان لدخولها الآستانة سافر الى قيشي وارسل الى ابنه حسين باشا
في نابولي يامره ان يبعث اليه فلما وصلت امرني ان اسافر الى باريس وان استميل الى
اغراضه ادب افندي اسحاق محرر جريدة (مصر) بها فسافرت اليها فوجدت الافندي المولى اليه
سافر الى بيروت وترك تحرير الجريدة ولما اخبرت الخديو السابق تلغرافيا بذلك امرني بالرجوع
اليه وكلفني ان احرر له جريدة بنفسي بدون ان اضع عليها اسمي واختار لها اسم (الاتحاد)
وأملى علي افكاره فتوجهت الى باريس واشتغلت بما امرني به وبعد مدة ارسل الي
طلب الحضور ارسل الى ابنه حسين باشا بالتلغراف وكان في باريس يامره ان يبعث لي الى
(جراوس) بالقرب من قيشي انتظر حضوره من وليمة في ضيعة سفير باشا المجر فانظرته
في محطتها فاخذني معه الى قيشي وهناك الزمني ان اكتب له رسالة على جذور في مضاده
للخلافة وأملى علي مضامينها وبعث بها الى باريس سرا وان ابعث بها اليه واخبرني انه
ولما مررتها لطبق امر امرني ان اطبعها في نابولي من أهل الجزائر اسمه (سيمون) ليسافر
سيرسلها مع رجل يهودي كان عنده في نابولي ويشرها هناك على الحاج في يوم عرفات
بها في بركة سلم الى مكة ويشرها هناك
فقبضت الامر ورجعت الى نفسي وفي اثناء طريقي الى باريس افكرت في المسئلة طويلا
وتحققت الخطر فيها وعلمت أني بهذا العمل أكون ساعيا في شق عصا الاسلام فجود أهوا رجل
قد كشفت لي حوادث الغربة معه ان ليس في قلبه ذرة من الايمان وانما يستعمل الدين
شبكة لصيد اغراضه ورايت ان لا مناص للتخلص من أوامر الآبالانفصال عنه مع
الاحتياج اليه في الغربة ولما وصلت الى باريس لم أجد طريقا لحفظ ديني وذمتي الا الذهاب
الى سفارة الدولة العلية بها واطلاعها على الامر ولعلي أجد سبيلا للخلاص منه

فاظهرت له ما في تلك الخديوية من الخطأ وعلى الوجه الذي نبه عليه فوعدني بالنظر
حالة لا تحت السلطنة السنية

فاخبرت نقولاكي افندي بحالة الدار وأطلعته على الرسالة [illegible] وبينت
ان يعرض حقيقة المسئلة على الستة الثانية فبشرني بذلك [illegible] واستحسن هو
والمتوظف الجهاري في السفارة ابراهيم افندي رائف ان أطبع الرسالة وان أستعمل
لهم طريقة ضبطها وهي خارجة من المطبعة ففعلت وضبطوها بدون ان يكون منها نسخة
في الخارج حتى سلمت لهم المسودة ايضا ولما بلغ ذلك كاتب الخديو السابق في باريس
ضبط الرسالة بواسطة السفارة وابوليس أعلم الخديو السابق في الحال فأخذه بعض تشكك
في وارسل موسيو فنسان الوشاوي تابعه فتبعني من باريس الى إسمعيلية في السويس
مع الكاتب الذي كان عندي نقولا رعد وبعد ايام أعلمني الترشاوي المومى اليه بان استمر
في العمل في إسمعيلية فابيت ورجعت الى باريس وأعطيت علم السفارة بذلك فتحقق الخديو
ان لا اقترض للخديو السابق وقد أعطاني الحرية في سكني أي بلد أردتها وعاهدني على ذلك
فسلمته الاوراق واستريحت منه مدة باشا يصرف في الماهية مدة شهرين ثم قطعوها
عني وانا لا أزال انتظر ما يصدر من السفارة في شأني حتى ضاقت بي العيشة وكاد الوجه
يذل بي الى درجة لا ارضاها لنفسي ولا يسمت من نتيجة ما سبق الوعد به من السفارة
كتبت الى شاهين باشا ارومه أبين له عذر راتبه باشا لي واعلمه ان الاضطرار سيضطرني
الى عمل ما لا يرضونه من نشر مساويهم وتلاعبهم بالاسلام والمسلمين فاسرعوا بارسال صك
باشا التونسي فاعلمني ان الماهية لا تتجدد الا بالرجوع اليهم فأرضاني الاحتياج الى الرجوع
على شرط ان لا اكتب كتابة ما يخالف ديني ومشربي ورجعت معه الى رومه وبما في قلوبهم
من الضغائن على شرعوا يتفننون معي هاكن بانواع التحقير والاهانة حتى حدثت مسئلة
واحدى فاشتد الخديو يلاطفني ويكلفني ان اكتب الى محمود باشا سامي لعلاقة القرابة بينا
لاستمالته على السماح في دخول حرم الخديو السابق الى مصر وعلى بالبنية التي [illegible]
يريدون لأجلها دخول الحرم الى مصر وخوفي من حصول فتنة بواسطتهن تضر وتجورا
ساعي وكثير من المصريين أعلمت الباشا المشار اليه بالحقيقة حتى انبني على ذلك رد
الخديو بالحرم من الاسكندرية ولاجهاد عرابي في اقناع واسطة الخديو السابق الشيخ
عن العدول عن عدم دخول الحرم أضاع الحرم وقال له لا يجوز ادخال الحرم بعد ما منعنا
به ابراهيم المويلحي فوصل هذا الخبر الى الخديو السابق فكتمه عني واستشعرت باتهامهم بشر
توقعوه [illegible] وظهرت لي علائم ذلك [illegible] بلغ غايتها وقد راسلت
[illegible] ت على الأذن بتبديل الهواء الى (بيشدرنه) بلغ غايتها وقد راسلت
موسيو جليان قنصل الدولة العلية في رومه أنبهه على كثير من أمورهم ليعرضها الى

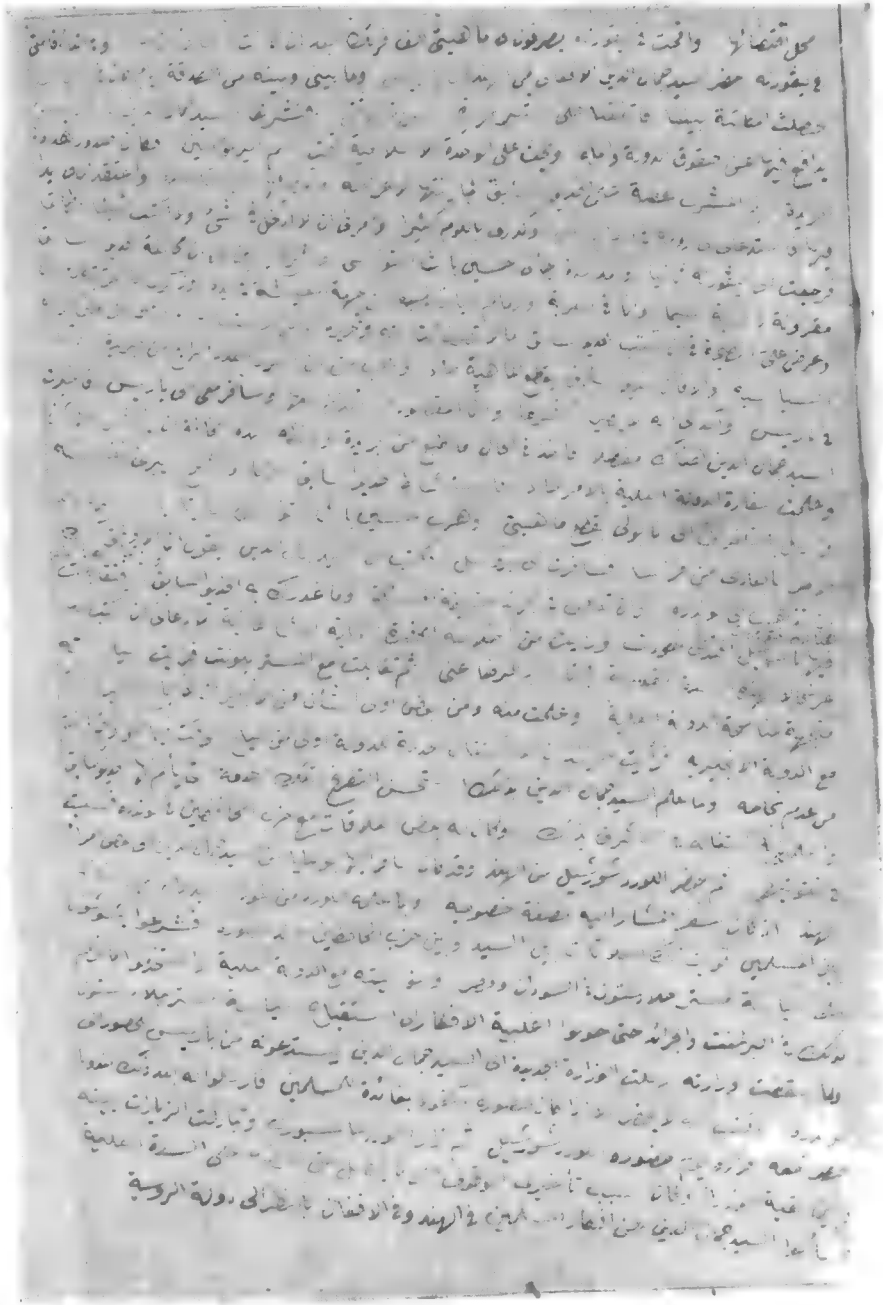

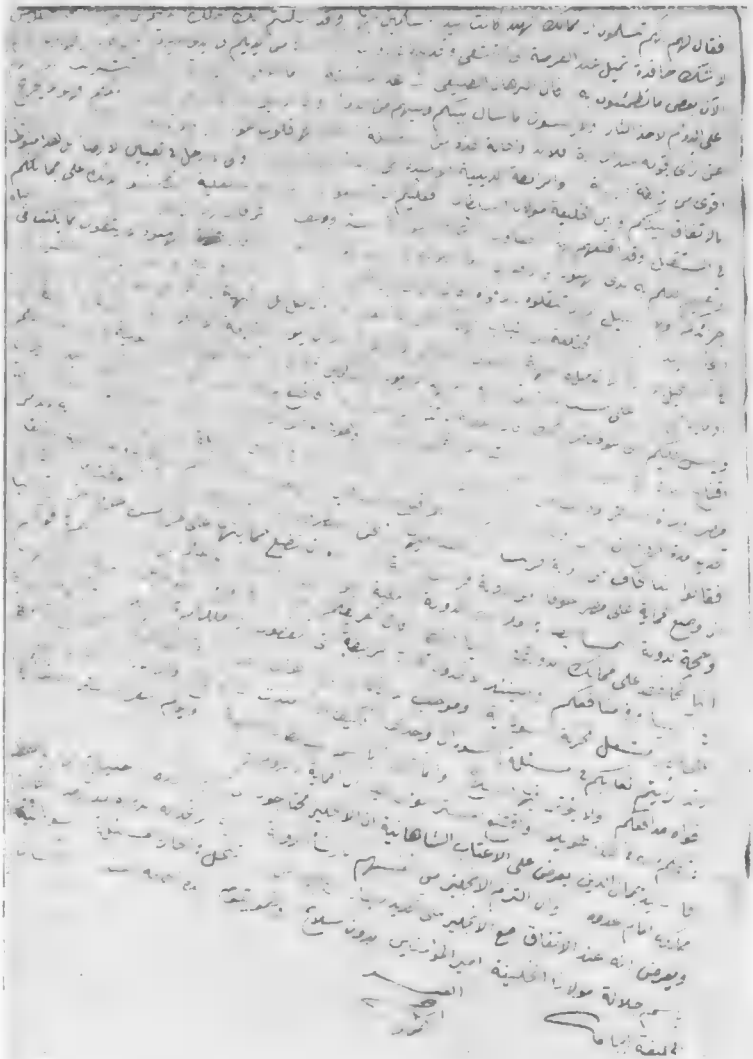

(١) نص هذا الخطاب فى الصفحات من ٨٠ إلى ٩١ من القسم العربى

من بيروت في ١٥ فبراير ١٨٨٣ الواقعة لـ رسم الثانى عشر

ان رسل سواي حظيرة قدس مولاي وأنا لم أفض فلم يجب ولم يعقوق فانى أخص هشم تلك الحظيرة واقربهم الى قدسها فأنا اشدهم خوفاً من مولاي وابعدهم تصوراً لعظمته وما تصورته غير العجز عن التصور فكلما ترجح في الوجود الا رسالة عشيني من هذا التصور غاش عمى هيبة وداهشه وأفنى ذهولة وغشيه حتى لا اعقل العجز ولا أعي الا التصور ولا اسمع الا الزجر ولا ابصر الا الخطة ولا أحس الا الضعف ولا أجد الا الحيرة بل لهذه كلها كلمات اكتفى بها عما يعروني حينئذ من الاحوال كما يكفى بما في الدنيا عما في الجنة على أنى لم اتهزم من هذه الاحوال لأول صدمة بل اثبت اغالبها وأعانى تلطيفها بالالتفات الى جانب حلم سيدى وسعة كرمه فلم يجدني هذه الالتفات الا رجاءً في غمرات ما أراني عند النظر الى جانب جلاله قد اقترفته من سوء الأدب بسبب الجرأة على ارادة مراسلة مولاى لمتطاول اعناق الحكماء موطئ نعله من العلياء مولاى لا ندري هل يعلم الحكمة ام الحكمة تعلمه ولا نفقه من المعنى ولا من المبنى منها مولاى لا تنتحاشى أن تقول فيه ان روح الطبيعة برزت في ثياب بشر تهدى عالمها الى ما تربح من اسرارها وترشد انباءها سبيل التعدن الحق الذى ضلوه وحسبوا انهم سلكوه فمن أنا اذاً وماذا اكون حتى ارفع وانطاول بها فتاة على مراسلته وهل لى من العلم الا ما رضى اياه وهل الرضى الا ما يلهمه الوالد لطفله من الكنايات التى تعلم ذوق الطفولية كما يكفى له مشدعن الجذب المنوطة بالكواكب بجبال من نور او كما يعبر له عن لذة العلم في ذوق الحلم بحلاوة السكر ونحو ذلك مما اذا اشبه الطفل وبلغ سن الادراك لم يجد بينه وبينه المكنى عنه نسبة تا وتعقل انه لم يكن مستقلا هذه هي منزلتى من مولاي بل منزلة جميع العالم منه ولن

أراني مهما بلغت بالفاحة يوصلني الى مرتبة الاستفادة وبشرشادا وذلك عادته
من أوكتي لنا ويعلم الله وسيدي اني ما قصدت بما قدمت عن تفضل من تقصير او دفع
توهم قصور ولكن وحق المولى يمينا قطع لساني اسحقت فيها ما حكيت الرصد قاولا ذكرت
الوفا لهذا ولم عادة شرف بسطه بعد حكاية حتى يجب مولاي التنكه بذكرها وهاهي
بداية الوجاك ونهاية الانجاز

لما سُبنا وهنا وفارقنا حياتنا الحقيقية (استاذنا وسيدنا) اخذ الهوم الجماعة
يتربص بنا الفرص لتوشينا غير مكتف ذلك الهيبة الهيبة الهيبة بما فعل من هنا وخيانة
وكاد قد نبه الضابط علينا فوكل بنا عيونا لا تكاد تطرف تراقب ما عسى ان يفرط منا من
هفوة او عثرة نؤخذ بها فلم نزل نحتال الحيوة ملازمة الفرص للجواهر لا تنفك عنا
اينما كنا وحيث حللنا وقد زاد ذلك نفور الناس منا حتى اصبحنا اجانب منهم وفيهم
وانما يشار الينا باطراف البنان بحيث متى كنا اذا حل احدنا بقهوة انفض جميع
من بها تباعا سراعا لا يكاد يبلوى احدهم على آخر فتخلو القهوة ويكسد سوقها ولا يدري
صاحبها ما السبب وكثيرا ما كنت انا وسعيد نفعل ذلك لهوا ولعبا ثم اشتفينا اشفافا
على ارباب القهاوى من الافلاس وهكذا اصبحنا بهذه الحال مصر كما مرى في قوم موسى
واخص بالتشفيه من بينهم كتابه جرائدهم ومن كانه يبالغ في الخضوع للسيد فقد كان
هذان الفريقان اشد هدة واحدا لسانا كأنهم يدرأون بذلك عن انفسهم شبهة
النسبة الى السيد وهذا بصرف النظر عن صاحب الاهرام فهو لا يزال كلما عنت له فرصة
يملأ عمود اول صحيفته بذكرنا لا سيما عند انتصار الانجليز فقد دندن ولطنطن وصرخ
وصوت وولول ونادى بان جميع ما جرى في مصر هو ثمرة مابزر جمال الدين وتلامذته
واما كتبة الجرائد الاجنبيه فلم اذكر لاحد منهم سوءا الا لكاتب التيمس الذي كان فياض
مع السيد اثر زيارته له فانه اراد ان يقدح فنحث وفتش على معايب فلم يجد وابى الا ان
يرمي المولى بان عيونه كانت تبرق ولم ندر ما اراد بهذا الوصف وكانه اعمى فرمى السيد
بالهوس اوصاف البصير

ولا اذكر جريدة الحكومة وما اتت به فقد قامت وقعدت وكرت وفرت وفكرت ودبرت
وغاصت في بحار السجع وسبحت ثم ادركها الكلل فنامت واحتلمت ثم تنبهت وتمطت
~~وتجشت~~ ثم تثاءبت وتجشت ثم لفظت شيئاً لاكته بعد ان قاءته امعاء اوليائها
ثم كلفت غيرها من الجرائد بأن تلوث وجوهها بتلك الفضلات فأبت مرآة الشرق الا
الطهارة فعوقبت بالتعطيل ستة اشهر واوعدت بالبحث في سوالف اعدادها زاعمين
انهم يذكرون لها الوقيعة في الدولة العلية (وماذا كان اسكتهم عما سلف) فآثرت
المرآة ان تحتجب اجتنابا للشر وتركت امر الوعيد لله

واذ علمنا ما هم يتربصونه بنا احرصنا كل الحرص غير مظهرين المبالاة والاكتراث آخذين
باطراف المكر والدهاء والخديعة مع شرف نفس وعلو همة واباء ضيم غير معتمدين ولا معولين
على احد الا فيما حدث لي عند فراق السيد اذ رفعت في حقي شكاوى عديدة الى الضبطية
ممن كانت مرآة الشرق تعلن مساويهم فاول طلب جاءني من الضبطية كان في غد رحيل
المولى فايقنت بالشر لجهلي بسر الطلب فبعثني هذا اليقين على التوجه الى موسيو فجري
وعرضت عليه الطلب فايقن بما ايقنت به ايضا وقال لا تخف وانما استصحب معك احدا
ليعود الي بخير ما يحصل لك واياك ان تنزعج او تقول اذا سئلت عن شيء الا الحق ففعلت
كذلك ولكن لما وجدت الطلب لاجل الشكاوى المذكورة حمدت الله وصرفتها بكلمتين
ليس الا فلم تبلغ الضبطية مني مرجوها وهكذا لبثنا ستة اشهر نعاني مقاومة الاضطهاد
وقد ظهر سر مولانا في خلال الستة الاشهر هذه بمظهر عجيب وذلك ان جماعة اسكندرية
الذين ظهر فيهم اثر خطبة المولى وهم آل بيت سرسق وقطه وزغيب والمخلع اجتمعوا
على القيام باعلاء كلمة السيد والندا بما كان ينادي به وضموا اليهم عصبة من المسلمين
وتعاونوا على اصدار جريدة نصفها عربي والنصف الآخر فرنساوي ينشرون فيها ما
جمع السيد عليه كلمتهم في خطبته ~~وعظه~~ فأخذت تلك الجريدة من اول يوم صدرت فيه شهرة
لم تأخذها اشهر جرائد اوروبا بعد عدة سنين على انها جانبت التهور والحدة فوق

ما يوجبه عليهم الادب والاعتدال حتى لقدتها فتقت على تسوئتها سائر الجرائد المحلية عربية وافرنجية حقدا عليها وتملقا الى رياض باشا اذ حسبوا ان تلك الجريدة صنيعة شريف باشا فأخرستهم جميعا بما اوجب الثناء عليها وحبتهم فيها رغم انفهم ولم يكن عمل هولاء الجماعة مقصورا على تلك الجريدة بل كانوا دونوا لائحة اصلاح وجاء بها وفد منهم الى مصر ورفعها الى الخديو وسأله عن لسان الجمعية العمل بها فتنقص الخديو من ذلك ولكن لم يستطع الا الاحتمال والصمت ثم اخذوا ايضا في تدوين لوائح غير تلك بما يرون وجوب اجرائه في القطر ولكن من سوء البخت ان رياض باشا الذي كان وقتئذ ناظر النظار يرى ان المصريين ليسوا اهلا لمثل هذه الحرية وهي عقيدته التي يعلمها فيه سيدي والتي هي عيبه الوحيد فتصدى تلك الجريدة وكلف ناظر المطبوعات الذي كان وقتئذ ايتاليانيا بتعطيلها فاستعصم فكلف نفس ناظر الخارجية بذلك ففعل على غير العادة فلم يكن من الجمعية الا ان رفعوا على الحكومة قضية فقضي لهم وهموا باصدار الجريدة ثانيا لولا ان المسلمين الذين كانوا في جمعيتهم تفرقوا عنهم بل وتصدوا لائذائهم نفاقا فعجبوا وسخطوا قائلين انما نحن نخدم بذلك المصريين لا نخدم انفسنا اذ ما من احد منا الا وهو رعية دولة اجنبية وفي مأمن من استبداد الحكومة المصرية وفي غنى عن حريتها فحيث ابى المصريون الاشتراك في هذه الخدمة فما لنا وهذا العنا الذي ليس لاشخاصنا منه فائدة ومن حينئذ كفوا عن مشروعهم فلا حول ولا قوة الا بالله

ثم لم تمض علينا هذه الاشهر الستة الا وقد تنقل بنا الدهر فاحلنا المكانة العليا والمنزلة القصوى فتولى الشيخ محمد عبده تحرير الوقائع وضم اليه اخواننا الطلبة كالشيخ عبد الكريم وسعد زغلول والسيد وفا والشيخ داغر والشيخ محمد خليل وتولى علي بك مظهر رياسة القلم العربي بمجلس النظار وتولى هذا الخادم وظيفة الكاتب الثاني بنظارة الاشغال وبالجملة لم يبق احد من المخلصين في محبة السيد الا وقد ظهر شأنه وارتفعت مكانته حتى اندهش الناس من هذا الانتقال السريع الذي كنا - بعد توقعهم تلاشينا

وما منعهم من ان يقولوا علينا سحرة الا تخاشيهم من الظاهر باعتقاد السحر المعدود في ذوقه المتنورين من الخرافات . وكان لهذا الاستقلال الواقع في افئدة الناس رهبة وهيبة وحملهم على تعظيمنا وتكريمنا ومراعاة الادب والاحتشام في مجالسنا حتى كنا نضحك من ذلك فيما بيننا واذا خلونا وانا ارى ان ذلك الاستقلال هو العلة التامة في تعظيمنا لاحد بحيث كنا لو دخل احد منا بمجلس طأطأ له الرؤس وخرست الانفاس وصاحت له الاذان وتعلقت له بقية الاعضاء وانما ذلك لسر اثره بزر غرسه فينا استاذنا وتقويمنا بما اوعبه بنا من علم الحكم فزهى وابهج

على ان خيرة هذا الاستقلال لم تسكر نا فتسينا اخذ الحذر من (خرزنور) اريد توقيفا اذ كان لم يزل بنفسه منا ما كان اولا بل زاد تقدمنا صفا عينا واحتياطا منا وما غل يديه عن البطش بنا الا ما كان مصابا به في عهد وزارة رياض من اختلال القوة وفقد النفوذ اذ لم يكن معه مستطيعا حلا ولا عقدا ولا امرا ولا نهيا بل محجر عليه فعل ما هو من حقوقه كاعطاء الرتب الدورية مجلس النظار فيها تشاء هي بها تشاء ان تتحكم مصر توأما لرياض لو بقيت في يد اهلها

وقد زاد حذرنا عند ما ابتدئت الحوادث الاخيرة التي سموها عصيانا فجاءنا الدخول فيها بمعظمنا سالكين طريقة من ليس له في الامر شيء زاهدين في الثواب زاهدنا في العقاب لا رغبة عن الحرية لو ضاءت وراءها بل لعلمنا بالباعث الحقيقي على تلك الحركة وجزمنا بضعف القائمين بها وجهلهم بما يجب لها راجين مع هذا ان نسلم من تحميض نسبتها الينا اذ لم يكن يحصل بمجرد اني حركة من هذا القبيل الاعدو لها من آثار استاذنا وتلامذته ولهذا فانا هدنا الله تعالى حيث لم يكن لسيد بمصر ايام هذه الحوادث والد فكان اول محاسنه فلله الشكر والثناء

ثم انتهت تلك الحوادث باستوزار عصبتها فاخذوا في تنقية الوظائف من العلق القديم وانتقوا لها من الشباب من رأوه خليقا بها فكنا فيمن وقع اختيارهم عليه

فتولى محمد عبده فوق تحرير الوقائع رياسة قلم المطبوعات الشرقية عربية وتركية وغيرها (وان لم يعرف غير الاولى) وصار هذا الضعيف (انا) مفتشا بالداخلية وسعد زغلول معاونا بها فزاد بذلك ارتفاع شأننا ولكن عُدَّ ذنبا لنا عند حزب الخديو على اننا وعلى الخصوص ابراهيم لم نخرج عن الحد الذي اوقفنا انفسنا عنده في تلك الحوادث ولم نكن نتظاهر بالميل مع اي الحزبين ولم يكن لنا فعل في جريان الحوادث غير ما كان يطلب منا من الآراء والمشورة ولم يكن من رأينا الا اجتناب اسباب الحرب والاجتهاد في دفع وساوس المستر مالت قنصل انكلترا الجنرال وفي مداهاته ومسالمته واجتذابه

وقد كان الناس جميعا الا النزر اليسير سروا بانتهاء الوزارة الى العصبة المذكورة وصيرورة الحكومة شورية فاخذوا في اسباب اعلان السرور فكانوا يتسابقون الى اعداد الليالي لتلاوة الخطب لا للسكر والطرب واكثر ما كانوا يعولون في الخطابة على تلامذة السيد الا اننا كنا نروغ ونحاول الخلاص من ذلك فلا نجد مفرا خصوصا وقد كان الوزراء هم الذين يندبوننا غالبا الى ارتقاء المنابر فنمتثل ولكن لا نخرج فيما نقول عن حد الاعتدال فطار بذلك صيتنا واشتهر امرنا فعدوا ذلك لنا ذنبا ثانيا وتم اعتقاد حزب الخديو باننا من حزب العصاة

ثم استفحلت الحوادث بدسائس مالت وسقطت تلك الوزارة وآل الامر الى مفاجأة انجلترا بضرب مصر ضربا لا يسوغه قانون ولا ترضاه عوائد المتوحشين فضلا عمن يدعون التمدن ثم انجلت الحرب عن هزيمة المصريين بدسائس الخديو وسلطان باشا فأخذت الحكومة في القبض على رؤس العصبة واعداد المشانق لهم ظنا من الخديو انه سيكون حرا فيما يريد ويشتهي وان الانجليز ما بذلوا مالهم واراقوا دماءهم الا لتأييد جنابه حقيقة عشقا فيه وشغفا به لتنال ويكتوريا من حسنه وجماله ما قضت عمرها في تمنيه منه ولكن ما انبهه وما اذكاه فقد فهم اليوم انهم ما جاؤا الا لتقييده لا لتأييده

وقد كنا في ضمن هؤلاء الرؤس المقبوض عليهم فدخلنا السجن جازمين بالقتل ولكن

ويم الذمة ما نبضت لنا فريصة ولا خفق لنا قلب ولا شابنا انزعاج الا ما داخلنا
من الاشفاق على تيتيم اطفالنا على ان الانجليز لم تدعه يتمكن من الانتقام والتشفي
وانما جارته على هواه الى ان احتلت بانحاء القطر وتغلغلت في احشائه وتمكنت
من القلاع والحصون والثغور وجمعت جميع ما في القطر من انواع الاسلحة ثم تظاهرت
برأيها من انه لا بد من المحاكمة لا رأفة منها استغفر الله ولكن استمالة للافئدة بما
توهمه بهذا الفعل من انها عادلة منصفة وجعلت للخديو بسلامته نصيبا من هذا
الاتهام اذ بنته على اوامره ليقال عنها انها ايدت رجلا عادلا وحينئذ شكلوا من المجالس
ما شكلوا واجمعوا رأيهم على محاكمة الاشقى فالاشقى فاحصوا اولى الدرجة الاولى
من الشقاوة بحسب انتقاء الخديو ومن بحاشيته من الصغار ونقلوهم من سجن الضبطية
الى محل آخر اعدوه لسجنهم وزعموا انه على نمط سجن الاشقياء في اوروبا وما اظنهم
صادقين في زعمهم هذا والا لكان حكام اوروبا افظ الناس واغلظهم جانبا واقساهم
واخشنهم قلبا فاني كنت محسوبا من ارباب هاته الدرجة وسجنت في هذا السجن
خمسة اشهر او اياما وها انا اصفه لمولاي على ما هو عليه بلا زيادة ولا نقصان
ويقيسه ان شاء على ما هو مشاهد له الآن في فرانسا . هو عبارة عن حجرة ليس
بها متنفس الا منفذا صغيرا مما يلي السقف عليه شباك من حديد ضيق الابعاد جدا يليه
منسوج من سلك لا تزيد مساحته عن مسام الخرقة بحيث لا يكون الضوء في تلك الحجرة
عند محاذاة الشمس لذلك المنفذ الا بمقدار ما يرى الانسان ان يضع قدمه وفي تلك
الحجرة رطوبة لا يمكن اتقاؤها ولا اتقاء ما يصعد عنها من الروائح الكريهة التي اثرت
ببصري تأثيرا لم يزل بي حتى الآن ثم هي لا تفتح لا ليلا ولا نهارا الا لحظة عند
الصباح ولحظة عند المساء لقضاء الحاجة على انهم لا يمكنوننا من قضائها على وجه الصحة
بل كانوا يستحثوننا وربما دخلوا المرحاض وانهضونا رغما ولذلك كنا كثيرا ما نفطر
الى قضائها داخل الحجرة وكانوا يحظرون علينا الاستصباح وتناول الدخان ومطالعة

الكتب وتلاوة القرآن والكتابة فكانوا يمنعون وصول شئ من اسباب ذلك
الينا وعلى الخصوص اذا كان جرنالا ولزيادة احتياطهم كانوا كل يومين يأتوننا
فيفتشوننا تفتيشا مهينا خوفا من ان يكون قد وصل الينا شئ من المحظور علينا مثل
كبريت او ورق ولو ابيض ثم ينفصلون عنا بعد ان يوسعونا اهانة وتهديدا وابعادا
بالقتل والسلب ونوسعهم تجلدا وثباتا وكانوا ايضا يمنعون وصول اهلنا
وخدمنا الينا وانما اذا جئ لنا بطعام او لباس من قبل اهلنا حمله السجانون
الينا من غير ان نرى من جاء به او يرانا وربما جهلوا صاحب الشئ فاعطوه لغيره
وهذا بعد ان يتناولوا منه لانفسهم ما يشتهون ويعطوننا الباقي كصدقة يطرحونه
من بعد فيكسر من الاواني ما يكسر ويتلوث من الثياب ما يتلوث وتنال الارض
من الطعام نصيبها هذا هو مجمل اوصاف السجن فهل هو كذلك في اوروبا . نعم كان
يستطيع تلطيف هذه الشدة من يبسط يده بالبذل فقد تحصل بعضهم على العلبة
من الكبريت بليرا انجليزية فكم يكون ثمن غيرها من انواع التلطيف وقد تحصل
محمد افندي الصدر على دواة وقلم بثلاثة عشر ليرا وعلى هذا القياس يا سيدي
وهو قياس ينتج ان مثلي عانى الشدة طول المدة ولم يستطع الى التلطيف سبيلا
وما هي بالمدة القصيرة بل خمسة اشهر الا اياما
على ان الانجليز كانوا عينوا مفتشين منهم للسجون يمرون علينا مرة في كل اسبوع يسئلوننا
عن احوالنا وعما عسانا نشكو منه فكنا نكتم عنهم حقيقة الحال الا ما يضر بالصحة مخافة
ان تقع شكوانا الى مسامع الخرنوص (توفيق) بواسطة السجانين الذين هم من اعوانه
فلا يعدم حيلة الى ايذانا وما ذلك الا لانقطاع اخبار الخارج عنا وجهلنا بما هو
عليه من الضعف وسقوط المنزلة والا لكنا تخلصنا من هول تلك الشدة غير مكترثين
بما كان يصل الينا من التهديد والوعيد ولكن ما هي حيلة الجاهل الذي ما عرف حلول العيد
الا بتوالي اطلاق المدافع اربعة ايام في كل وقت من الاوقات الخمسة

ما كان لنا مؤنس في الهجين الوقيل الذي يقرب حلول دورنا في المحاكمة ولم صامر الاهرجين لخاطر بما ندافع به عن انفسنا وقت المراقبة فكانت تنشر وتشرع من هذه الخواطر وتمحى ذاتها امامي عديدة من الغلبة وكسب الترف والفخار في مقام المحاكمة وطلب عوض ما لحقها من الاهانة والضرر والخسائر الغير ذلك من الاوهام التي كانت كأنها بيد اينا ثم استيقظنا فلم نجدها . وذلك انهم راوا المحاكمة تؤدي الى اهانة المتهم (توفيق) بوقوفه صغيرا في ملعب في مقام المراقبة والى القاء المسؤولية بتمامها على عاتقه وهذا يدلي الى فضيحة الانجليز بتاييده لنا ولدرما مثل هذا فاحبت ان تتلافى هذه الفضيحة من وجه والخديو تواقع وتراعي على الورد او فرين من وجه آخر فجعلت المسألة على وجه سياسي لا وجه قانوني وكانت قد تواطأت مع عرابي ورفاقه على بث المسألة بهذه الطريقة فوقعت فادعى المحامي عن عرابي وستة معه بالحكم بالقتل وان الخديو تنازل الى المؤبد وفوضوا امرهم باقي المحكوم عليهم الى الخديو فاطلق من اطلق وجرد من جرد ونفى من نفى كل ذلك بالاستبداد والهوى لا بالتحقيق والانصاف

وكنت انا والشيخ محمد عبده في ضمن من حكم عليهم بالنفي كل ثلاث خارج القطر المصري بعد ان كان محكوما علي بسبع سنين وعلى الشيخ محمد بعشر سنين في توكر وهي بلد بالسودان فوقع مصوع وسواكن تحقيف جدا وقع بيد سعادة العلامة الفيلسوف علي مبارك باشا وبيد مشريف باشا اما سعادة الاول فكان يحاول تقيينا الى حيث لا نتمتع بالحياة ولا نعود جزاء احسانا اليه وتصنيفنا له التصانيف التي يتيه بها على العلماء فضلا عن الدولة من ان نحكم عليه بشيء من ذلك ثوابا له الراتب الذي كنا نأخذه من الحكومة في نظير عملنا بها وكان اشفق ان نتم بانتقاله تلك التصانيف في يوم ما من الايام لو بعد موته فيضيع صيته الباطل سدى فاراد ان يجعل بفقدنا فطلب اما نُنفى هذا النفي القاطع للحياة . واما سعادة مشريف باشا

حفظه الله فكان يحاول اطلاقنا والوصلة بيننا وبينه البتة فلا ادري ما الذي بعثه على المدافعة عنا جزاه الله خير الجزاء فقد كانت مدافعته سببا لتلطيف الحكم ورفع الاذى الذي اراده بنا على مبارك لعنة الله عليه

وفاتني ان اذكر لمولدي انهم ساووا في السجن بينه وبين تلامذته ورؤس العصبة اي عرابي وباقي السبعة الذين اختاروا القتل فاوردوا الكل مناهل سجن على حدته وزادوا في التشديد عليه فوق ما عاملوا به عامة المسجونين ولو كان الامر بيد البعر (توفيق) لاستفتح بقتلنا قبل كل من كان يود الانتقام منهم ولكن الله سلم

ثم بعد تكلم طويل بيننا انتفى اخذ واخذ قررنا جماعة فجماعة الى حيث ما يريده كل شخص من الجهات فلما جاء دور الجماعة الذين كنت مخدومهم ونقلنا الى سجن اسكندرية يقرقصون بنا صيحات سير الوابورات رايت في السجن رجلا اعجميا طويل اللحية عليه سيما المرض اقبل يسلم علي سلام الاصحاب مع دهشة اعرفها وبشاشة لا عهد بها وانما زجها تعامل المريض وتأده المظلوم فتأملت طلعته وتفرست هيئته فوجدتني اعرفه فكدت اصيح والتي دهشت وطشت وذهلت وغبت عن وجودي فاني وجدته ابا تراب اويس اني خليفي بتلك الدهشة كيف ولي فرصة لو فاجأت الجن الصلد لذاب ما او طار انجذابا . ثم بعد ان وقفت منه على ما فصله لمولدي وعولده حمدت الله على مصيبته قد رهم على مصيبتي اذ كانت مصيبة كل فائدة لصاحبه واقل ما في ذلك زوال وحشة الانفراد

هذا موجز ما كان مما يتعلق بنا بعد فراق سيدنا وقد اضربت عن حوادث كثيرة جرت في خلال ذلك وكنت قيدتها واضحة فاستوعبت مجلدا لطيف الحجم واد خرته على نية ان ارفعه فكالهة الى سيدنا عند ما يسمح في الاطلاق بقيامه فاني كنت وما زال أمنّي النفس برؤيته عاملا على بلوغ هذه الأمنية ما دمت حيا فاني وحقه لا ارى الحياة حياة الا بخدمته . وهذا المجلد كان قاصرا على ما جرى من عهد فراق السيد الى ابتداء الحوادث الاخيرة المماثلة عصيانا مستفتحا بذكر السيد وما قبله وما فعله عصر من المواهب

وما تركه بها من الآثار التي ما خدم بها الاسلام احد قبله والتي لا يقوم بشكره عليها الا الحقيقة المحمدية . واما ما جرى من ابتداء الحوادث الاخيرة الى ليلة القبض عليّ فقد افردتها بالتقييد وعنيت بها عناية المؤرخ الناقد على قدر ما وصل اليه حولي حاكيا لكل حادثة منها على ما ظهر واشتهر ومردفا لها بما بطن من امرها واستتر على ما ينبغي من الضبط والدقة وما يوجبه النظر فيها من التجريح والتصحيح والتخطئة والتصويب فاستوعبت هذه الحوادث ايضا مجلدا اعظم حجما من الاول وادخرته كذلك ليكون لي اذا راق مولاي اثرا وذكرا . غير ان الظلم يا سيدي لا يبقي ولا يذر فانهم ليلة ان قبضوا عليّ اقاموا على المنزل غفرا محافظة على ما فيه الى ان يهاجموه ويضبطوا ما يضبطونه منه كما فعلوا بمنزل الشيخ محمد عبده من قبل بليلة اذ ضبطوا جميع ما به من الاوراق فاوعزت الى اختي عندما وقفت على نيتهم في ليلة القبض ان توارى سائر ما عندي من الورق الا ما كان منها مجلدا مطبوعا فلم تتمكن من فعل ما اوعزت به اليها فان العسكر الذين كانوا غفرا على المنزل منعوا خروج كل شيء بل منعوا خروج احد من اهل المنزل ودخول احد منهم اليهم ولهذا فلم تجد بدا من طرحه في المرحاض فذهبت ذكراي فيما لا يذكر

ها انا قد بسطت ما اردت بسطه من حكاية حالنا فلأعرض على مولاي ما اردته بهذه الألوكة . قد قضى علينا السجن ببيع امتعة منازلنا حتى الغطاء والوطاء لسد الرمق باثمانها فلم ينقض السجن الا وقد نفد جميع ما لدينا فتخيرنا ان ننفي الى بلاد دولتنا رجاء ان نجد بها ملجأ ونصادف فيها مخلصا فنحصل على ما يقيم اودنا الى ان يقضي الدهر بما هو قاض تاركين امر عيالنا في مصر الى الله تفعل بهم الصدفة العمياء ما هي فاعله فجئنا بيروت فلم يستغربنا المقام حتى امرنا بالخروج منها وانه لا نطأ ارضا للدولة العلية مطلقا فحزنا في امرنا وحملنا الاضطرار على استرحام الباب العالي على النحو الذي فصله ابو تراب لسيدي فاذا لم يستجب الباب العالي دعاءنا فما هي الحيلة وماذا نصنع واين نذهب ولسنا على شيء يؤهلنا الى قصد اوروبا ولا عندنا من الثروة ما يساعدنا على المقام فيها وما سألنا سيدنا هذا السؤال طالبين منه الجواب

(تتمة الحديث في ظهر الرسالة)

الا لأنه هو السبب في ظهورنا وافتتاح بصائرنا وقد كنا أولا نسبح في بحار الغفلة متلذذين بأوهامنا متنعمين بخرافاتنا
نقرأ وردنا وننام لا علينا ولا لنا فجئت واستنقذتنا من هذه الاوهام واستخلصتنا من الخمول فاحييت لنا بذلك احساسا
كان فاقدا منا وشعورا لم نكن نعهده فينا فصرنا نتألم من كل ما لا يلائم هذا الاحساس ونتأذى من كل ما لا يجانس ذلك الشعور
ولا شيء في مصر مما يلائم هذا او يجانس ذاك فنحن على الدوام في ألم وتململ وانت انت السبب في ذلك (وعجيب اننا لا نتفك
نشكرك على فكك عوضا عن ان نشكوك) فعلى سيدنا ان يهدينا السبيل الذي نسلكه فيما نزل بنا من المصاب واسأل الله ان يهدينا سبيلا
يوصلنا الى الاجتماع بمولانا حفظه الله هذا واني اختم هذا الحديث بلثم اعتاب مجلسه (ع)

عزيز فضلكم
ابراهيم
اللقاني

حضرة الشيخ محمد عبده حضرة تحرير هذه الاوكة وسألني
ان ارفع فيها الى سيدنا ما هو واجب عليه من تقبيل اقدام
ولثم راحات وغير ذلك مما يكفيني مؤنة ذلك علم المولى
بحال تلامذته
واذا شاء السيد ان يتفضل على خادمه ابي تراب
او عبده ابراهيم بشيء من الكتابة فليكن عنوانه
باسم السيد عبد القادر افندي القباني مدير
جريدة ثمرات الفنون

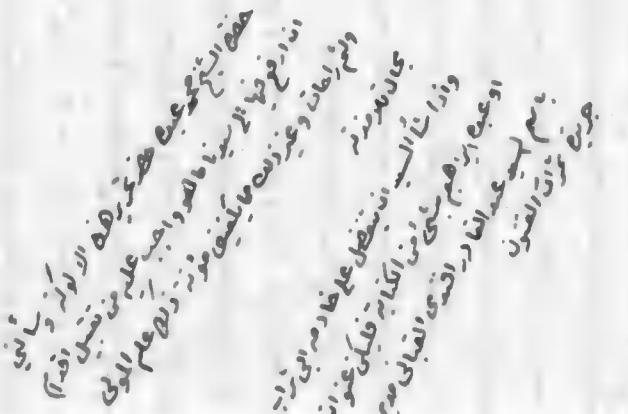

(٢) نص هذا الخطاب فى الصفحات من ٩٣ إلى ٩٦ من القسم العربى

والباب العالي وعزنا ذلك بمريضة طويلة رفعنا لها الى والد سوريا ثم سكتوا وسكتنا
فحسبنا هذا السكوت اعتذاراً ورضاءً وكان سيأتي في ذلك والله اعلم ان نكون على ريبة
مستمرة في امرنا فنظل بها في شغل شاغل عن الوقوف على امور اخرى فيما يجيء لو رأوا منا
أدنى شيء مما يتوهمون انها عاونا تقتضي الامر الاول الذي لم ينسخوه شيئاً صريحاً ليكون
ذلك حراماً لنا كفعل الزاجر تهديداً وارهاباً وعلى ذكر ذلك اقص على سيدي امراً لا شك
عندي في انه يملأه سروراً والهوى الحق يبدو عند صدور الامر الاول هاجوا وماجوا
فتوراً منه وتحمراراً وغلت رؤوسهم حيرة وحمية فتجهم الوجوه منهم وساروا الى دار الولاية
متعاونين على نسخ هذا الامر واسفروا الوالي عما فعل باشد تهم والله ذعر المسلمين من
التأثير وما عساه يفعل فعواً كما سلم في الكرة الارضية ولم يرتاعوا من عنده حتى
رأوه على ضربهم بل ووعدهم بانه يبذل جهده في نسخه ولم يمض غير قليل حتى اوعز الى
بعضهم بأن يسكن روعنا ولكن لا يسعه الجزم فيه فهذا المقصود واطمأننا فانظر يا سيدي
هذه الهمة وقسها على الهمة المصرية الذين كانت حكومتهم يوم ان اغرمت مولانا في
غاية الوهن ونهاية الخوف من حصول ثورة هائلة تقطع وتزعزع اركان البلاد حتى
حملها على هذا التخوف على ان بثت في البلد قوة للمحافظة على الراحة فوثبت العادة وشرت
الجواسيس في سائر الانحاء التي توقعت انتشار الثورة منها ولهم اي الحصريون لم يكونوا
يوماً شيئاً ما توهمته الحكومة بل كانوا على عكس ذلك فبلغ الخوف من قلوبهم انهم كانوا يتوارون
ويتمارضون في المنازل بل منهم من بادر في حينه الى السفر وتغيب حتى انقطعت السيرة
وجزم بالامن فصدعوا كما كانوا يتظاهرون به من بعض السبب والوقيعة فيه رغماً عن انفسهم
الدنيئة وليس ذلك بعجيب على امة مثل المصرية لبثت كذا كذا احقابا تحت ضغط
الاستعباد ونير الاستبداد حتى تحولت خلائق دمها الى برودة وتأثرت نفوسها تأثراً
اودى بملكاتها الغريزية واحدث فيها اخلاقاً من اضدادها رسخت بتوالي الدهور فصارت
ملكات ثابتة يتوارثها عقب عن عقب وجيل عن جيل فأنى لها بمحو هذه العادة

تلك الا بعد ان يمضي عليهم في التربية والعلاج مثل ما مضى عليهم في الاستعباد والاستبداد
وهيهات هيهات فهم على هذه الاخلاق يعيشون وعليها يموتون فانا لله وانا اليه راجعون
ثم ما اعظم مصابهم وما اسوء بختهم ان تركتهم فرانسا تحت ظل انجلترا ونسيت ان انجلترا
هي التي اخرجت نابليون من مصر عنوة بعد ان روّى ارضها من دم رجاله وخسر فيها
ما خسر من ماله ومن يا ترى للمصريين إن اقعد فرانسا التخوف من بسمارك عن اخذها
بالثار من انجلترا وعن تدارك سوء سياستها حيث تركت انجلترا تنفرد بالعمل في مصر غير
متذكرة خيانتها وهل اكتفت بتونس عوضا عن حقوقها في وادي النيل البهي الخصب ام
بينها وبين انجلترا اتفاق آخر لم يزل وراء حجاب الخفاء ومهما يكن من الامر فقد لعبت سياسة
انجلترا بسياسة فرانسا وساعد الاولى ما حدث من الخلل في داخلية الثانية حتى ولقد كان
لحدوث هذا الخلل من التأثير في قلوب المصريين ما لا أظن وقوعه في قلوب الجمهوريين
من اهل فرانسا فان المصريين لا يرجون خلاصهم من اسر الانجليز الا على يد فرانسا وهم
اذا كان لا بد من استيلاء دولة اجنبية عليهم يفضلون استيلاء فرانسا ولو اماتتهم على
استيلاء انكلترا ولو احيتهم ولذلك تراهم يتوقعون قدومها آناء الليل واطراف النهار
حتى ان الانجليز اجروا يوما من الايام مناورة لاطفاء ثورة داخلية على فرض حصولها
فظن المصريون ان فرانسا قد دهمت الانجليز بخيلها ورجلها وخرج الكثير منهم لملاقاة
رجالها بالفرح والسرور وكثرت القالة فمنهم من يقول انها قادمة من طريق الفيوم
ومنهم من يقول من طريق القصير وهلم جرا حتى اضطر الانجليز الى اتخاذ الوسائل لقطع
هذه الاراجيف ونشرت الحكومة في جريدتها ما يكذب ذلك ايضا فتكدر المصريون كدرا
شديدا لخلف ظنهم بالجملة فالمصريون في حنق محرق على الانجليز وان كانوا اذا
انقطع املهم من فرانسا يؤثرون بقاءها على تمحيض السلطة للخديو كما انهم في حنق
اشد من ذلك على ابي نظارة حيث لم تتحقق الى الان نبوة من نبواته وان كانوا لا
يزالون يتفالون في الحصول عليه عند وروده كأنهم ليتروحوا بتلاوة ما فيه ميلا مع امانيهم

واما لم يجزموا بتحققها فلو بلغ عنى الى ابانطاق بالوصاية عن نفسى وبالنيابة عن سائر المصريين انا بعد السلام عليه كافروه به اذ لا يحل الايمان عن لم تثبت نبوته والوفاء بتنابه ليل على صدق تحديه فقد سمعنا معاشر المصريين وآذنت نفوسنا ان تتلاشى وتكون تعيش لها وغا وما كنا نصدق بحدوث ما حدث فينا من الحرية الاخيرة التى سموها عصيانا حتى جاءت الدولة الباغية الطاغية وانتزعت افوقنا بحجتها الدهشة وعضدتها فرانسا بحرة بسكوتها فاضاعتنا واضاعت حقوقها وحاضر فرانسا نوتر تنا ناخذ حريتنا مع حفظنا لصالحها كما اخذت حريتها فيما مضى بمثل ذلك كما يقضى عليها بذلك ناموس الانسانية وحريتها فهل اشفقت منا على مصالحها ووثقت من انجلترا ام ماذا يا ترى وهل لم تكتب لقد انجلترا انها هنا ام حسبت واعدت لذلك استعدادات تليق بها شرفها وظهرها واين هذا وعنى يظهر لعل الربيع موعدنا بذلك اللهم حقق ذا موعود عاء المخطر الطائش مع علمنا استبعادنا لحصول ذلك فيما لا ظهر فى فرانسا من الخلل الذى حدث لحدوث رجل واحد كأن الله لم يخلق فيها سواه على كثرة عدد اهلها وكثرة العلماء والاحرار فيها والله لو كنت انا فرانسا ويا وشاهدت هذا الخلل لموت رجل وجد لاخذتنى الغيرة على شرف فرانسا ان يقال انها بنت موت رجل تموت بموته واجهدت النفس على جعلها فى امة تحل من الناس محل هذا الرجل واحفظ زمام الامة المجهولة كما كان حافظا له والا فما معنى كون امة عظيمة كفرانسا تحتوى نظامها لنفر اصله جوهرة وجد من عقلها ولو كانت تلك الواحدة هى الوسطى اما هذا من العجب بمكان عظيم او لعل حكومة هى التى قصدت ان يبلغ الخلل من البلد هذا المبلغ لتتخذه عذرا فى قعادها عن صارعة انجلترا فى مصر عصارعة ففيه حتى لا يلجوها عارض هذا القعاد فى تاريخ مستقبلها او يقال انها آثرت الاشتغال بد خليتها على الاشتغال بالخارجية اقتدا بالاخرى كما كان الحديو فى اول الثورة يرسل جنده الى السودان ان اهل امريكا وعد يستقبل ليكون ذلك داعيا الى هذا الوجود فى مصر فستدنى قوة عرابى وقد كانت عاقبة هذه السياسة تغلب المهدى على الترك فى السودان بل يمكننا ان نقول ان السودان خرج من يد حكومة بالمرة ولكن ما اظن فرانسا تفعل هذه السياسة (نؤجل باقى الحديث الى رسالة اخرى) ارهم عبدكم

ابو تراب عارف الغالى

(٣) نص هذا الخطاب فى الصفحات من ٩٨ إلى ١٠٢ من القسم العربى

وجلو صدأ نفوسنا وغسل درن ارواحنا وطهر دنس طباعنا واذهب رجس اخلاقنا
وامهد لنا سبل الفضائل وسد دوننا ابواب الرذائل وادوعنا وحاطنا بطبقة من شعشعة نور
الامكان للشعاع عن مصدع شرق اوغرب . فاي طبع للعصريه او للعفاريت او للمردة
او للشياطين لا يتحول بتلك التربية امم اي جبلة للبهائم او للانعام او للوحوش لا تتغير
بتلك المعالج امم اي نفس بشرية او كلبية او خنزيرية او قردية تعاود حرارة الحنا بعد ما
ذاقت حلاوة التهذيب والادب تتمرد يمثل هذا احتجاجا علينا بقول القائل

اذا كان الطباع طباع سوء فلا ادب يفيد ولا اديب

فوالله لئن بلغت منا الجسة والدناءة والخبث مبلغا لا يهتدي معه الى جادة ما صلحنا سبيل الى
سبيله ولا شاذنا ولا ولينا فليتق الله فينا وليرحم نفوسنا الى يقتلها صبرا بشكلنا وفاتها الا
يحوجها ان تطالبه بظلامتها فيما تشكوه

تنسى عن الحب ما حادت وما غفلت جاي ذنب وقان الله قد قبلت

فنحن جاليون في اي زمان واي مكان وعلى اي حال واي شكل واي وضع واي هيئة
وباي اعتبار واي حسبان واي نظر وبالجملة فنحن نحن والسلام

هذا محصل ما كنت اريد ان اجعله موضوع شكايتي وهو باعث عتابي ولم اشكك ولم اعاتب رغبة
وتأدبا وحسبي بعد السيد منصفا بي ضنه . استغفر الله بل لا اساء فوق ان يكشفني عن وجه
الشك لا توجه ما ابرمني وما هو فيما اظن الا ما وقع لي مما عهد الشريف عن الشيخ محمد عبده فاعتقده
صدقا ثم جعل سائر العصريين في ذلك حكما واحدا (وسر عان ما يصدق وسرعان ما يحكم) فاته
صدق ظني فيها وانا عن اذنا لهيبه اكشفنا عن كذبه تلك الحماية كما وعدت في الحاشية التي وقفتها على
رسالة الدين تراجع جملها البريد الى السيد منذ بضعة ايام

وذكر ان الدهر ما تنقل بنا الى الرقعة والشأن على ما بسطته لمولاي فيما كان الشيخ محمد عبده قد
صادف لدى رياض باشا قبولا واعزازا خصوصا بعد ان علم انه ثمرة من ثمار غرس سيدنا ومربينا
فصار له وثوق به واعتماد عليه بل جعل له حظا من امره ونهيه وحله وعقده فجد في القيام
ببعض هذه الثقة جدا اشغله عن الناس واضطره الى الاقلال من زيارتهم فان اوقاته قرائن
كانت يستغرقها مع الباشا في مصالحه ومنفعته فرمى لذلك بالكبر والتيه ثم ان صدقه في خدمته جعله

يميل مع الحق كيفما مال ولا ينقاد لاغراض الناس بحقوقه المعلومة فكان اذا احس احد الى ذلك
سوءاً او مكروهاً نسبوه الى مقصد الشيخ محمد وقصده اذاهم وهو برئ مما نسبوه اليه ولا ضرب
لذلك مثلاً [illegible] وهو ان سليم النقاش اخذ عند اقامته في الاسكندرية [illegible] يروج سياستها ترويجا لم
تمنحه جريدة فرنساوية [illegible] حتى احفظ قلوب جميع المسلمين عليه وخشي كثير منهم شهرته كم
وهو لو يبالي بل لم يزده ذلك الا خبثا وعنادا ومع ذلك فالشيخ محمد لم يباله بمقتضى قانون
المطبوعات من اول وهلة بل اخذ يكاتبه من عند نفسه مكاتبة ودادية يبين له المضار التي
تستلزمها هذا المشرب خشية ان يضطر الى اجراء حكم القانون عليه ويذكره بما هو من خلقنا وما تأكد
عليه من حسن المشرب والعدول عن الشرق وبنيه فلم يرعو ولم يرتدع حتى وقف وجه رياض باشا
ذات يوم على جريدته وهاله ما رأى فيها فاستدعى الشيخ محمد عبده ووبخه على اغماضه عنه ولقنه
بانذارها على الفور ففعل فتطوع سليم نقاش بعد تلقيه القضاء ان هذا الانذار بسعي الشيخ محمد
واضمر له غيظاً وشاركه سعيد البستاني في تغيظه لغباوته وجهله فاخذ هذان الشخصان ينقمان
على حق هذا المسكين ويفتريان عليه القبائح والمساوي كذبا واختلاقا وقد كانت غاية سليم
النقاش من مسعاه في جريدته على ذلك النحو ان يحصل على حماية فرنساوية كما صرح لنا بذلك وجعلها
موضوع تنصله لدى الشيخ محمد اثر الانذار

واضح يا سيدي ان ما ظنه الناس في الشيخ محمد من الشيء والى ما نسبوه اليه من تقصده اذاهم ما
يحيكهم من الحقد والحسد بسبب تقدمه تقدما جعل الصغير والكبير والعظيم والحقير يهابه ويخشاه [illegible]
ويتزلف اليه ويتملق له وليس الحسد من تقدم وتنقل في المنازل العالية تدريجا كالحسد من طفر اليها
طفرة واحدة فان هذا اشد للغيظ وادعى الى اشتداد الوغرة فجميع هذه الاسباب لم تدع
للشيخ محمد صديقا او حبيبا الا بعض من كانت تجمعهم معه غيرة الجنسية على المسلمين على ان تلك الاسباب لم
تكسوه اكثر مما ساء من افعال احد خاصته من المسيحيين الذين كانوا يحبونه ويرونه صاحبه [illegible]
بخبثه ولا عجب [illegible] في الحديث المعروف بالطعن فيه [illegible]
فيه الامر ولقد كانت اليد البيضاء في جميع هذه [illegible] اديب افندي اسحق وسعيد البستاني حتى ان
هذا الاخير ظهر من اللؤم وخبث [illegible] الشيخ محمد ما دل على [illegible] من صفات الوحشية بل
[illegible] بخطه طمعا عن درجة البهيمية فانه عوضا عن ان يتمنى [illegible] الشيخ محمد [illegible] كان يتمنى

(٤) نص هذا الخطاب ص ١٠٤ و ص ١٠٥ من القسم العربى

بيروت فى ١٥ اذار ٨٤

سيدى الاستاذ الاعظم

لئن كان لادوار الزمان قضاء نافذ فى الناس فلقد صان الكمال انفس آحاد الرجال عنه فما تنفعل بالحادثات ولا تؤثر فيها التقلبات بل هى فى مقام التجرد الذى تستوى فيه مظاهر عبث الايام بابناء الزمان والسيد لازال حجة هذا القول ما ترك فضيلة ولا قعد عن مكرمة ولا ضن بمنفعة ولكن قضاء الزمان الذى لم يؤثر فيه قد كان نافذاً فى مريديه فما اطاقوا الخير معروضاً من جانبه ولا ذادوا الشر طارئاً من جانب الاحداث وهكذا وقع من بعضهم الاهمال فى مكاتبة من راسلهم عن السيد من امراء الهند فانقطعت اخباره عن سائرهم الى هذه الايام فعسى ان يعوضهم المستقبل مما اضاعوه خيراً فيجد الاستاذ تحت سماء الحرية مستقراً طيباً امينا فلا تحتجب بعد ذلك انوار افكاره عن البصائر وان احتجب ضياء وجهه عن الابصار وقد حمل البصير الينا مفتتح مقالة السيد فى الشرق والشرقيين فكانت مقدمتها غذاءً للالباب وما يليها مهمازاً للعزائم ولا تزال الانفس مشتاقة الى البقية اشتياق الظماء الى بارد الماء فالمسئول من كرم السيد ان يرسل الىّ ما طبع منها ومن سواها فى البصير وغيرها من جرائد لندرة وباريس جملة فتلك امنية للعاجز فيها شركاء كثيرون ممن عرفوا السيد بالخبر او بالاثر ولست اذكر للاستاذ شيئاً مما لدىّ من اخبار مصر العمومية فانها تصل باريس قبل ورودها الينا بل قبل شيوعها فى مصر ولكنى احسبه مشتاقاً الى الاخبار الخصوصية عن بعض الاصدقاء فهذه اعرف منها ان عبد السلام بك على احسن حال من السلامة والعافية على انه منقطع فى منزله اجتناباً للشبهات

الا عن بعض الاخصاء وان سليم افندي النقاش سار الى مصر بأذن حكومتها على ان يصرّف اموره واشغاله ثم يعود فهو الان هناك يستمنح رجال تلك الحكومة عوضاً مالياً مما لحق به من الخسارة بسبب تعطيل مطبعته وجريدته بلا موجب معلوم وان سعيداً البستاني عُزل اثر الفتنة ثم اعيد الى الخدمة بمثل الراتب الذي كان له من قبل وهو الان على حدّ قول القائل : وخمول ذكرك في الحياة سلامة . اما ابو تراب فقد ابلغت اليه وعد السيد باستقدامه الى باريس عن قريب فكاد يطير بذلك سروراً وهو مقيم هاهنا على الدعة والراحة يترصد معنا للاخبار ويعدّ الايام ويستبطئ البرد فعسى ان تجيئنا كتب السيد بما نتوقع ولا بأس في تعليلنا بالاماني فما الحياة الا الامل وله في تحقيقه رأيه العالي المؤيد وامره الكريم المطاع ومني على حضرته السلام بالاجلال والاعظام ،

الخادم المطيع
اديب اسحق

(٥) نص هذا الخطاب فى ص ١٠٦ و ١٠٧ من القسم العربى

الاستانه العليه يوم الاثنين ٢٧ ابريل ٨٥

سيدى ومولاى صاحب الهمة العلية سليل الحضرة النبويه حضرة السيد
جمال الدين ابقاه الله للاسلام

بعد تقبيل اياديكم الشريفه احيط علمكم الشريف ومقامكم العالى المنيف انه قد ورد
لنا رقيمكم المؤرخ ١٦ الجارى وبعد حمد الله على صحتكم توجهنا الى سراي يلدز يوم السبت
الاخير وعرضنا الجواب على الحضرة الشاهانيه بواسطه سعادتلو الحاج محمود افندى
امين اسرارها الخصوصيه وبعد ساعة رجع الينا وتداول معنا فى موضوع افكاركم العاليه
وما يترتب من المصلحه على اتباعها وبعد ساعتين فى محاورة ومداولة كانت نتيجة
القول ان اكون انا الواسطه بينكم فى المكاتبة مع بقائكم بباريس الآن لحين سنوح الفرصة
لحضوركم لان مجيئكم الآن يترتب عليه حصول الشبهة السياسيه وامرت ان استفهم
من سيادتكم عن بعض جمل من جوابكم منها قولكم (ان الرجل الذى فى لندره يضيع كل
يوم فرصة لا ينالها الطالب ولا بعد قرن وهو يظن انه يحسن صنعا) ومن حيث ان
جميع ما يجريه انما هو بمقتضى تعليمات صادرة اليه من هذا الطرف فنرجوكم ان توضحوا
لنا ما تعلموه فبذلك تفصيلا فانه اما ان تكون اعماله مخالفة للتعليمات التى ترد اليه
او ان ذات التعليمات مضيعة للفرصة بنفسها لتدارك الامر ومنها قولكم (ان وقت
العلاقة مع امارة الافغان قد آن) فنحن وان كنا اثبتنا لهم امكانكم الحصول على هذه
الغاية التى لا يمكن لغيركم التوفيق فيها لمناسبات شتى منها نسبكم الشريف وجنسيتكم
وقوة جاه اقاربكم وشهرة اعمالكم فى العالم الاسلامى وحصولكم على مبادى الغايات
المطلوبه الا انه يرجى من سيادتكم توضيح الطرق اللازمة للحصول على هذا الامر فان
كلا الخصمين يريد التقرب الينا وسياسة الافغان يظهر منها التردد بين الطرفين

فالاقدام على طلب محالفتها مع الجهل بحقيقة سياستها وميلها الى احد الطرفين
ليس من باب الحكمة بناء على هذا نرجو ان ترسلوا لنا افكاركم في هذا الخصوص تفصيلا
وفيما ينبغي اجراؤه في هذه المسائل وما تعلمونه من حقيقة سياسة الافغان
مع مراعاة اول كل شيء لزوم حيادة الدولة حيادة تامة وكيفية الطرق المقتضي اجراؤها
في منفعة حال الدولة والاسلام في الاحوال الحاضرة فقد ثبتت لهم قوة عزيمتكم
في خدمة الاسلام وصداقتكم في نصيحة الدولة اما مسئلة اخينا ابراهيم بك فقد
قالوا عنها انه صار العفو عنه لما ظهر لهم من صداقته الباطنية للدولة ولا يهمهم الشغل
الذي هو فيه لانه شغل يختص بهم وهم ادرى به فله ان يحضر وعند حضوره يستخدمونه
فيما يليق له اما بان يطلعهم على بعض ما فيه منفعة واحتراس من دسائس الغير او
ينتفعون بقوة فكره وبلاغة انشائه وان لم يوجد عنده شيء من ذلك ولم يكن
له احتياج فيعيش في عموم الممالك الاسلامية خير له من الاقامة في البلاد الافرنجية
وعلى اي حال اولى لمن كان مثله في براعة الانشاء ان يكون في معية مولانا امير المؤمنين
وقد كتب له ولده حضرة محمد بك بذلك تفصيلا والسلام مع محسوبكم

اسماعيل
جودت

Tomail

بقبل بيك محمد

(١) نص الخطاب من ص ١٠٩ من القسم العربى

الى صديقنا العزيز حضرة السيد جمال الدين الحسيني حفظه الله

بعد السلام ان اخبركم من طرف قريبي ان حصل مفاوضة في معنى ما تكلمنا عنه وبعض تحريرات والحكومة لا قبلت الاغراض تقدم لها ولا إمتنعت قطعيًا انما في المكاتبة الاخيرة التي وردت البنا من طرف مستر غلادستون قبل هكذا — انه من الممكن حصول إتفاق على إرسال مرسل الذي يخاطبي له ورقة امان حتى يذهب الى الخرطوم ويخبر المهدي بالتعليمات امر بها اللورد ولسلي وانها كما يأتي يجب عليه (لورد ولسلي) يبعث الى الحكومة في الحال ايًا كان بلغه من المعروضات من طرف المهدي" — وانا على هذا ردّيت جوابًا — إنني سأخبر حضرتكم بقولهم وانما حسب رأيي لا بدّ ان يظهر لكم غير كافيًا ثم ذلك اظن ان الحكومة تريد مفاوضات في الصلح وانها تريد ايضًا ان لا تكشف مرادها للناس — ولو حصل إتفاق على ارسال مرسل يكون المرسل من انتم عنده واردت اعمال افكاركم على من احسن هل ابراهيم او محمد او غيرهم ودمتم في حفظه تعالى

والسلام ختام

المحبة الخالصة
علما بلونت

(٢) نص الخطاب فى ص ١١٠ من القسم العربى

الى صديقنا العزيز السيّد جمال الدين الحسيني حفظه الله

بعد السلام وصل جواب من صديقكم ملكوم خان ويقول فيه انه جدًا فرحان على ملاقاتكم وان تفضلوا وتوجهوا الى بيته غدًا يوم السبت ساعة ١١ وبيته 80 Holland Park ونحن نسافر من هنا مع القطر في الساعة ٨ غدًا ووصولنا في 15 James St في الساعة (نحو) ١٠ والسلام

المحبة الخالصة
علما بلونت

١٥ اوغوست ١٨٨٠

(٣) نص الخطاب ص ١١٠ و ١١١ من القسم العربى

الى حضرة صديقنا العزيز المحترم الفاضل
الامير جمال الدين الحسينى حفظه الله
بعد السلام هذه ترجمة جواب الوزراء
(مضمونه) انهم لا يقبلون امتيازين بين
مسالة مصر ومسالة السودان فان
حسب ظنهم تدل وحدة المسالة على ان
يتعاسر عليهم المكاتبة مع مستر باونت -
ومع ذلك اشاروا على عدم ورود
التماس اليهم او طلبة ورقة امان
من طرف احد من وكلاء المهدى للمرور
اليه بين عساكر الانكليزى بقصد تسليم
اليه رسالة - هذا وقيل ايضا انهم
(الوزراء) لا يقولون وعسى انهم
لا يعرفون اى جواب يردون لو بلغهم
الطلبة المذكورة آنفا ويا صديقنا العزيز
ماذا ينبغى ان يفعل فى الامر ومنى
ومن قريبى الف الف سلام

المحبة
المخلصة
عمانا باونت

٢٢ ابريل
[١٨٨٥]

(٤) نص الخطاب فى ص ١١٢ و ١١٣ من القسم العربى

الى حضرة الفاضل النحرير الجهبذ الفهام الشهير جمال الملة والدين ايد برهانه

لقد تلوت مقالتكم الردية الغراء المندرجة فى جريدة مصر النورا على بعض الجرائد الانكليزية فوجدت اجوبتكم مطابقة للحق الواقع
وبيانكم مؤيد بالبرهان الساطع ثم وقعت فى يدى رسالة من تأليف مدحت باشا مضامينها مؤيدة ومصدقة لتلك
المقالة الصحيحة العظمى لذا احببت تقديمها لجنابكم والله مؤيد كل حق بالحجج والبرهان والسلام عليكم

الداعى البابى
المسجون فى عكا
عباس

(١) نص الخطاب فى الصفحات من ١١٤ إلى ١١٩ من القسم العربى

مولاى المعظم حفظه الله وايده مقاصده

ليتنى كنت اعلم ماذا اكتب اليك واست تعلم مافى نفسى كما تعلم مافى نفسك صنعتنا بيدك وافضت على مواد نا صورها الكمالية وانشأتنا فى احسن تقويم فبك عرفنا انفسنا وبك عرفناك وبك عرفنا العالم اجمعين فعلمك بنا كعلمك بنفسك علم من طريق الموجب وهو علمك بذاتك وتعلقك بقدرتك وارادتك فنحنك صدرنا واليك اليك المآب

اوتيت من لدنك حكمة اقلب بها القلوب واعمل العقول واقصر بها فى جواطر النفوس ومحت منك عزمة اشفع بها النوايت واذل بها شوامخ الصعاب واخدع بها صم الناكل واثبت بها فى الحق للحق حتى يرضى الحق وكنت اظن قدرتى تقدر تك غير محدودة وتمكنى لامتنوتة وله مقدورة فاذا انا من الايام كل يوم فى شأن جديد تناولت القلم لاقدم اليك من روحى ما انت به اعلم فلم اجد من نفسى سوى الافتقار وتقبيل كل اليد المرتعشة والفرائص المرتعدة والفكر الذاهب والعقل الغائب فانك يا مولاى مقتنى نوع القدرة ودلالة على قوة سلطانك حضرتى فى الوراد فاستثنيت منه ما يتعلق به بالخطاب معك وكتقدم الى مقامك الجليل هذا مع العلم انى منك فى ثلاث ارواح لوحدت احداها فى الفاطر بأسره وكان جماد الحال انسانا كاملا وصورتك الظاهرة تجلت فى قوى غيابية واتقد سلطانها على حسى المشترك وعلى رسم الشهامة وشيم الحكمة وهجل الخجال فاذا رزت جميع محسوساتى وبها فبيت جماع مشهوداتى وروح حكمتك التى اضيئت بها مواتنا وانرت بها عقولنا ولطفت بها نفوسنا بل التى وطنت بها فينا مظهرة فى اشخاصنا فكنا اعدادك وانت كواحد وعديك وانت كل عدد ورسمك الموتمر فى الذى اقمته فى قبلة صلاتى رقيبا على ما اقدم من اعمالى ومسيطرا على فى احوالى وما تحركت حركة ولا تكلمت كلمة ولا قضيت الى غاية ولا استثنيت عن غاية حتى تطابق فى عملى احكام ارادتك وعلى لا تقضيت على حكمك سعيا فى تحبر واعلاء لكلمة الحق وتاييد الشوكة الحكمة وسلطان الفضيلة ولست فى ذلك الا آلة لتنفيذ اهوى المثلث وعلى من اوتى ارادة حتى يتقلب مربعا

عبرات قوای کمالیه تحلت عنی فی محل بنتی الیک وحلت بینی وبین نفسی التزاما لحکم ان المعلول لایبعد عن علته بالتاثیر علی ان مایکون الی المولی من رقائم عبده لیس الا نوعا من التضرع و ان یتوسل الیه بما یحب فیه ما یکشف ضفا و یزید جاه و مع ذلک فانی له اتوسل الیک فی المعنی بما تحمد من تلفق العبارة وما تره مما یخالف سنن البلاغة بشفیع اقوی من حجج العقل عواطف رحمتک الیک واطراق الفکر حشیة منک بین یدیک وای شفیع اقوی من رحمتک بالضعفاء وحنوک للمقلوب حیا

ای لا احدثک یا مولای عن شئ مما اصابنا بعد فراقک فقد تکفل ببیانه اخی فی صلبکم ابراهیم اقتدی الثانی سوی بعض ما ترکه فی کتابه من انقلاب بعض القلوب من خاصتک وتحول احوالهم بعد نزول مانزل بک فقد تغلب اعوان الشر وانصار الشر عقب جلائک بقوة جاهلهم وشدة باسهم فارعدا العقول علی الاعتقاد بالمحال والجاؤها للتصدیق بما یقال حتی ازهم عبیدا قلب دولتهم یاض باش علیک وعلی تلک مذنک الصادقین ایاما معدودة رکن فیها الی الحمل بالشدة وان قد بادرة حدة و طلبت ان وصلت الیه بعد ما کنا واجدا واعلی فی بلدی وحظوة اعلی الدخول فی المدن بخوارجه اشهر فحاول الاتصال بریاض باش جلوت علیه الامر وکشفت له من الحقیقة ما فضح حتی زال مالبس المبطلون و بطل کیدهم وما کانوا یعملون وزلفنا عنده منزلة حسدنی علیها الکافة من العلماء والامراء ورجال الحکومة بل وکثیر ممن کان یدعی انه من انصار الی حضرة مولانا المعظم وقعدت من کل ابر حضضه النفس فلم یتطق ان یاتی بحلتک ولو یعلم انه ما تم آرادتک فلانک وحقک کنت دانت فی الهند بین اظهر الحربین ساعیا فیهم الی ان صدک العالیة طالبا لهم اوج السعادة وذروة المجد والفخار

وهذا حمیت الی کل من کان ینتسب الیک صادقا فی ان شاب او کاذبا تحببا للعطف وایثارا للجانب المنیع والکرم لهذا الثانی لم اتاخر عن مساعدة او فتک ان شقیا الدنیا او یب اسعف وسلم الفاتک وسعید البوسنانی والبلاوی وما یلیهم من الشام فاصلحت لهم القلوب ونسخت لهم من الصدور وفقت علیهم ابواب المنافع الجزیرة لکلهم لم یرعوا عهدا ولم یحفظوا ودا وله حاجة فی الاصلاح ما صدر منهم ضیانة ولؤما فامولای اعلم بسعی الشوم وجمیعهم من اصطبل واحد والفت لجنبک من حرم الشرف بلقائک فیک لیس بالقلیل یجلون قدرک ویعرفون لک فضلک

وكنا واخواننا من المكانة في قلوب الناس كما شرح لك ابراهيم افندي ولكن هذا لم يلهني عن طلب
ان يتمم لك واله فديتبارك من الوعد اللئيم والغدر العظيم وكدت اصل الى الكيفية مما قصدت
من طريق مالوف ومذهب معروف وغير معروف لولا غلبتنا على الامر قطاع طريق الخير الله بسبب شباب
الاهبا ال الكبي منابح حجار من الله فطيق لنا طائفة كعلماء المستطنين طباع بجاهلين استعملوا طريقنا
في الدعوة الى الحرية وتمكنوا بقوة الدين وضعف الحكومة من اقناع العامة بكونهم دعاة الحق ودعاة القانون
وهم رسل الفوضى وجنود النظام وكانوا في بداية امرهم اشد الناس تعصبا عليك وعلى ما تلك
واشدهم في التعصب اولئك الانذال الذين قدمنا ذكرهم عندما اراد بعض رجال الحكومة يميل الى اهوائهم
ويكيدهم في بعض غيرهم غير ان مدتهم في الفساد كانت قصيرة ولم يمض الا القليل حتى نغصنا من قلوبهم
وخلونا من جوارهم فعادوا يشيمون صبا الحق لولا ان احاطت بهم ظلمات الغرور والغي ومع
هذا فكنا نستعلم ما يريدونه وندبرهم كما تدبرت لغاية ما تحب بتقدير ان مكانا وان استطاعة الا انه
غلبت عناصر الفساد وعم الضلال فطلبنا باولئك الثائرين ان تخلص البلاد من الفتار و
تنقذ العباد من طول العنا ورجونا تاييدهم على ذلك من سلطان هو رجاؤنا وكنا ندرك
بذلك صلاحنا وانتظاما شربنا لكن لسوء البخت كان احمد عرابي على ما وصف الصابي ابا
تغلب ابن حمدان عندما قابله عز الدولة ابن معز الدولة وهزمه حيث قال فيه انه لم يلق
لقاء الباطح بالطاعة المقتدر من سالبي حتو بطولا صناعة ولا لقاء الصدق في دعواه
في الاستقلال بالمقارعة المحتف نزعه في اثبات للمدافعة ولا كان في هذين الامرين بالبر المتقي
ولا الفاجر القوي بل جمع بين نقيصة شقاقه وغدره وفضيحة جبنه وخوره فذهب عنه
الرشاد وضرب بينه وبينه الاسداد. وازيد على ذلك مع توفر الاسباب وتفتح الابواب
وظهور امارات العبات وانجلاء زوابع العصيان واجتماع جميع القلوب عليه ونزوع من هو
علم امته فرحا اليه فكان ما كان من العاقبة السوأى ولست جاد فيهم في تلك الحوادث نبأ طويلا
اذ اردت يا مولاي لنا اقدم لك بيانا تاريخا مختصرا مايلوا معيدا فانا رهين الاشارة

دعني اتتابع الى مدينة بيروت تقضي بها مدة ثلاث سنوات على ما حكم به شقي الغبي لا لذنب جنيناه
ولا جرم اقترفناه فقد حفت حاشيتك الغائمة منا مقام الالهام في قلوب الصديقين ان انشاء الحق
وتناهج الجابرة ونصيب الفرح ولنا البراءة الطاهرة والذمة الطاهرة وكان ذلك اثر جهد كعديم
ونتيجة هواي العقيم ووهمه يا مولاي لو حملنا له من جلودنا ثيابا وصنعنا له من لحومنا كبابا و
حسبنا اذن من دمنا شرابا لما كان لنا منه من غدره عند قدرته فانه انه ليها نحن الكون في شنك
وعلى شنكك وكنا كذلك ولا نزال الا انتقاما من جال ولولا بها اطفال رضع ونساء الناطوع
ابينا لهم الذل وانفنا لهم الضيم فاتينا بهم معنا الى حيث اتفا لكنت اول من تلقاك في مدينة
باريس لا نقعد بان قامت في خدمتك والحق بذلك على ما كان

وما اعلمه من نفسي وما استيقنته من يقينك وما اكدته اعمالي واعمالك واقوالي واقوالك لا انكدر
مما اشرت اليه في كتابك ابي تراب حيث طعنت به في ثقتك بالمصريين وبالغت حتى سمحت الطعن
الى خادمك كاتب الاحرف وابراهيم افندي وزدت في المبالغة فانتقدت طعنتك بالداهية الزرقاء و
البلية الحمراء اما انت فثقتك بالدواهي والبلايا فقد صارت فيك فقد نقضت عهدك وما انفك عدوك
فاستبشر في الوجود وانت موجود ارغم الله انفها وجعلها طوع يدك لا ترى بها منا تأ[illegible] من اعدائك
اما ما يتعلق بنا فانا على بينة من امر مولاي وان كان في توقيعاته ما يشكك الملائكة في معبودهم ولا يهنئ
في بيتهم وحبهم ولكن ليس في استطاعته ان يشكك نفسه في نفسه ولا ان يمنع عقله العالي بالمحالات ولا ان
كان في طوعه ان يقنع بها من اراد من شرقيين وغربيين وما حكم به سيدي من سلب الحرية عن المصريين
ربما تنافر عليه الادلة وتشهد لنا ولا عليه حوادث غير ابناء الجنس لنا اولئك فقد اخرجنا المولى
من طباعنا واخلاقنا انا صرنا غرباء لا نتغذى بغذاء تلك الارض ولا ننمو بهوائها وانما ينقل حيث
يتيح له القدر من مثل عناصره ما يقوى به قوامه ويزهر زهره ويحلو ثمره والا ذبل وما تلاوا استوحلت
جذوره ورمى به الى خارج البلاد واني اعلم ان كله مما لا يزيد في يقيني مولاي شيئا ولكوني لا ينقص منه
فلنعد عن هذا ونستمنح من كرمه الواسع ان يمن علينا بامرين احدهما ارسال رسمه الفوتوغرافي
الجديد فان هذا الخادم كان عنده نسختان من الفوتوغرافية بروحي احدهما اخذها اعوان الضبطية
من بيتي عند ما اودعت السجن كما اخذ واكتاب لاشه(؟) موجودة في المعظم والثانية كان استجداها سعد
افندي زغلول وهو من خواص محسوبيكم ولشغفه عليه ترك لرابها بالبيتين اعواما واثنا في ان يتابع
ارسال ما ينشره من فصول السياسية والادبية في جرائدها كانت فقد اعددنا دفاتر متعددة
لنقل ما يوجد منها في اي جريدة وكتبنا ما نشر في جريدة النحلة واول ما درج في البصير والان نبحث
عن مقالة المشرق والشرقيين ولا نجدها واضفنا الى ذلك ما كان نشر في جريدة مصر في الايام
السابقة من جميع الجمل التي جادت بها فكر سيادتكم ثم انا نخبر سيادتكم بجراثيم ابنه وهوان
اعيان المسلمين من اهالي بيروت وامراءهم لما بلغوا اليهم في اكرامنا والاحتفال بنا ونخص بالذكر منهم
السيد عبد القادر افندي القباني واعضاء عائلته وهم منذ دخول البيوت من جملة زعماء اهل حاجب
الحوانيت وحاج يحيى حمدي افندي حادة رئيس مجلس البلدية وحسن افندي بيهم وهم من انبه
الشبان واعلمهم واكتبهم واشدهم ميلا الى الحرية وقد الح علي بنفسه ان لا يبرح حتى يراكم ما لم يفلجا و
واما الامير شاهر السيد عبد القادر الجزائري فقد امر ولده ان يزور هذا خادمكم واتى لزيارتي وما كل هذا الا
من اثار فضلكم فنالتم الشكر منا على كل نعمة وصلت او تصل الينا والى اعقابنا من بعدنا ونرجو من سعة كرمكم
ان تمنوا على خادمكم باسطر من خطكم الشريف يحفظها حيث يحفظ سركم ويودعها مستودع حبك واسمه
يحفظ لكم وتنتهي عنا صدركم والسلام

خادمكم
محمد عبده
٥ جمادى الاولى ١٣٠٠

(٢) نص الخطاب فى الصفحات من ١١٩ إلى ١٢١ من القسم العربى

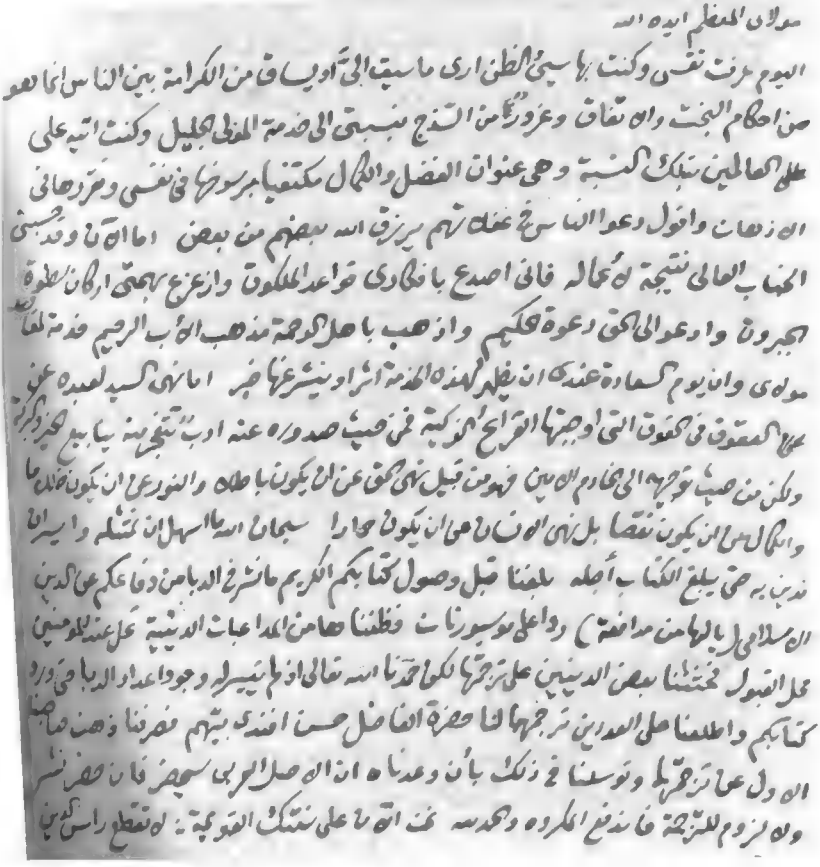

ان سيف الدين ولد الوراثيا ارثها واعبارا كما سجد الله يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون ما اصبت العيش لولا فسحة الامل اسفت وتكدرت تحاراتية في كتابكم الى
والى ابي تراب من اللوم كشد به على ابراهيم افندي وعلمت ان ذلك من سوء تبليغ ابي تراب على انا ابراهيم
افندي ليس بدعا فقهه بما يشير كيه المولى في كتابه واني اطلعت بحمد سيدي انه لما بعد رفته ارض ابرشينه
او جل بحدوده وعوده فان انتقاله من البيت الذي كان فيه لم يكن الا بعد ان ظهر الرحلة في عينيه وقسي
عليهما من كرمه وفضله فطلب منه انتقال فاشار علي فاستشرت ذلك على شريطة ان ينتقل معه ابو
تراب فاستدعا ابا تراب له انتقال فابى متعللا بأن اهل البيت يخدمونه وليس في البيت الجديد من
يخدمه فسهل عليه الامر فابى وحرم على النساء وانما كان تعلله صحيحا في الحقيقة سوانا العلة الحقيقية هو ما
عهدوه فيه من الاوصاف الحيوانية اما السيد ابراهيم فقد قام بخدمة ابي تراب احسن قيام فانه ابرأه من
غرة البرد وكثرة الاوحال الى منازل حكام ومعاهد الله طبا وزاره عديدة قبل حضوره مطعم بيك
وكان يعجبه كل صديق ينظر كيه ويعامله معاملة الند وبين من جميع الوجوه وما يعرف عند الكل الا
ربانيين نقطا وبعض دراهم قليلة في الاودية ودراهم وبعد حضور مطعم بيك كان الطعام مجانا
بدون اجره وبعض عليه زنت الرصاص وغش جيبا ستقهد في اغلب الاوقات وابراهيم افندي
بعد انتقاله كان يأتي كيه من قبل شروق الشمس الى ساعة الرابعة من الليل وله يتركه الا
وقت النوم وكانت ثياب ابراهيم وكتبه وجميع لوازمه في اودة ابي تراب وكان في اودته
الى جنبي الى فرش النوم لا غير ثم ان ابا تراب صنائي جميع الاوقات الى حاقل وانا نقده كواحد
منا نزلته منزلتنا الا انه لم يكلمه صبيا حاقي امراضنا اما ما ذكرتني شأن اديب افندي
وما ذكره ابا تراب بالتردد عليه فلعل فيه حكمة تخفى عن عقولنا وراءكم اعلى وارفع على ان اذكر لكم ما
عليه حضرة النفس الى تراب من حيث تغلب شهوة الحيوانية على قوته العقلية فان وما بعد ان يكون بعيدا
عن مشاورة الشهوات، وزادني كدرا ان ابا تراب عند ما ذهب ليبلغ اديبا سلام كم اطلعه على المكتوب
فقرأه منه ما ذكرتم في شأن ابراهيم افندي وكان كدر ابراهيم على هذه اشد من كدره على سوء تبليغ عنه
ابو تراب بحوله في اخباره لم يجعل من طيش الشرقيين فان حل ان لا تقطعوا بما يكتب كيكم
فيما يتعلق بشأن اتباعكم فقد يغضبه ما لا يغضب ويرضيه ما لا يرضي وليس بين غضبه
ورضاه الا ما بين ضحكه وبكاه وهو ما بين لمحات البصر اليس عجيبا اما ما نقده اليكم صفي

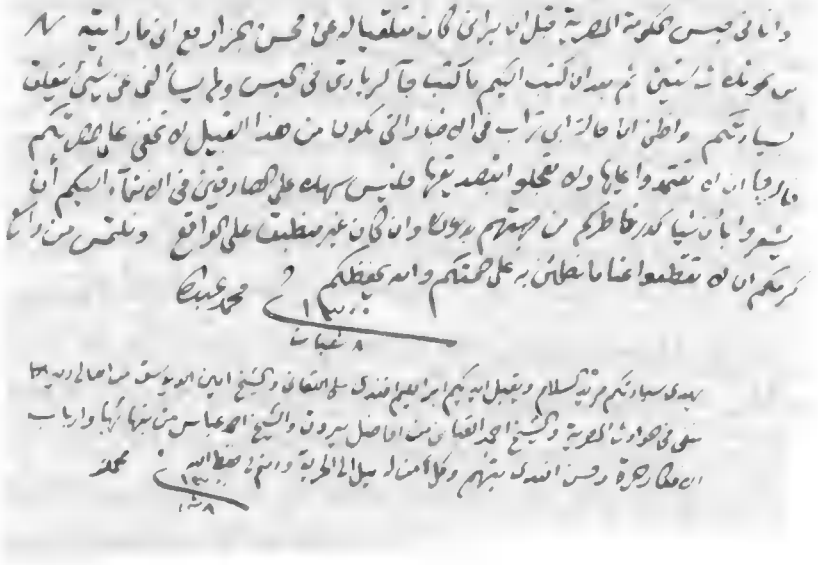

صورة بالزى الأوربى مع الطربوش

صورة بالزى التركى

صورتان لجمال الدين الحسينى الملقب بالأفغانى بزى رجال الدين الشيعة

(١) ترجمة هذا الخطاب فى ص ١٢٥ و ١٢٦ من القسم العربى

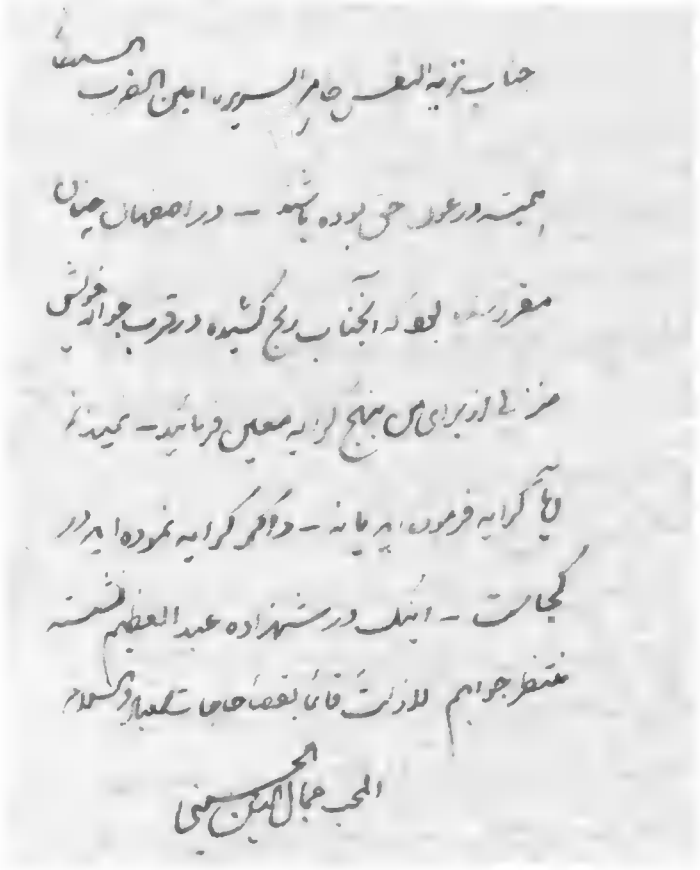

(٢) ترجمة هذا الخطاب فى ص ١٢٦ و ١٢٧ من القسم العربى

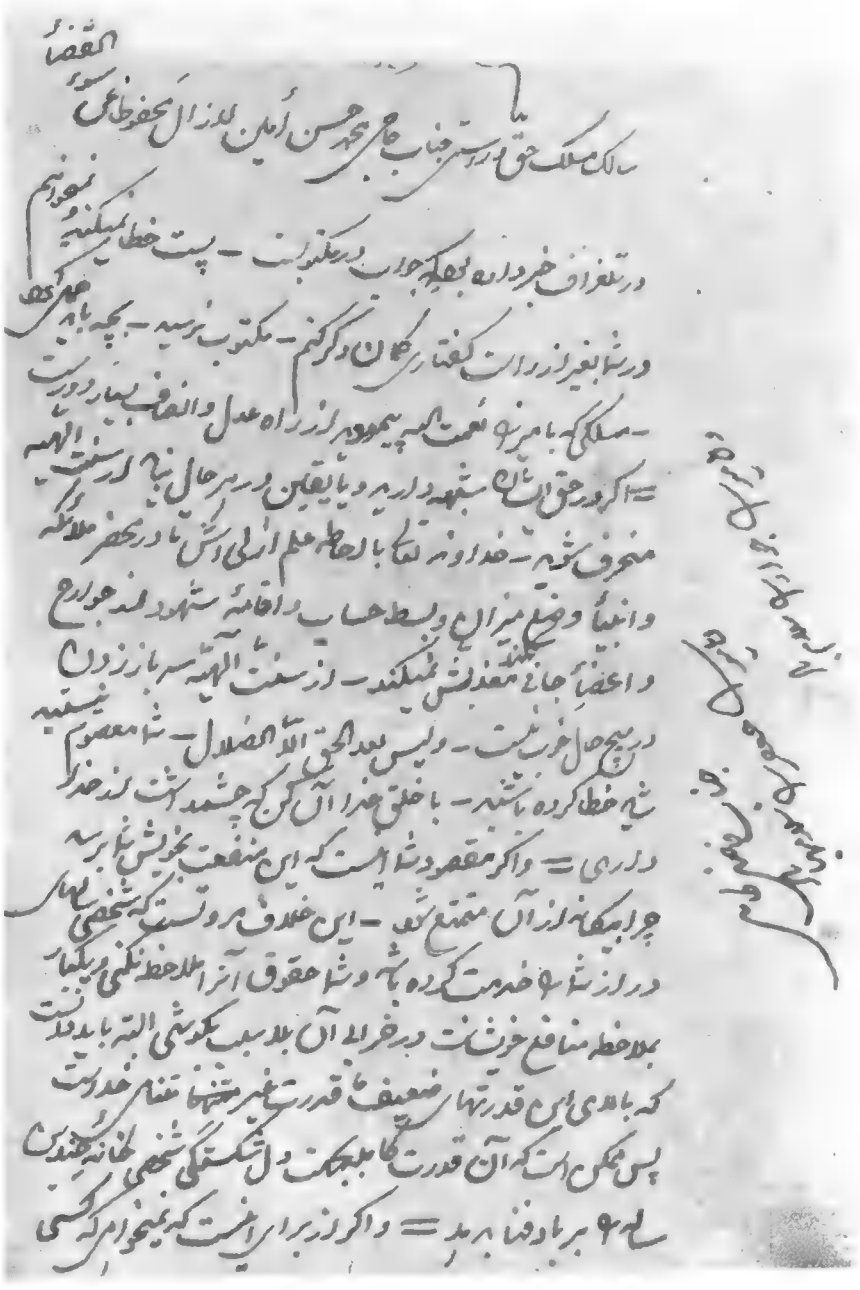

منتفع شود جز خفت (چنین گمان در حقت ندارم) البته در آنوقت باید بدانی که خود را
هدف تیر انتقام الهی خواهی ساخت (استجیر بالله) — مخرج نفس طماع همیشه در
قبضه قدرت خداست — اگر بر دست پرورده خفت حسد میبری (استعیذ بالله)
باید خود را علاج کنی پیش از آنکه مورد سخط گردی (میچگونه این گونه توهم در حق شما
نمیکنم — در هر حال بمن در شهر مسکوف قول دادی و نقض میثاق
کردی — بشما این گونه امید نداشتم — بسیار رنجیده شدم — و اگر از عزم
خود منصرف نشوی رنجش بر دوام خواهد بود — بلی محاسبه کن اثبات
غش و اختلاس را بنما پس از آن هر چه خواهی کن — و در آنوقت در نزد خدا
و خلق بری الذمه خواهی بود — والا نه در آنجا ترا عذری خواهد بود و نه در اینجا
از ملامت خلق خواهی رست — با کاتکوف ملاقات کردم بسیار مسرور شدند
و مرا تکلیف نکردند که پیش امپراطور بروم بعد از چند روز خواهم رفت
— و در روزنامه های مسکوف و پطرسبورغ ترجمه حالم ثبت شد و بجرائد
پاریس هم بنهج تلغراف ذکر شد والسلام

دوست حقیقی شما

جمال الدین الحسینی

(۳) ترجمة هذا الخطاب فی ص ۱۲۷ و ۱۲۸ من القسم العربی

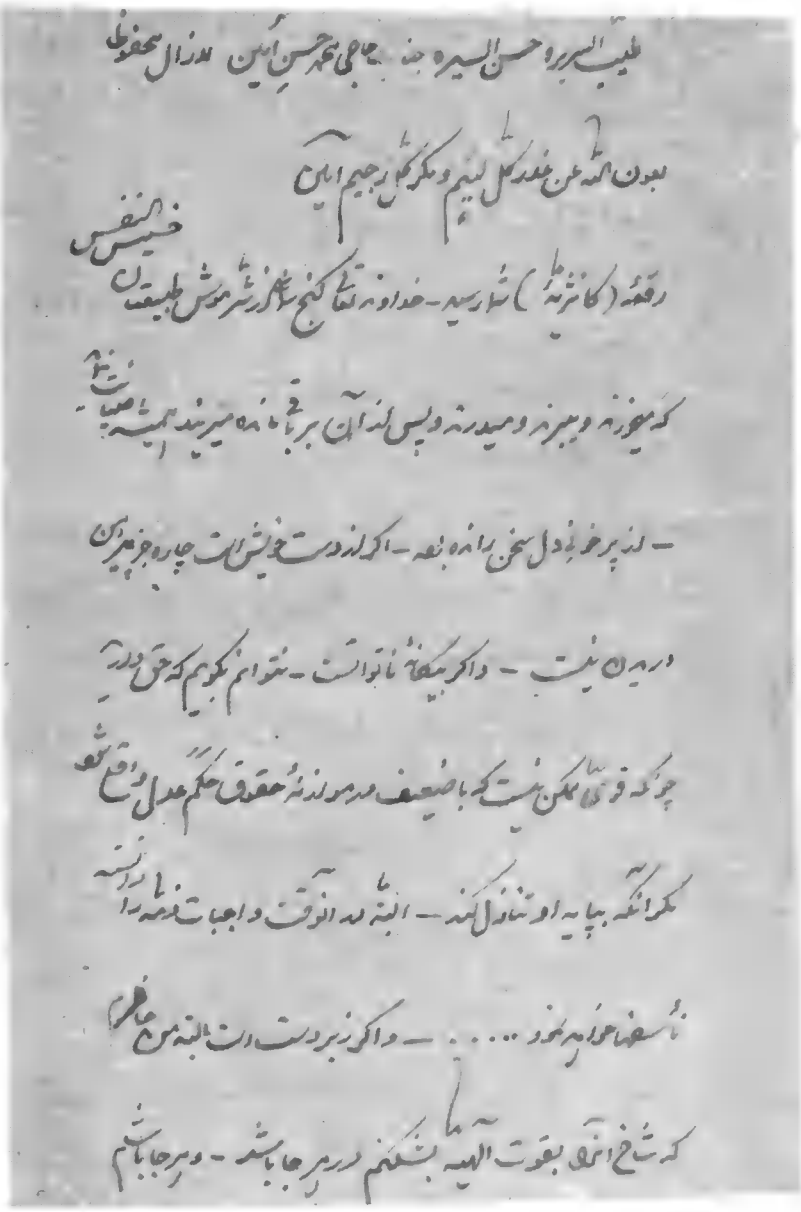

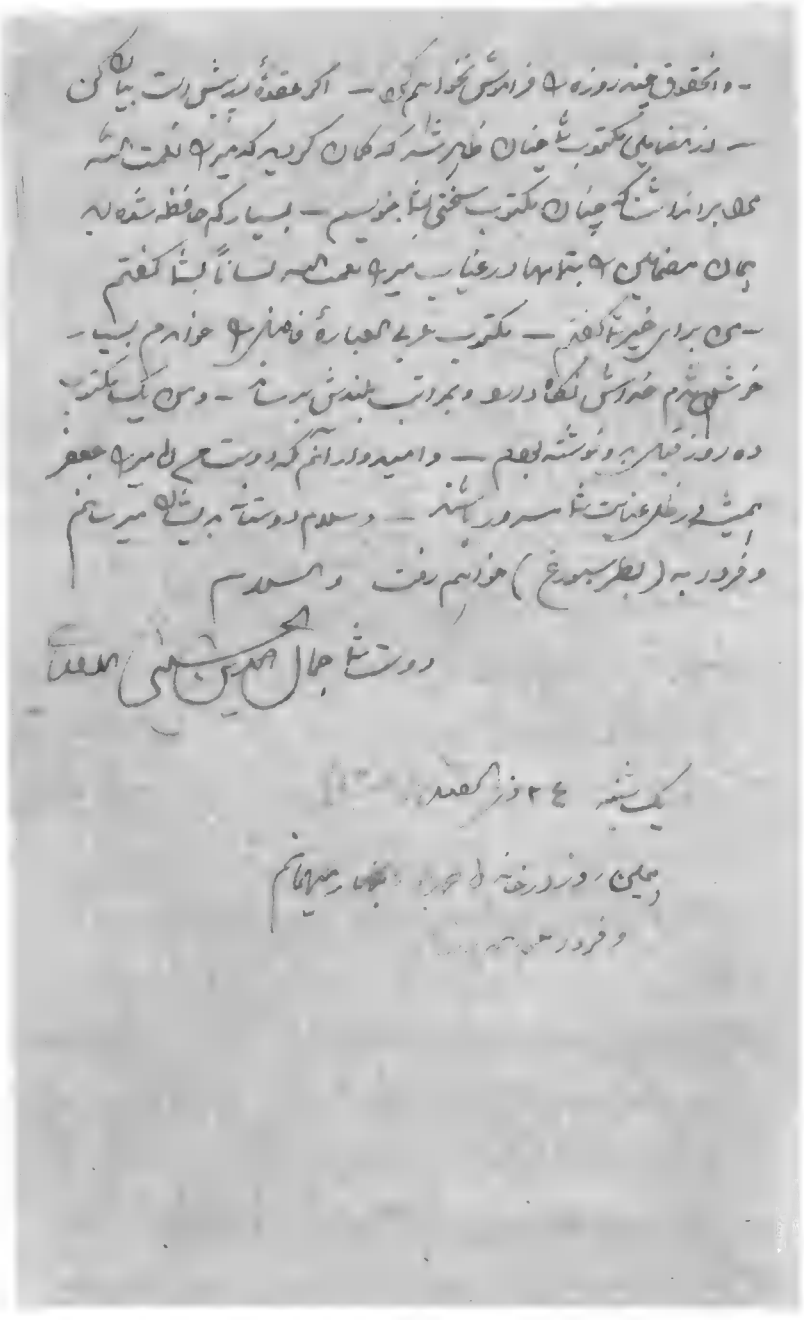

(٤) ترجمة هذا الخطاب فی ص ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ من القسم العربی

جناب محتشم حاجی محمد حسن امین دار الضرب السلطانیه — همیشه در حالات

نفسانیه و بدنیه در کمال اعتدال بوده باشند

خیر باشد چه میشود شما را — سپر اسلام بر روی دست و شمشیر ایمان را از نیام کشیده اید
— خدا کند که در مقابل حق نباشد — قوهٔ واهمه اگرچه از ظل عقل و اشتغال آن
به ترتیب و تربیهٔ اجساد بوجود آمده است — ولی او را قوتیست بسیار شدید
که در غالب نفوس بشریه با عقل در نبرد آمده بر وفائق میگردد — و جمیع ضلالات
عالم انسانی از و نشئت نموده است — و اوست که حق را مشوه نموده بصورت باطلش
ظاهر میسازد — و باطل را مزوق ساخته بهیکل کمالش بر عالم جلوه میدهد — اوست
که در خیر مطلق بوساوس خود هیئات بشعهٔ شرور را بابصار نمایش داده بیچارگان را
محروم مینماید — و شر را بزیب و زینت دلربائی آرایش نموده نفوس را بر آن ترغیب میکند
— و حکما این قوهٔ واهمه را شیطان عقلش مینامند — ولکن فرق بعید است میان
آن دو — چونکه شیطان بیچاره اگرچه انسان را از سلوک سبل حق و حقیقت
باز میدارد ولکن او را در تمتعات و لذات دنیویه و شهوات بدنیه مساعده مینماید
— و اما قوهٔ واهمه انسان را از سعادت دنیا و آخرت هر دو باز میدارد — در عین
غنی وجود توانگران را از خوف فقر میکاهد — و در حین شادمانی ابواب احزان
گذشته و اکدار آینده را بروی باز مینماید — و از برای تلخ کردن زیست انسانی
در اعوان و اصدقا و اهل و عیال و خدم و حشم شخص شبهها القا میکند تا آنکه همیشه
معذب بوده باشد — از دست این دشمن دیوانهٔ باطنی درین عالم ابدان حتی
کملین را هم بسیار دشوار است که بالمره خلاصی و نجات حاصل کند

— و با وجود این امید آن نداشتم که تا بدین درجه و آنچه بر شما چیره شده — من را
بهمت و غیرت و جسارت و اقدام ستودم — و این اوصاف همان اوصافی
که از نهایت شرف انبیاء و اولیا با آنکه مدارج عالیه و جنبهٔ لاهوتیت بدانها
فخر مینمودند — و اگر در اعداد این همان صفات یافت میشد از سنادس آنها بدان
سجایا کریمه استنکاف نمیکردند — و شما قوه و اهمه بران داشت که آنها را از اوصاف
اوصاف مجزّه (یعنی در مرتبهٔ کوتاه) حساب نمودید — این یکی — دوم آنکه چنان
گمان کردید که من با شما و یا غیر شما بکنایات و تعریضات سخن میگویم — من
چرا با شما بکنایه چیزی را بیان کنم — و من چرا با شما دروغ نسبت بدهم عجیب
— سبحان الله — بلی عقائدیکه از وهم آید از وهمی زائل شود — خطرات قلبیه
و هام را هیچ اعتباری — من این سفر شما را بفرنگ و آن نیت خیر شما را از آثار
همت و جسارت شمرده بودم — دل خود را اصلاح کن — چرا باید وهم تو را بخیالات
فاسده بازدارد — شما پس نوشته بودید که من در بطرسبورغ از برای استحصال اذن
سعی کنم با پلی خبر فرستادم این را جواب دادند برای شما نوشتم — پس چرا باید توهم کنی
که با تو بکنایه سخن میگویم — جناب عمر دل خود را اصلاح کن — من هرچه میخواستم
با شما بنهج صراحت بیان میکردم — اگر آنها تغییر بیابد من همانم ... — و اما
میرزا نعمت — من با میرزا نعمت که مخالف نیستم — من میخواستم که جمیع اعمال
شما بر نهج حکمت بوده باشد — از بهجت بشما ناوکتابه نگفتم اولاً باید حساب کرد
— حالا خوب تصور کن چون اولاً حساب نکردی اگر حق هم بطرف شما باشد هیچ گونه
اثبات نتوانی کرد — اگر دست برداری خواهند گفت که خوانات ظلم کنند ولکن
عاجز شده و نتوانست دست بردارد — و اگر مطالبه شما و او را برای حساب بطلبند
بگویند خواهند گفت بچه دستمکار این بیچاره نعمت الله میخواهند خراب کند — آیت

نتیجه آنکه از اول نصیحت مرا پیروی نکردید — من میرزا نعمت‌الله را در خانه شما دیدم و معاشرت من
با شما بدرجات بیشتر است از معاشرت با او — و با این همه اوهام شما باز من شما را
اکمل از بیشتر ایرانیان میدانم — خیال فاسد مکن — شما خارج نیستید — از این
درگذریم — اما فاضل بسیار عجیب است که چرا هر هفته مکتوبی نمیفرستد بلکه
خدای نخواسته در این جوانی او را هم وهم غلبه کرده است — باید هر وقت مکتوب
بنویسد گاهی عربی و گاهی فارسی — و بدعا و سلام تنها اکتفا نکند بلکه بعضی تفصیلات
بنویسد تا آنکه قوه کتابت و انشاءش افزون گردد و فکرش وسعت گیرد و منتظر
آن نباشد که من هر مکتوب را جواب بدهم — البته من گاه گاه برای تشویق او جواب
خواهم نوشت ولی در وقتیکه مضامین مکتوبش عالی بوده باشد — جمیع متعلقین
و وابسطه‌ها و احباء خود و مرا سلامها برسانید — باز بشما میگویم دل خود را
اصلاح نمائید — و واهمه را بر خود چیره نسازید — خداوند عون شما باد در کارهای خیر

والسلام

دوست شما جمال‌الدین الحسینی

(۵) ترجمة هذا الخطاب فی ص ۱۳۱ و ۱۳۲ من القسم العربی

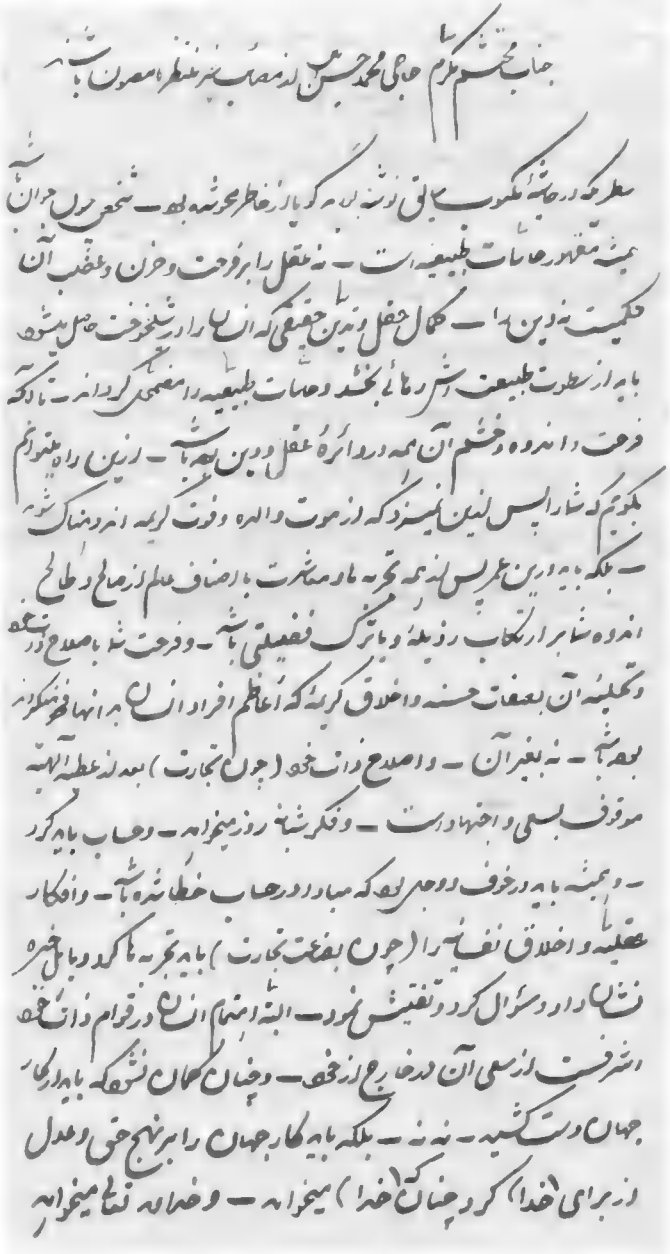

که در عوالم سفلیه چون عوالم علویه همهٔ کمالات و زیب و زینت خود را در همه چیز در همه جا مشاهده نماید
— و همهٔ برومندی و قدرتش در خرد انسانی و صنایع و آثار آن ظاهر گردد — و انسان در همه
حالات خود مظهر کمال حق باشد تا آنکه در هر طوری شاهد کمالات غیر متناهیهٔ او باشد — و بدین لسان
جوهری که لسان کمال است تمجید کرده نه تنها بلسان قال که بغیر از تقطیع اصوات و موج هوا چیز دیگری
نیست — خداوند یاری کند — و همهٔ پاک سرشتان را جلوه گاه کمال و جمال خود نماید آمین
— و اما میرزا نعمت الله در مکتوب خود سه شق بر شما عرضه کرده بود — البته شما بر نهج
حق و عدل یکی از آن سه را قبول خواهید نمود — و امیدم چنان است که هیچگاه شما بتعدی
و اجحاف که صفت جباران است راضی نخواهید شد — جواب جناب جلالتمآب اجل
امین السلطان را در جوف مکتوب شما بعنوان خود شما روانهٔ طهران نمودم — اگر مرا
دوستی پرسد سلام اش — همیشه شما و اهل خانه و متعلقین شما سلامت بوده باشد والسلام

دوست شما جمال الدین الحسینی

(٦) ترجمة هذا الخطاب فى ١٣٢ و ١٣٣ من القسم العربى

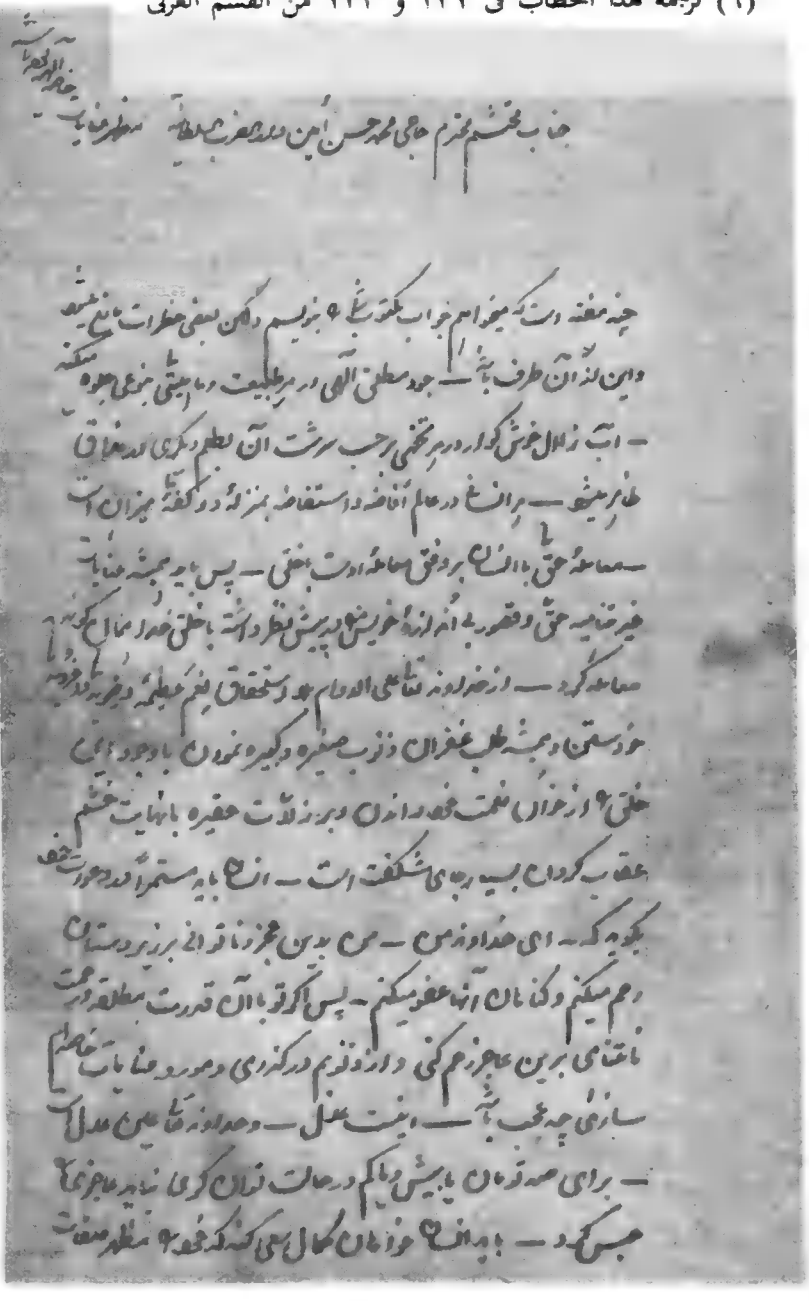

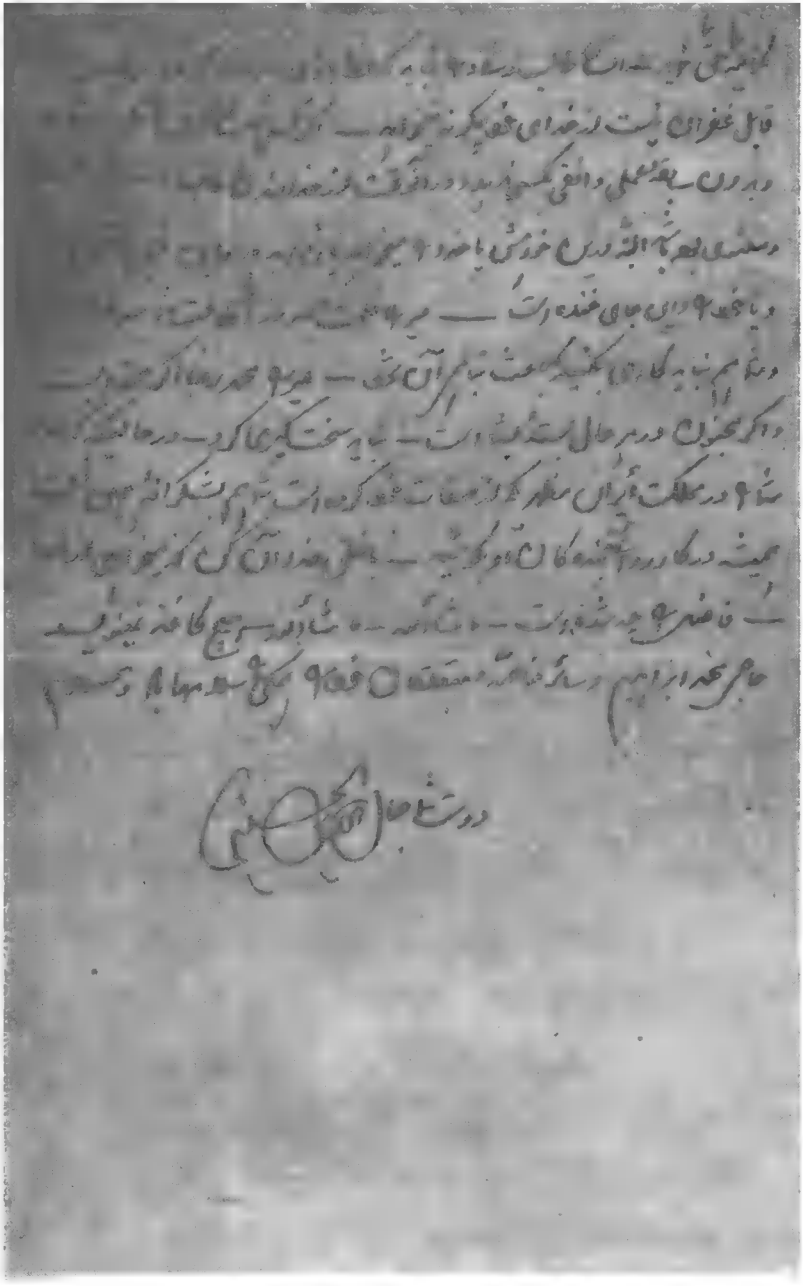

(٧) ترجمة هذا الخطاب فى ص ١٣٤ من القسم العربى

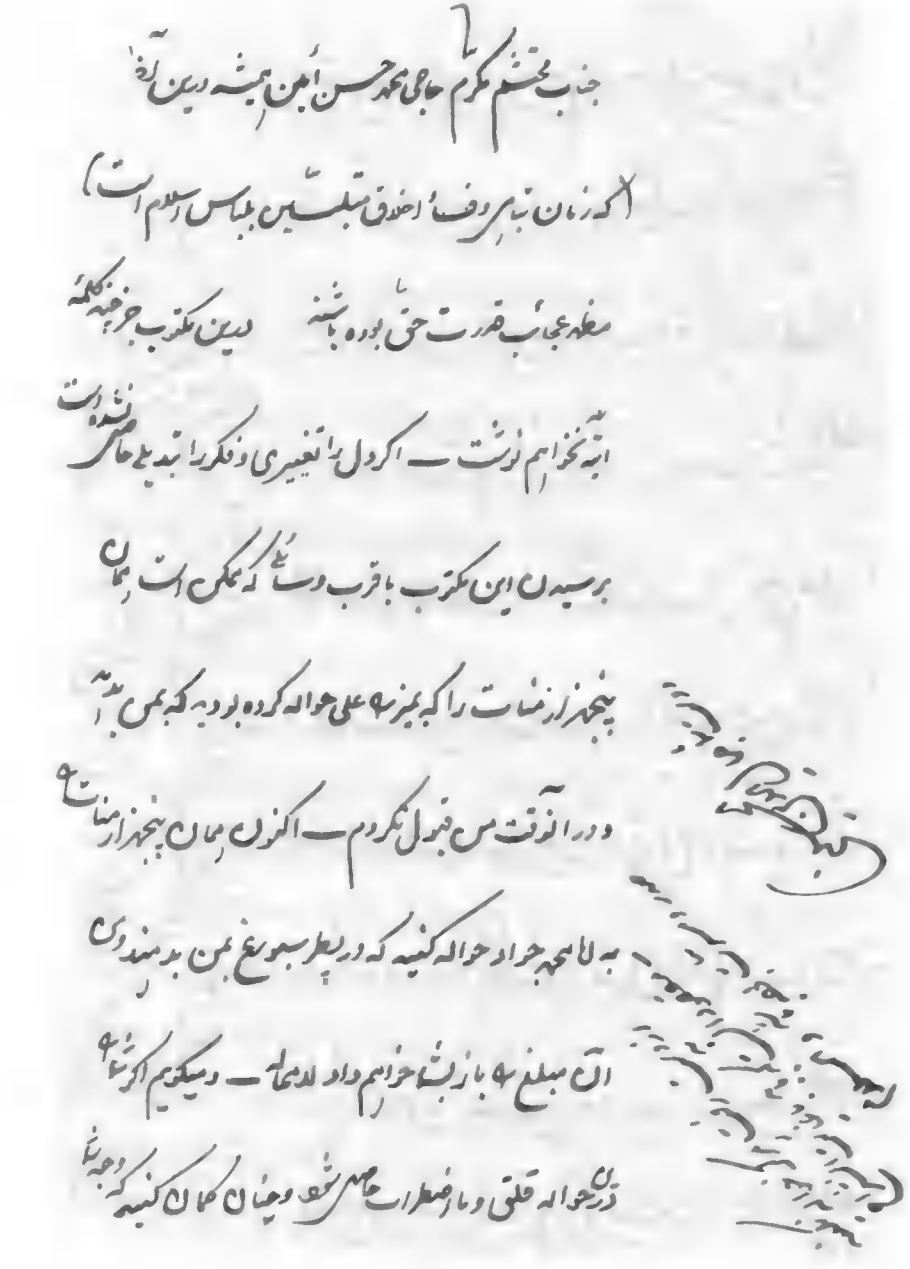

(٨) ترجمة هذا الخطاب فى ص ١٣٤ و ١٣٥ من القسم العربى

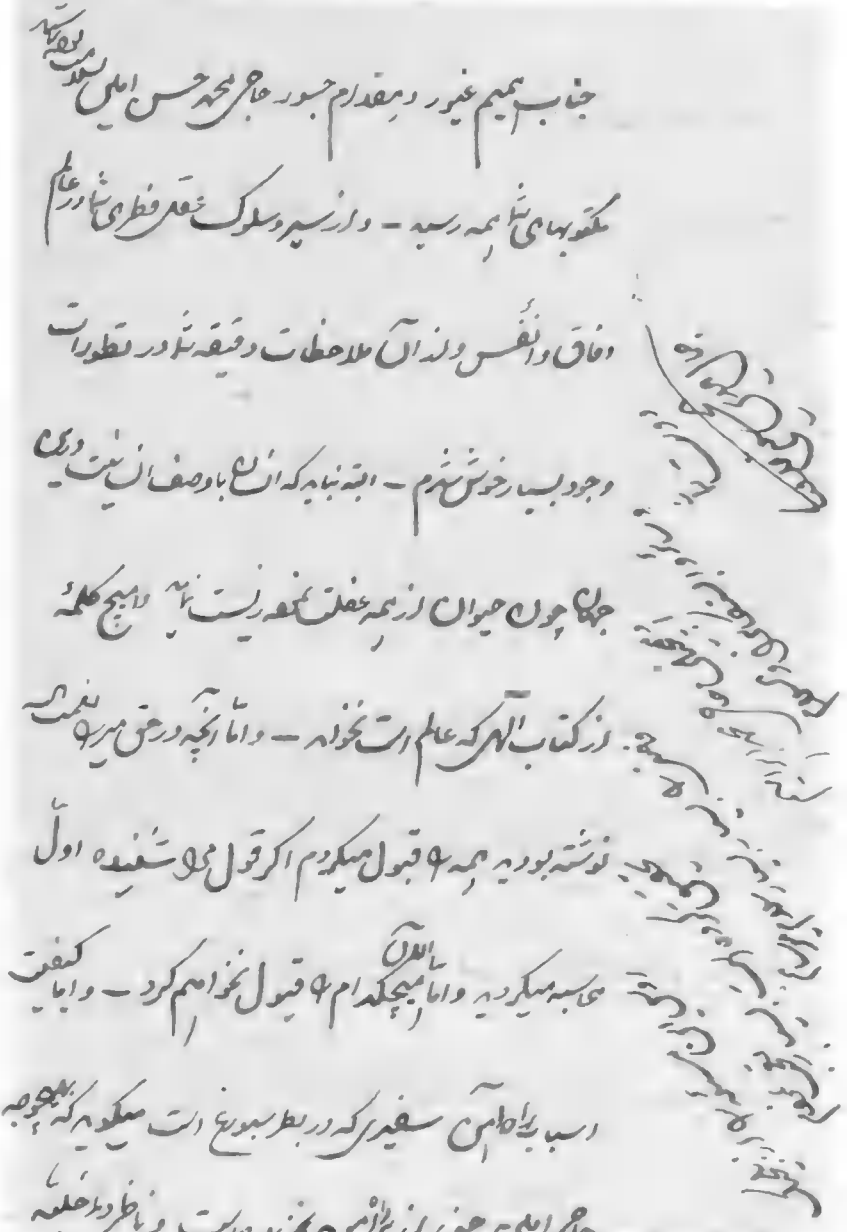

(۹) ترجمة هذا الخطاب فی ص ۱۳۵ و ۱۳۶ من القسم العربی

(۱۰) ترجمة هذا الخطاب فی ص ۱۳۶ و ۱۳۷ و ۱۳۸ من القسم العربی

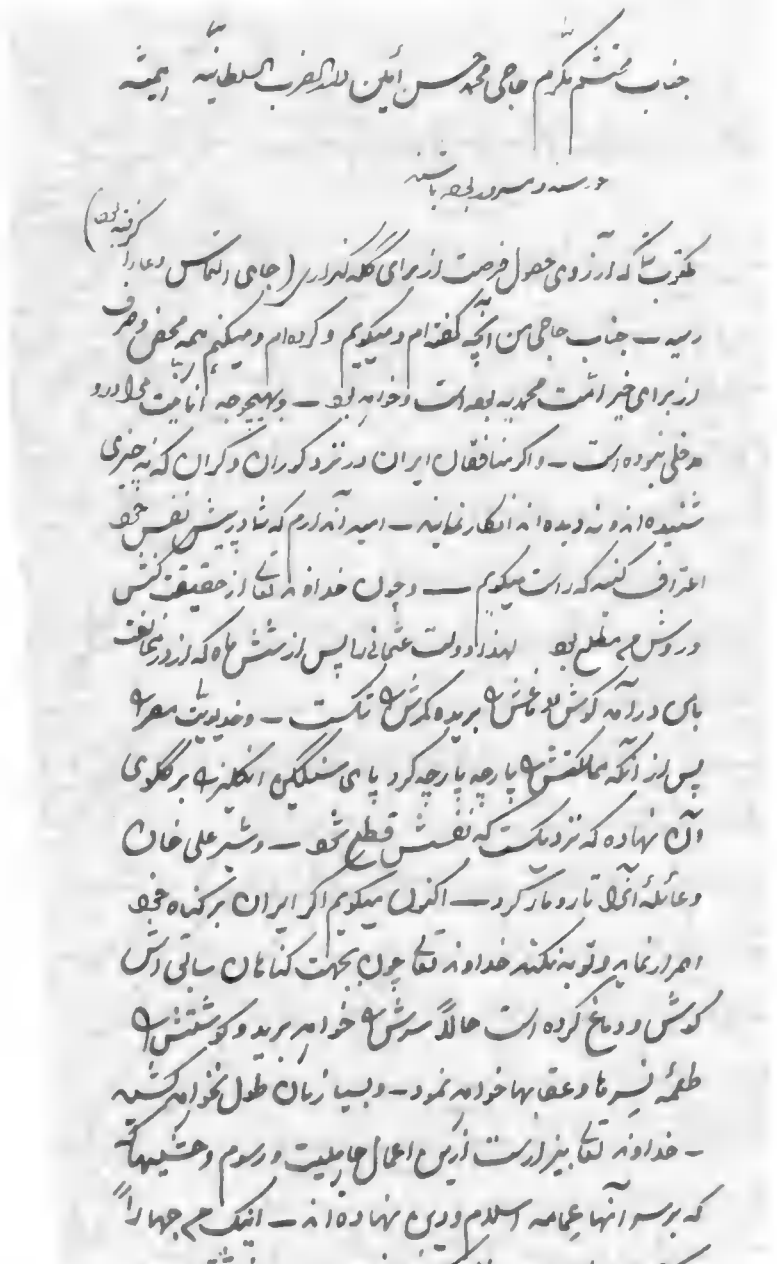

که پس از ورود به بطهران همه چیز آماده و حاضر بود حاجی جان چه حاضر بود و کدام چیز آماده بود
— من صدر اعظم نمیخواهم بشوم — من وزیر نمیخواهم بشوم — من لرکمان دولت نمیخواهم بشوم
— من مواجب نمیخواهم — من وظیفه نمیخواهم — من عیال دارم — من ملک دارم و نمیخواهم
که درشته باشم — پس چه حاضر بود و چه آماده — جناب حاجی ببین رشتهای ما بواسطهٔ بریدن
بیکی دو بافته رسیده اند — و بین رشتهای تو سطح بسیار جهها بافته رسیده اند — ولکن خوب
همیشه یک حالت بود و خواهم بود — جز تفوق و اصلاح مقصد دیگر ندارم — و انگه دل شاه را
تغییر داد اگر قلندر اصفهانست و یا قلندر طهران و آن زمینکه راضی شد و آن عنایتکه
نمود و در نزد خداوند تبارک و تعالی همه کس بهتر میداند — انسان چون کشف حقایق نتواند بکند
جز او همه در اینجا و در آنجا در ظلمت جهل است — نگاشته بودند که جناب علامهٔ اجل افضل
بادع افقه ارسیده اند اگر در آن نفع حقی است باعث مسرت و خشنودی است — اگر چشم
من بد و غیر عموم عباد اگر بگویم بر باد بهرات و اگر دستم برای سعادت بخلوق نکوشد
از حرکت باز مانده و اگر پایم در راه نجات امت محمدیه قدم نزند شکسته شود — انست
مذهب من و این است مشرب من — و امیدوارم جناب علامهٔ اجل بقدر اقتدار خود
در خیر ایرانیان بیچاره مسکین فلک زده بکوشند — و فرامایند نعمت همه سوء دیگر
که لذت برای شما دوانه کرده بود پیش می فرستاد — و البته ملکی لذ آن وجوه ثلثه که شما
عرضه کرده بود قبول خواهید کرد و در زره عدل و انصاف منحرف نخواهید شد — زیاده
چیزی ننوشته بود — جمیع اهل خانه و متعلقان خود و حاجی محمد ابراهیم
از طرف سلام بگوئید و آتش سوزان برزخ این جهان را بر خود
بملاحظه قیومیت الهیه بر او سلام نمائید — و جناب لامرسة علیهن بخصوص سلام بگوئید

والسلام

جمال الدین حسینی

عبد الغفور حاجی نجف آبادی است

(١١) ترجمة هذا الخطاب فى ص ١٣٨ و ١٣٩ من القسم العربى

(۱۲) ترجمة هذا الخطاب فی ص ۱۳۹ و ۱۴۰ و ۱۴۱ من القسم العربی

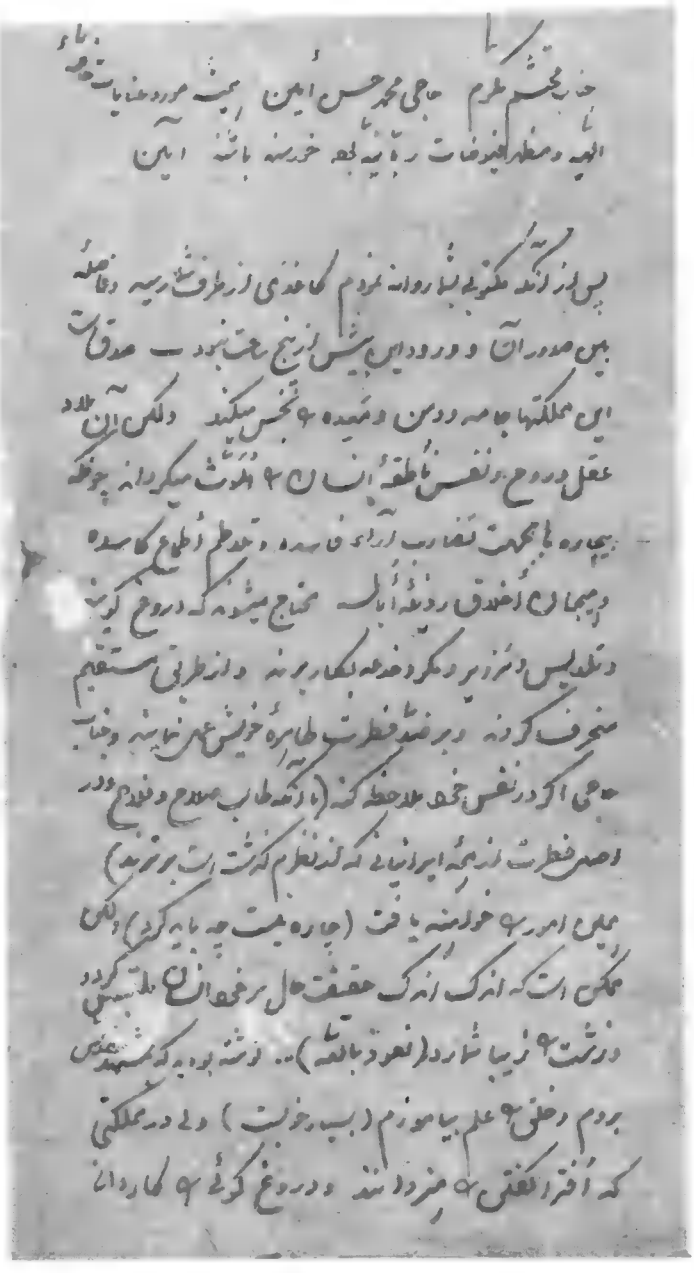

(١٣) ترجمة الخطاب فى الأصل العربى ص ١٤١ و ١٤٢

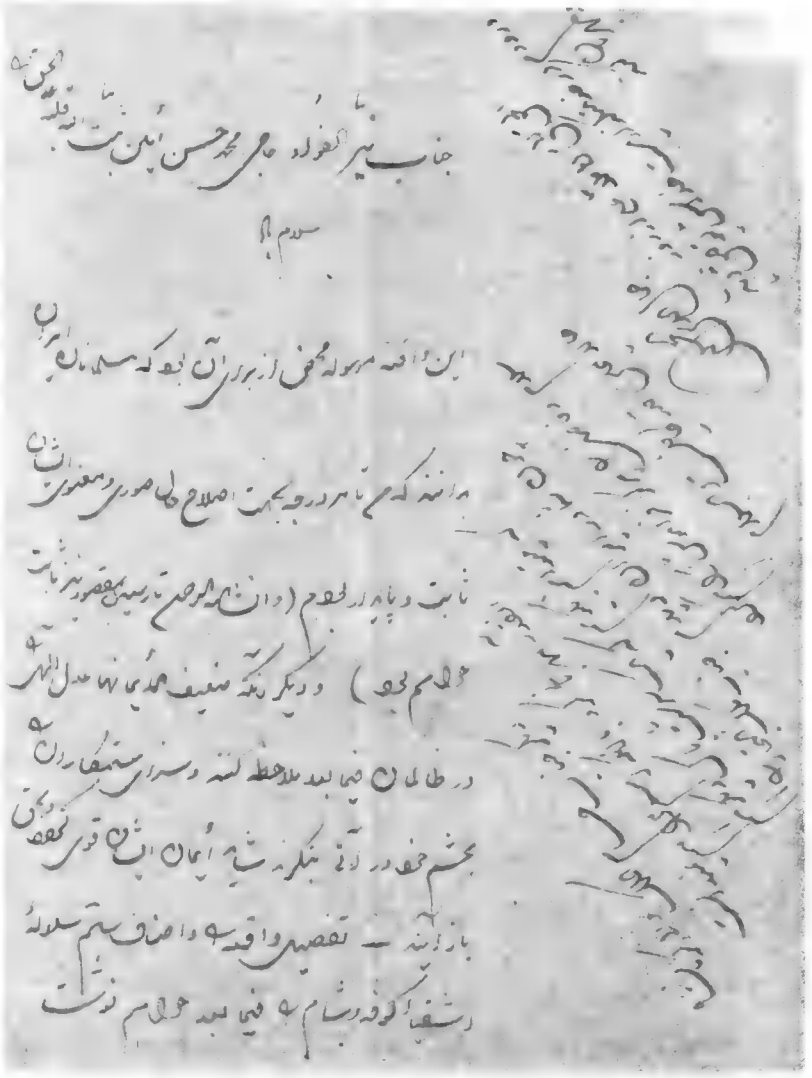

(١٤) ترجمة الخطاب موجودة فى ص ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٥ من النص العربى

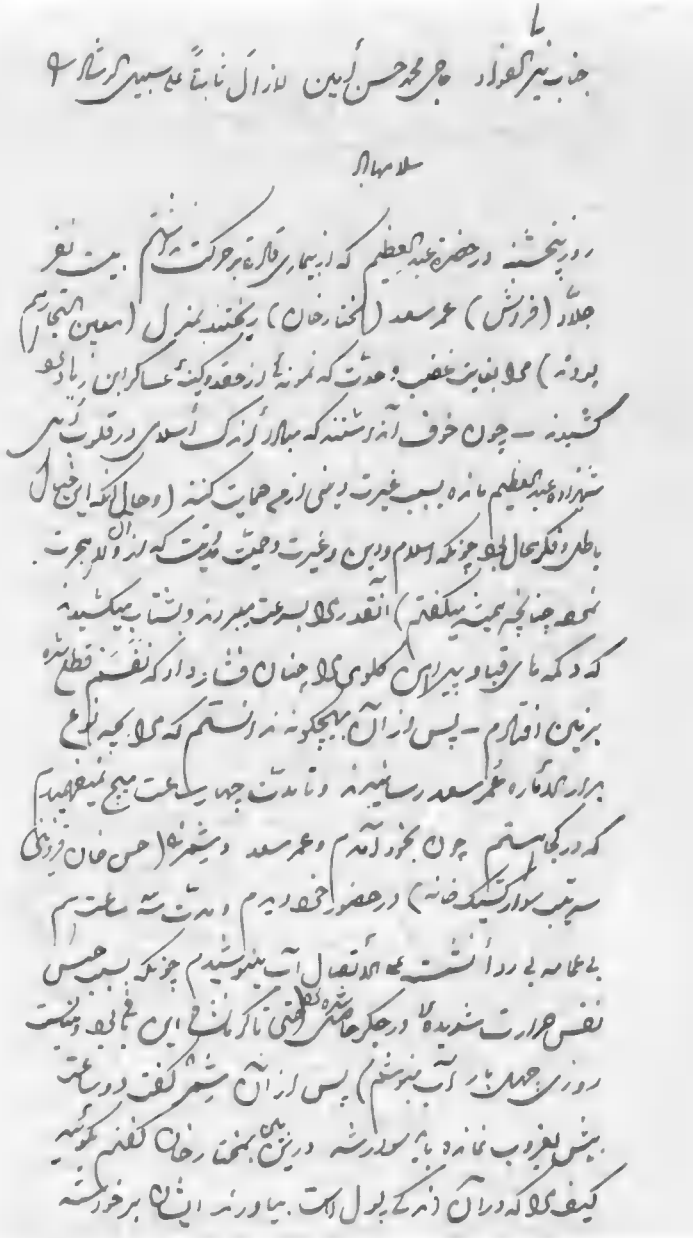

(١٥) ترجمة الخطاب موجود فى ص ١٤٤ ، ١٤٥ من القسم العربى

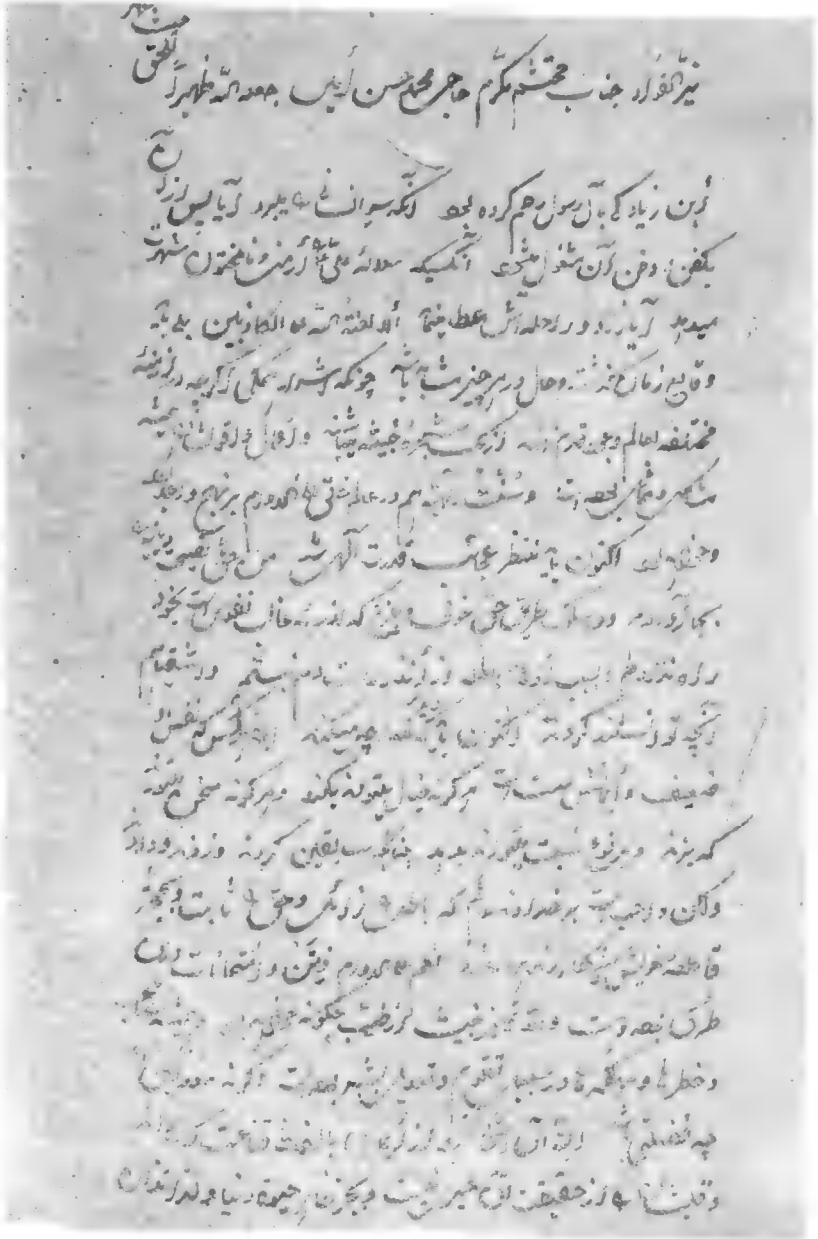

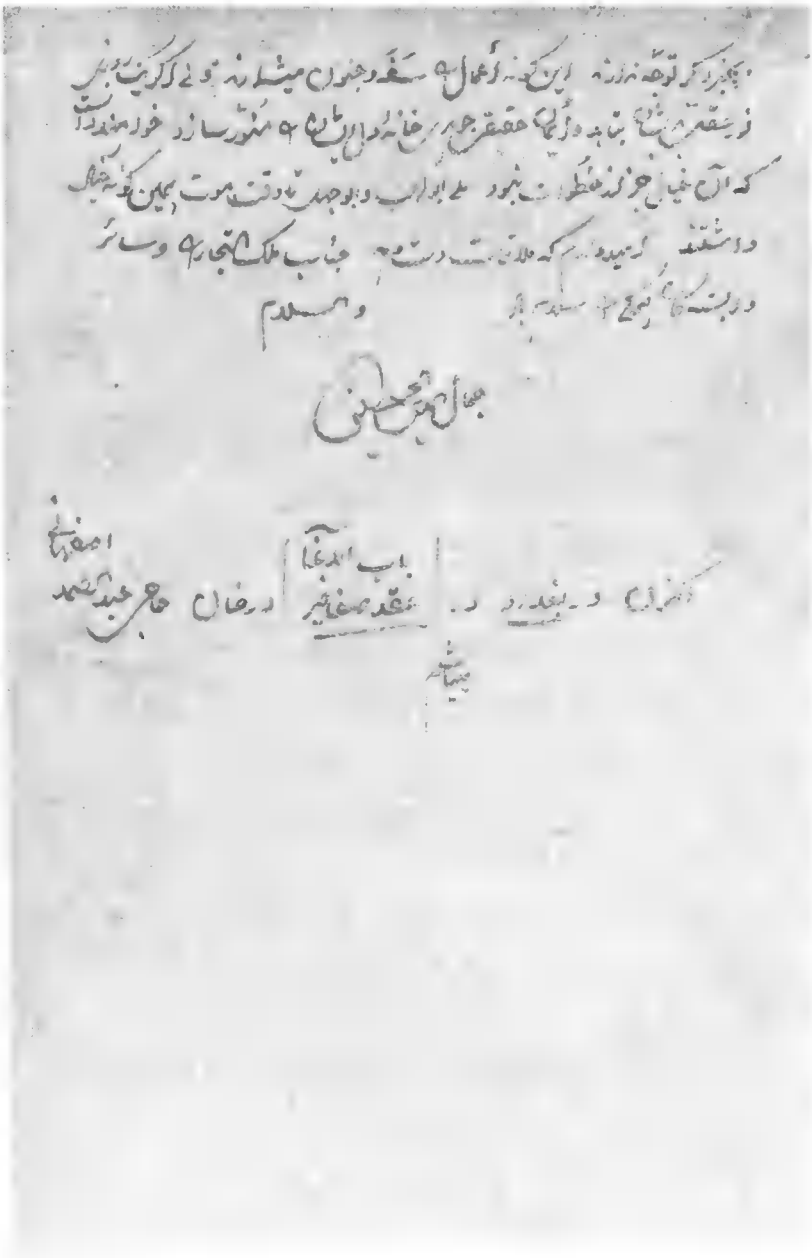

(١٦) ترجمة هذا الخطاب فى ص ١٤٦ من الأصل العربى

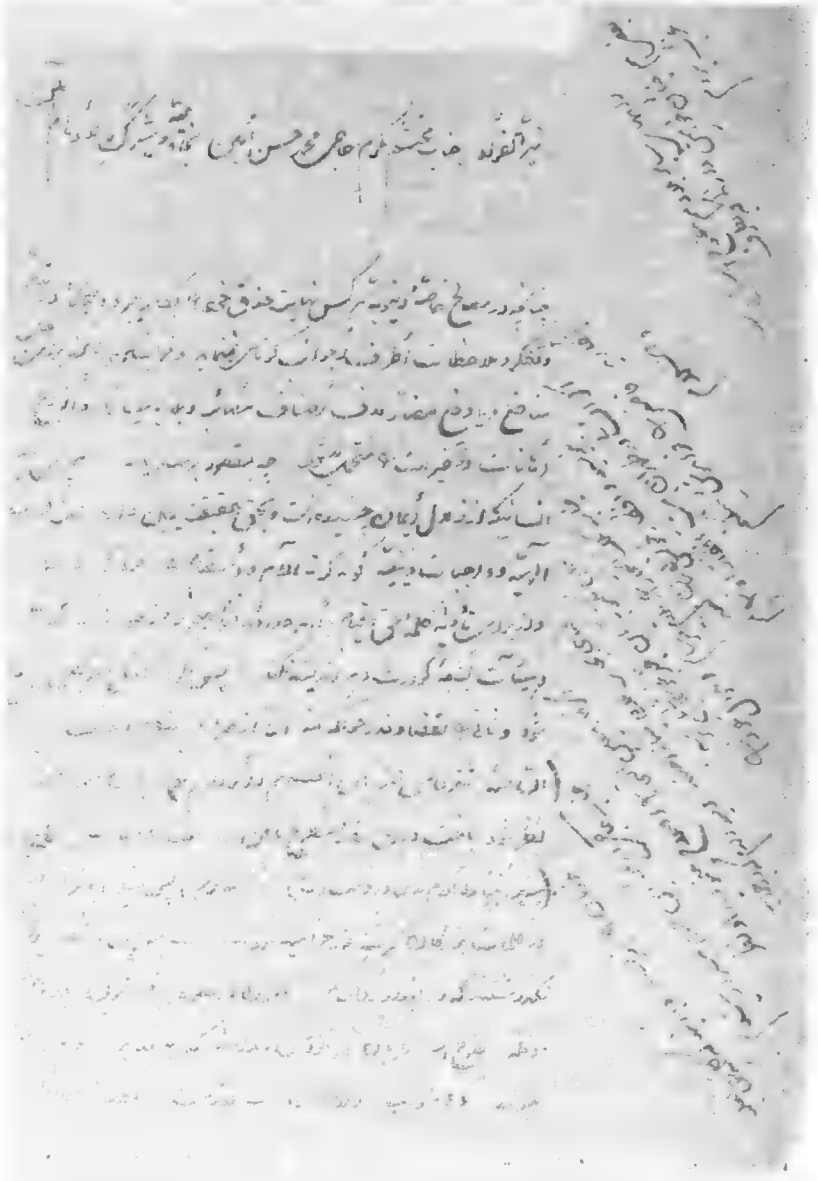

شهر سکوف ۲۱ ژوئیه

ایها الفاضل النجیب

بعد السلام علیک و علی من عندک الحاج محمد ابراهیم و علی المحافین حولک القائلین بخدمتک بصدق و خلوص — ان کتابک الظریف قد وصل و سررت بما شفته من صفاء القلب و نزاهة السجایا — و زاد فرحی ما اخبرنی به میرزا نعمة الله من قیامک بادارة اشغال التجارة و ترتیب امتعته و حل مصاعبها و النظر فی دقائق نکاتها فانک خلقت لها و صرف عمرا طویلا فی اصلاحها — فکذا اعلی فرک و رجائی منک — بارک الله علیک — و انی فی مدینة سکوف و بعد ایام اذهب الی (بطرسبورغ) و ان جناب الوالد فی مدینة (پاریس) — و تبلغ سلامی و احترامی

و نیمه‌ی پیشه خود شمارند و بدین صفات شیطانیه در مجامع مباهات و مفاخرت
نمایند و خویشتن بزیرکی ستایند چه قدر دشوار است سخن از حق راندن و حقیقت
علم را آموختن خصوصاً با جاهلی که خود را دانا شمارد و کوری که خویش را بصیر انگارد
— با همه اینها چنان گمان میکنم که شما در آن چند ماه که شب و روز و در هر ساعت
با هم بودیم بفطانت فطریه و بنور ایمانی اندکی مرا شناخته باشید و دانسته باشید
که مرا درین جهان چه در غرب باشم و چه در شرق مقصدی نیست جز آنکه در اصلاح
دنیا و آخرت مسلمان بکوشم و آخر آرزویم آنست که چون شهدای صالحین
خونم درین راه ریخته شود ولی در حرکات خودم مجبورم و از اراده الهیه سرباز نزنم
لیکن مسئله در گذریم... (در وقت ورود موکب همایون) بر رسم فرنگستان بهر
یک از آشنایان (کارت) خود را فرستادم و با امین الدوله و مخبر الدوله
و اعتماد السلطنه چنانچه میدانید ملاقات حاصل شد چونکه وقت معین کردند
— و کاغذی بامین السلطان نوشتم و خواهش نمودم که وقتی از برای ملاقات
معین کنند و در ضمن مکتوب بیان کردم که میخواهم درین فرصت کذب کذابین را
به برهان واضح بیان کنم ایشان رافع ورقه را سه ساعت مطلع کردند
و در هر نیم ساعت که از حجره خود بیرون آمدند برای کاری به رافع ورقه گفتند
که اکنون جواب خواهم نوشت (آخر رافع مأیوس شده بازگشت) و سبب با کثرت
اشتغال و یا وساوس شیطانیه هرچه باشد هیچ باید شمرد (دست خدا بالای دستهاست)
— نوشته بودم که یک دوره‌ی خواهم زد از غرب بشرق و از شرق بغرب
ولی بعضی از رجال دولت روسیه از من استدعا نمودند که چندی توقف
نمایم تا آنکه نتیجه سفر همایونی بلندن معلوم گردد و لهذا چند دیگر هم درین

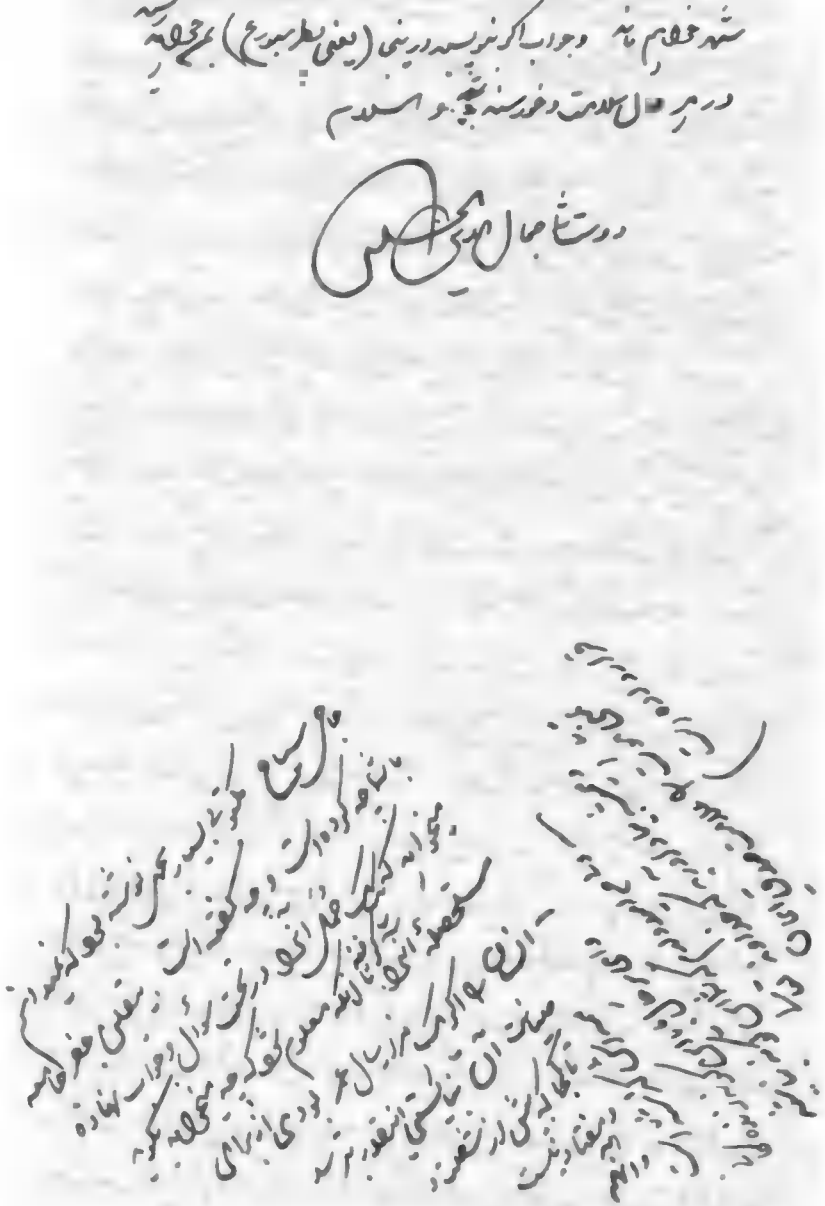

رفتند و کیف هم که در آن بعضی مبلغ و پاره اوراق و کتب بود نگذاردند
هرچه گفتم بدهند خبر رسید کسی هم بدهند خبر ندارد آخر هرچه شعر گفتند وقت
میکند و مالکیف هم برای شما نقم روانه خواهیم نمود - پس یک بقچه لباس میاورده
با قلمدان در سیاب (چیق) ولکن یک قلمدان هم بردارند و دیگری سیاب چیق
و سیگار چه بردند و الحاصل در بحر قلزم آن چیزهای حقیر هم نهنگ دهان
عجب و نهاده و در وقتی که از آشنه کالیک با برق کشتی سوار بخواهد تا یک ساعت
کشتی سوار بیاید آمدند - پس از آن کالیک در حالت بیماری و تنگ نفس و حرارت کبد
به بنج سوار که رئیس ایشان سنان بن عمر که حمید خان سرهنگ باشد سپردند
و دیگر در این راه بی بالاپوش بی شلوار با همه آن برفها و آن سرماهای شدید و آن خشونت
اخلاق و عدم ایمان حاریسی و در منزل گاههای طویلها فرود آمدن آن عفونتها
آن دود و دیگ خود شما تصور کنید که چه گذشته است و نیز همه شکفتر اینکه چند قران
که در جیب بود تکدین سعد بیرون از حضرت عبد العظیم تا کرمانشاه یکصد و پنجاه تومان
و انهم در منزل دستکرد که در آنجا از عجایب اتفاقات باجاقی ناخر اتفاق ملاقات الله
والحق ایشان کمال صفا بجا آورده اسبی و رشتی و خورشند از روی خلوص نیت
همی بدهند و ما قبول نکردم خدایش یار باشد اینهمه نوشتم تا اینکه این مصائب
همه بر بدن ما وارد آمده و ما در همه این حالات روح ما سرد و بدن سست
و حواس پریشان و علت بعضی ایرانیان خود میدانند که ما برای اصلاح احوال
صوری و معنوی ایشان تا این درجه ایستاده گی داریم آنچه میگفتم نه از برای امروز وقت
دیگری مجلس بود و از خداوند تبارک و تعالی خواهانم که این واقعه هایله یکی از اسباب فوز ما
قرار دهد و بدین مقصد عالیم برسانند و دلهای یک منور بایمان شاد گرداند آمین
- خاتمه بالخیر همه علی نوشته بود به خواهم اینجوقت در صفای روح و نقاوت نفس
و علو سجایای شما از یوم اول علاقات شمه نگرده بلکه شکر شما با غذایت و جزای شما
از دولت الله علی الحق چون علی همیشه در خدمتگذاری حاضر و البته آنچه

لازم باشد از ایشان گرفته خواهد شد جناب حسام الملک تا امروز بسیار مجاهد
مینمایند الحق اینهم عجیب است — اکنون بیمارم و لهذا از رفتن ماند سخنی میان
نیاورده است — و امیدوار انم که نه در عزم شما وهن و نه در حرارت ایمانیه شما
نقصی حاصل شود بلکه باید سپس این واقعه مهوله مترقب آن باشید که علی الدوام
عجائب قدرت الهیه را در اعداء دین و دولت مشاهده کنید و بر مراتب ایمانیه خود
بیفزائید و عدل خدا را بدیده تحقیق بنگرید — وکیل الدوله هم پیش من آمدند
و اظهار نمودند که هرچه بخواهید از اسب و نقدینه حاضرم تشکر نمودم ملا محمد علی
میگفت که امین الدوله به سرهنگ بستخانه نوشته است که هرچه مرا لازم باشد
کارسازی کنند ولی تا حال کتابت نزد من نیامده است. حاجی ملک را سلام و فاضل
خودم را درود میرسانم والسلام

جمال الدین الحسینی

(١) نص الخطاب ص ١٤٩ من القسم العربي

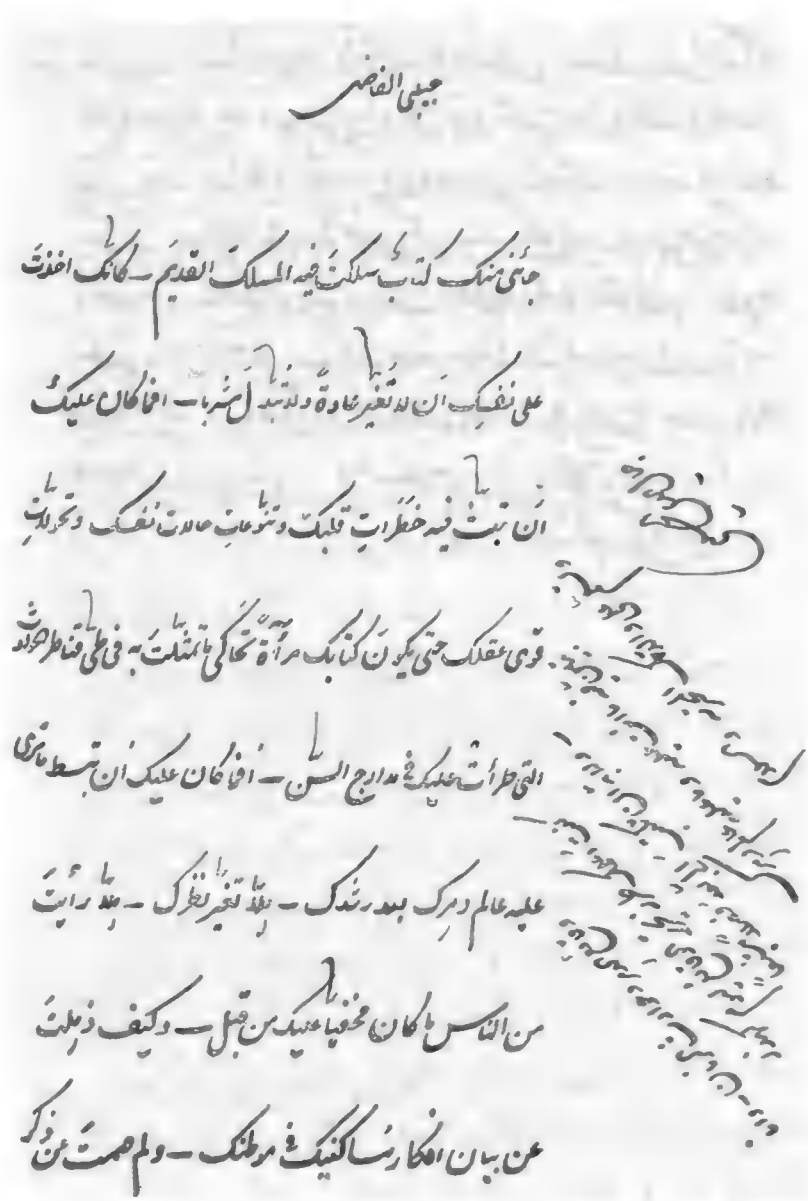

(٢) ترجمة هذا الخطاب ص ١٥٠ من القسم العربى

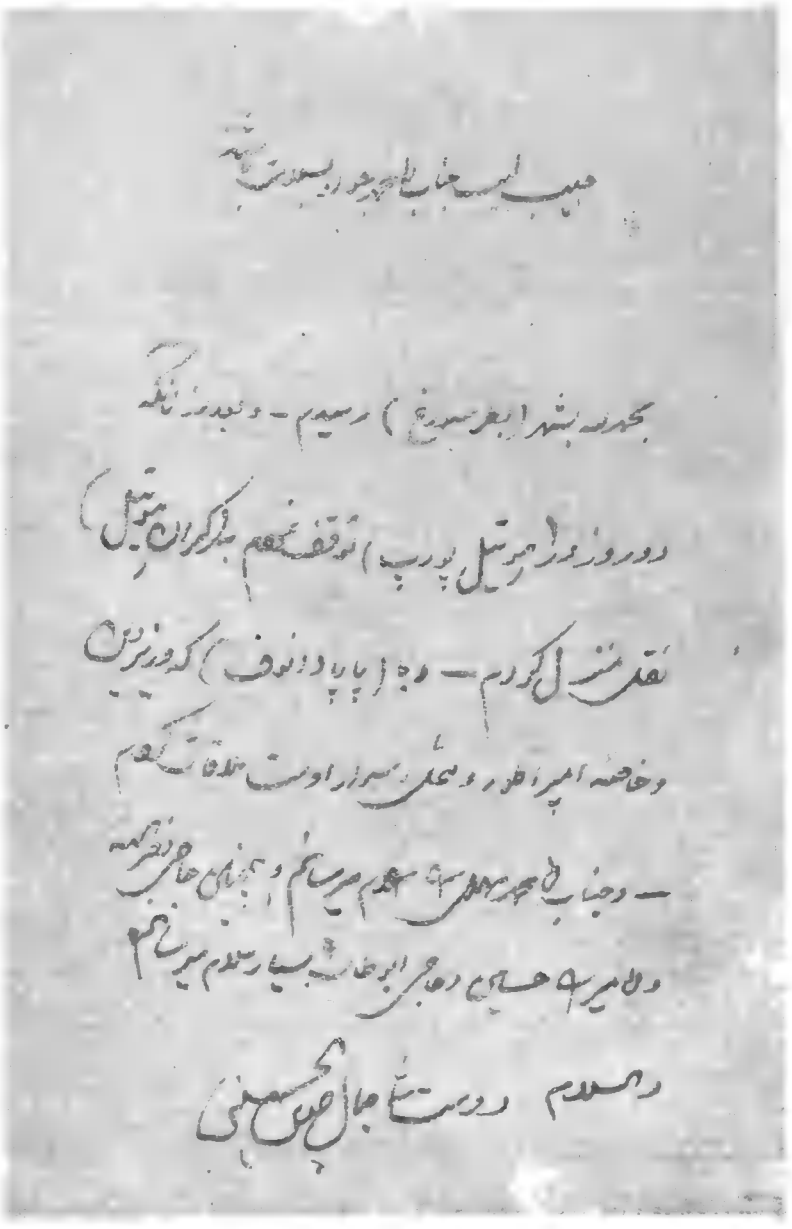

(٣) ترجمة هذا الخطاب ص ١٥٠ من القسم العربى

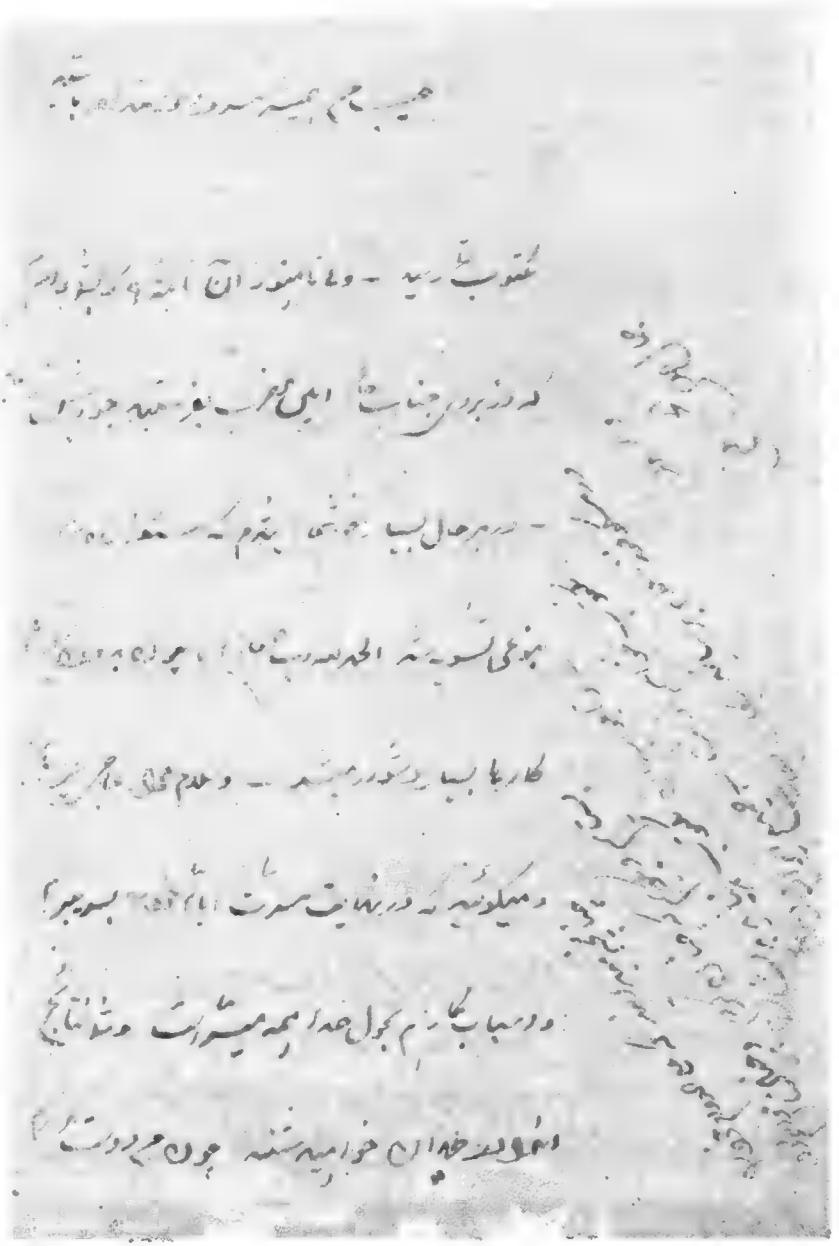

(١) ترجمة هذا الخطاب ص ١٥٢ من القسم العربى

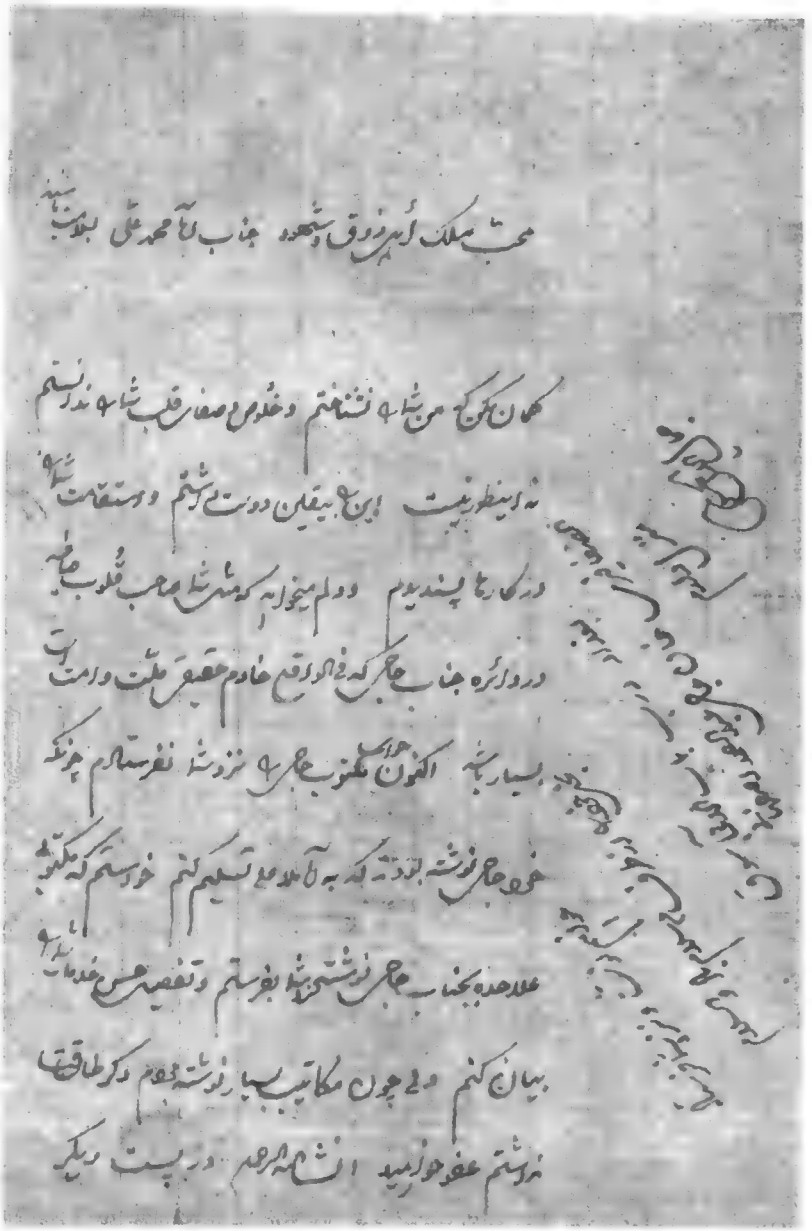

(٢) ترجمة هذا الخطاب ص ١٥٢ من القسم العربى

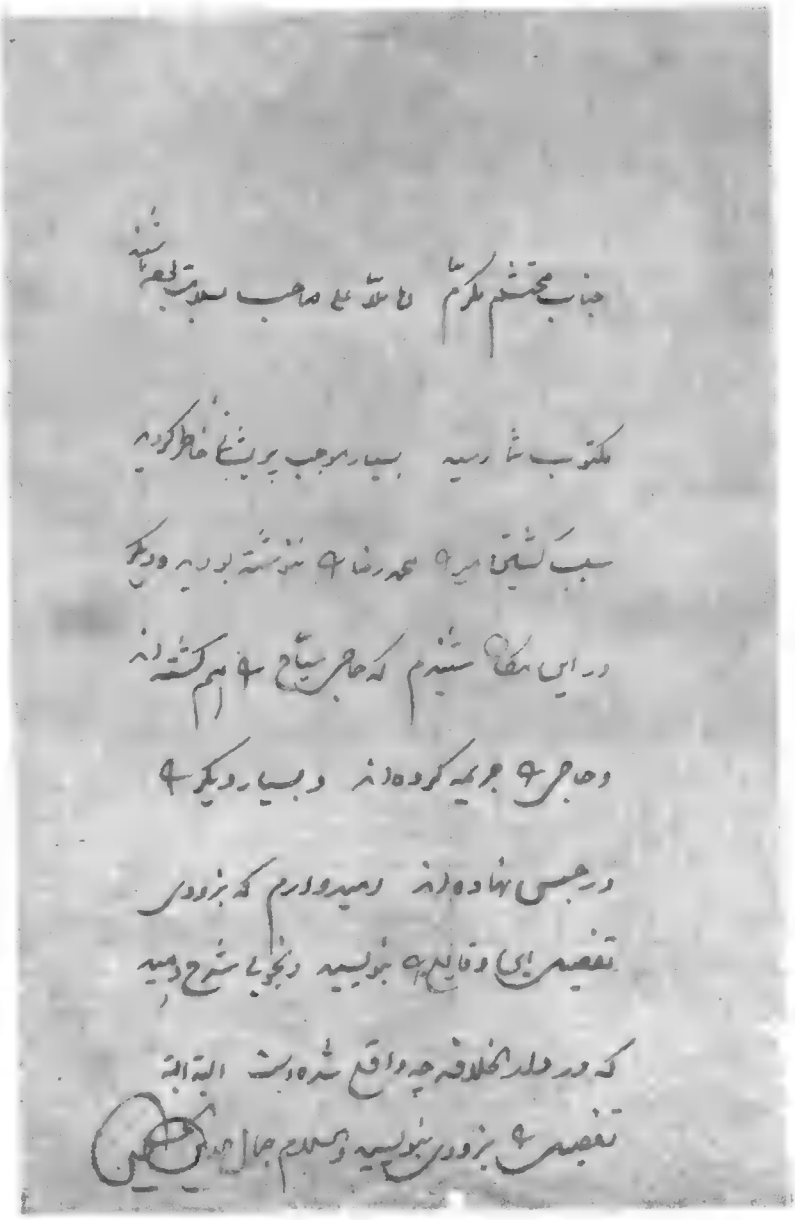

ترجمة هذا الخطاب بالقسم العربى ص ١٥٤

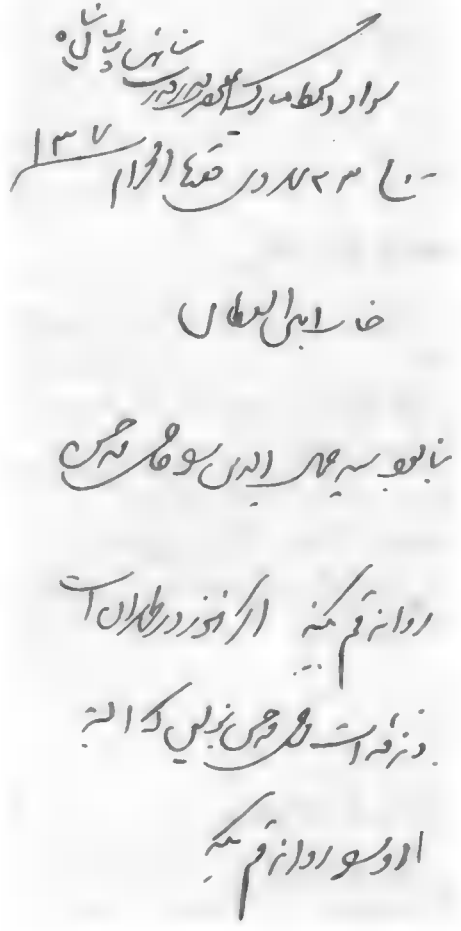

فهـــرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
تمهيد	٨
القسم الأول :-	
- المذكرات الشخصية لجمال الدين	١٣
أولا - الخطابات التى كتبها جمال الدين لأقاربه وتلاميذه وأصدقائه	١٣
١ - الخطابات الشخصية	١٤
ا ـــ خطابات من جمال الدين إلى واحد من رجال العثمانين	١٤
ب ـــ خطاب جمال الدين إلى ملك إيران ناصر الدين شاه	٢٢
جـ ـــ نص الخطابات العربية المكتوبة بخط جمال الدين	٣١
د ـــ خطاب يطلب فيه جمال الدين الانضمام إلى الماسونية	٤٦
هـ ـــ خطاب يفيد ترشيح جمال الدين رئيسا للماسونية بمصر	٤٧
و ـــ بعض مذكرات جمال الدين	٥١
القسم الثانى :-	
- الخطابات التى أرسلت إلى جمال الدين	٦٣
أولا : خطابات محمد باقر البوانانى الإيرانى	٦٣
ثانيـــا : خطابات إبراهيم المويلحى	٦٧
ثالثـــا : خطابات إبراهيم اللقانى	٨٠

رابعـــا : خطاب من أديب إسحق ١٠٤
خامسا : خطاب من إسماعيل جودت ١٠٦
سادسا : الجانب العاطفى فى حياة جمال الدين ١٠٨
سابعـــا : خطابات من طائفة البابية ١١٢
ثامنـــا : خطابات الشيخ محمد عبده ١١٤

القسم الثالث :-

- رسائل ووثائق تتعلق بجمال الدين ١٢٥
أولا : مكاتبات بين جمال الدين ومحمد حسن أمين الضرب ١٢٥
ثانيـــا : خطابات جمال الدين إلى محمد جواد ١٤٩
خطابات جمال الدين إلى ملا محمد على ١٥٢
خطاب من الشاه إلى أمين السلطان ١٥٣
خاتمة ١٥٥
صور مجموعة الوثائق والمذكرات الخاصة ١٥٩
الفهرس ٢٧٣

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٩٩٤ / ٨٧

الترقيم الدولى × ـ ٢٨ ـ ١٤٢١ ـ ٩٧٧

مطابع الوفاء ـ المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ – ص.ب : ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN